الموعود

١٤

ذو الحجة ١٤٤٣هـ
تموز ٢٠٢٢م

مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن
مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

في هذا العدد:

تحصين العقيدة المهدوية
الشيخ جاسم الوائلي

بين العصمة والتخصص في زمن الغيبة
قراءة في أدوار الإمام المهدي عليه السلام
الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

رواة مهدويُّون (الحلقة الثالثة)
السيد أسعد القاضي

ارتباط إمامة الإمام المهدي عليه السلام بالعدل الإلهي ودفع إشكالية وجود الشرور (التحقّق والمعطيات)
مرتضى علي الحلي

القول النَّضِر في نقض أدلة منكري حياة الخضر عليه السلام
علي الموسوي المشعشعي

الملاحم قبل ظهور القائم عليه السلام
الشيخ عبد الرسول الغفاري

توضيح الإجابات - رسالة في توضيح إجابات ابن قِبَة رحمه الله في الإمامة والغيبة (الحلقة الثانية)
الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

الموعود

مجلة علمية تخصّصية نصف سنوية

تصدر عن

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

المشرف العام

السيّد محمّد القبانچي

رئيس التحرير

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مدير التحرير

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

الإخراج الفني والتنضيد الإلكتروني

الأستاذ حسن محمد حسن الطريفي

عدد النسخ

٥٠٠ نسخة

الناشر

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة للناشر

www.m-mahdi.net/almauood

الهيـــــأة الاستشاريـــــة

السيّـد أحـمد الاشكـوري

الشيـخ نـزار آل سـنـبـل

السيّـد ضيـــاء الخبّـاز

الشيـخ علـي آل محـسـن

الموعود
مجلة علمية تخصّصية نصف سنوية
تصدر عن مركز الدراسات التخصّصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه

قواعد النشر في مجلَّة الموعود

١- تنشر المجلَّة الأبحاث العلمية الرصينة المختصّة بعقيدة الموعود عجل الله فرجه.

٢- الأفضل أن تكون البحوث مطبوعة، على أن لا تقلّ كلمات البحث عن (٤٠٠٠) كلمة أو (١٥) صفحة (A4).

٣- أن تحتوي الصفحة الأُولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين، وجهة العمل والعنوان، ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وُجِد.

٤- يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.

٥- أن تُرفَق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلّة للمرّة الأولى.

٦- أن لا يكون البحث قد نُشِرَ سابقاً.

٧- لا تُعَبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.

٨- يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيّة.

٩- تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواءً أنُشِرت أم لم تُنشَر.

١٠- يُمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشِرَ فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.

١١- تُرسَل البحوث للمجلَّة، أو تُسلَّم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:

العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.

رقم الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com/almauood
almauood@m-mahdi.com

المعود
ALMAUOOD

تمهيدنا
مؤنس الإمام عجل الله فرجه

السلام عليك يا مؤنس الإمام عجل الله فرجه..

في عقيدتنا - نحن الشيعة الإمامية الاثني عشرية - يشكِّل الإيمان بالغيب إحدىٰ السمات البارزة لأتباع هذا المذهب المبارك، وتبدأ رحلتنا مع هذه العقيدة من بدايات الطريق في الاستدلال علىٰ كبرىٰ المسائل العقائدية، فيدخل الإيمان بالغيب كعنصر رئيسي - بعد العقل والقرآن الكريم والسنة الشريفة وغيرها من عناصر الاستدلال -، فيلاحظ القارئ للمسائل الاعتقادية للطائفة الحقة أنّ أدقّ التفاصيل العقائدية في إثبات الذات الإلهية، وحقيقة العلم الإلهي، والإرادة مثلاً، تعتمد بشكل كبير علىٰ الإيمان بالغيب، وهكذا يتجلىٰ الاعتماد علىٰ هذا العنصر المهم في بقية الأصول من العدل والنبوة والإمامة والمعاد، وبقية أحكام الدين إلّا بعد الإيمان بالغيب، كما ولا نعرف حقيقة إدارة الإمام عجل الله فرجه لشؤون جميع الناس وعلىٰ اختلاف لغاتهم وبلدانهم لولا الإيمان بالغيب، ويتجلىٰ هذا العنصر وضوحاً إذا أجرينا جولة سريعة في مسائل المعاد وتفريعاته.

فنحن نسير من بداية الطريق إلىٰ آخره والإيمان بالغيب يرافقنا، ولا يمكن أن نتصور العقيدة الحقة بما تحمله من مسائل وتفصيلات دون هذا العنصر المهم.

طريقنا لمعرفة الغيب ومعرفة بعض التفاصيل الموجودة في هذا العالم هو روايات أهل البيت عليهم السلام، ولا ندرك حقيقته بشكل كامل، فنحن لا ندرك كيف تلقىٰ النبي صلى الله عليه وآله المعلومات الغيبية التي نقلها إلينا عن طريق أحاديثه الشريفة ودوّنتها الكتب، وكذلك نحن لا ندرك كيف يتلقىٰ الأئمة عليهم السلام ما هو مودع في عالم الغيب ومن ثمة ينقلونه إلينا.

في مسألة الإمامة - وبالأخص إمامة الإمام الثاني عشر من أهل البيت عليهم السلام - يبرز الإيمان بالغيب كأهمّ العناصر التي لا يمكن التخلي عنها لإثبات هذه العقيدة، فمسألة غيبته، وطول عمره، وإدارته للناس وللكون، بل وظهوره ونشره للعدل والقسط في ربوع الأرض، كلها مسائل تعتمد اعتماداً كبيراً علىٰ الإيمان بالغيب.

فإيماننا بالغيب، وإيماننا بأنّ الأئمة عليهم السلام يتلقون ما فيه، وأنّهم معصومون ومسدَّدون في نقل هذه المعلومات إلينا، هو من أهم وأوضح السبل الموجب للتصديق والأخذ بما يصدر عنهم عليهم السلام، وقد نقلت لنا الروايات العديدة - وفي مختلف المجالات - جوانب من علم الغيب، ورغم أنّها نقلت لنا جملة من التفاصيل الدقيقة والجزئيات التفصيلية - مثل تفصيلات المعاد - إلّا أنّنا لازلنا لا ندرك ماهية وحقيقة الصراط والميزان والحساب وما شاكل من مفاهيم مرتبطة بالمعاد.

وقد تحدّثت العديد من الروايات عن جملة من التفصيلات المرتبطة بالإمام المهدي عجل الله فرجه سواءً في كيفية ولادته أم ما يرتبط بأحداث غيبته الصغرىٰ،

وكيفية تواصله مع الناس بواسطة السفراء، أو مباشرة، وكذلك ما يكون في غيبته الكبرىٰ، والتي تسبق ظهوره، وتحدّثت الروايات عن الكثير من تفاصيل ما بعد ظهوره، وكل هذا بالنسبة لنا غيب، فما تحقق منه لا نعرف كيف تحقق، وما سيأتي منه لا نعرف كيف سيتحقق.

وقد ذكرت بعض الروايات الشريفة أنّ الإمام عجل الله فرجه في زمان غيبته يستوحش من الغيبة، فمن ذلك ما رواه الكليني قدس سره: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الوَشَّاءِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «لَابُدَّ لِصَاحِبِ هَذَا الأَمْرِ مِنْ غَيْبَةٍ، ولَابُدَّ لَه فِي غَيْبَتِه مِنْ عُزْلَةٍ، ونِعْمَ المَنْزِلُ طَيْبَةُ، ومَا بِثَلَاثِينَ مِنْ وَحْشَةٍ»[١].

فهذا الحديث الشريف يتضمن عدة لابديات، وهي: لابدية الغيبة، ولابدية العزلة المتفرعة عنها، ولابدية المنزل الذي يعيش فيه الإمام عجل الله فرجه في غيبته، فالإمام عجل الله فرجه بطبيعة الحال إنسان طرأت عليه الغيبة، ومقتضىٰ إنسانيته أن يعيش في مكان، وأن يجري عليه عند عيشه ما يجري علىٰ الناس، فتأتي لابدية أخرىٰ يحدّدها هذا الحديث المعتبر من كونه عجل الله فرجه يتعرَّض بسبب الغيبة إلىٰ وحشة، فيحتاج حينئذٍ إلىٰ ما به ترتفع هذه الوحشة، وقد عبّرت رواية أخرىٰ عمن ترتفع بهم الوحشة بالقوة، حيث ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «ولابد في عزلته من قوة، وما بثلاثين من وحشة، ونعم المنزل طيبة»[٢].

وهذا كله من الغيب الذي لولا إيماننا بالأئمة عليهم السلام وعصمتهم لما صدّقناه.

---

١. الكافي – الشيخ الكليني: ج١، ص٣٨٨.

٢. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص١٩٠.

وهنا نسأل: هل يمكن أن نعرف شيئاً عن هذا الغيب؟ فنعرف بعضاً من هؤلاء الثلاثين الذين تزول بهم الوحشة عن إمامنا الغائب، والذين يحصل بهم أُنسه عجل الله فرجه؟

كما قلنا: لا طريق لنا إلّا سؤال أهل الغيب، فهم الوحيدون القادرون علىٰ اطِّلاعنا علىٰ بعض ما فيه وإجابة سؤالنا المتقدم، وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: عن الحسن بن علي بن فضال، قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسىٰ الرضا عليهما السلام يقول: «إن الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة، فهو حي لا يموت، حتىٰ يُنفَخ في الصور، وأنه ليأتينا فيسلم، فنسمع صوته ولا نرىٰ شخصه، وإنه ليحضر حيث ما ذُكِر، فمن ذكره منكم فليسلِّم عليه، وإنه ليحضر الموسم كل سنة، فيقضي جميع المناسك، ويقف بعرفة، فيؤمِّن علىٰ دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته»[1].

إنّ الإمام الرضا عليه السلام يتحدث عن بعض التفاصيل عن شخص الخضر عليه السلام وأنه شرب من ماء الحياة، ونحن لا نعلم بطبيعة الحال ما ماء الحياة؟ وهل هو موجود؟ وهل يمكن أن يشرب منه بعض الناس؟

وهذا الخضر عليه السلام الذي شرب من هذا الماء لا يموت إلىٰ أن يُنفخ في الصور، فهو دائم الوجود في هذه الدنيا.

وأنّ من وظائفه أنّه عليه السلام يذهب إلىٰ الأئمة عليهم السلام، كل إمام في زمانه، فيسلم عليه، والغريب في الأمر أنّهم عليهم السلام بمقتضىٰ هذا الحديث يسمعون صوته ولا يرون شخصه، فمع أنّهم عليهم السلام يخبروننا عن هذه الحقيقة الغيبية، وهذا الشخص الغيبي، إلّا أنّهم لا يرون شخصه.

١. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص٤٢٠.

إلّا أنه توجد روايات أخرىٰ تنص علىٰ أن الأئمة عليهم السلام بل وغيرهم يرونه، بل وأن بعضهم كأمير المؤمنين عليه السلام يعرفه بشخصه وهويته[١].

وهذا يقتضي أن نقيِّد الرواية السابقة بهذه الروايات في أنهم لا يرونه، لا مطلقاً، ففي بعض الحالات يرونه بل ويراه غيرهم.

والنتيجة أن الخضر عليه السلام كحالة عامة لا يُرىٰ بشخصه وجسمه إلّا في بعض الموارد التي يدل الدليل فيها علىٰ رؤيته.

وأنّ الخضر عليه السلام يحضر حيث ما ذُكِر، فبمجرد أن نذكر الخضر عليه السلام - بمقتضىٰ هذا النص - فإنّه يحضر، لذلك أمرنا الإمام الرضا عليه السلام أنّ نسلِّم عليه.

ومن خصائصه ووظائفه الأخرىٰ أنّه يحضر موسم الحج في كل سنة، ويؤدي جميع المناسك، ويقوم بالتأمين علىٰ دعاء المؤمنين.

وهذا الوصف ورد في حق الإمام المهدي عجل الله فرجه، عن محمد بن عثمان العمري رحمه الله أنّه قال: والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، يرىٰ الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه[٢].

ثم يذكر الإمام عليه السلام أنّ الخضر عليه السلام يؤنس الله تعالىٰ به وحشة قائم آل محمد عجل الله فرجه في غيبته وأنّه يصل وحدة الإمام.

---

١. عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام قَالَ: «أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ومَعَه الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام، وهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ يَدِ سَلْمَانَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَجَلَسَ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ واللِّبَاسِ فَسَلَّمَ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَدَّ عَلَيْه السَّلَامَ، فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَسْأَلُكَ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي بِهِنَّ... ثُمَّ قَامَ فَمَضَىٰ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، اتْبَعْه فَانْظُرْ أَيْنَ يَقْصِدُ، فَخَرَجَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام، فَقَالَ: مَا كَانَ إِلَّا أَنْ وَضَعَ رِجْلَه خَارِجاً مِنَ الْمَسْجِدِ، فَمَا دَرَيْتُ أَيْنَ أَخَذَ مِنْ أَرْضِ الله، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَأَعْلَمْتُه، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَتَعْرِفُه؟ قُلْتُ: الله ورَسُولُه وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ، قَالَ: هُوَ الخَضِرُ عليه السلام» [الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٥٢٥، ح١، باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم عليهم السلام].

٢. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٣٩١.

فيا لها من مهمة ووظيفة عظيمة أن يكون وجود شخصٍ ما لأجل رفع وحشة إمام الزمان عجل الله فرجه.

وفي حديث آخر عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام لأحمد بن إسحاق، وقد أتاه ليسأله عن الخلف بعده، فقال مبتدئاً: «مثله مثل الخضر، ومثله مثل ذي القرنين، إنّ الخضر شرب من ماء الحياة، فهو حي لا يموت حتىٰ ينفخ في الصور، وإنّه ليحضر الموسم كل سنة، ويقف بعرفة فيؤمِّن علىٰ دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته»[1].

ففي هذا الحديث نلاحظ خاصية من خصائص العبد الصالح الخضر عليه السلام وهي أنّه يؤمِّن علىٰ دعاء المؤمنين، وهنا نريد أن نقف وقفة جديدة مع شخصية الخضر عليه السلام نستذكر فيها ما تقدم آنفاً من صفاته وخصائصه ووظائفه، ونرتب عليها الأثر الذي قد يغيب عن أذهاننا إذا لم نركز علىٰ هذه الخصائص والصفات والوظائف والمهمات بشكل منقّط.

فلاحظ معي - أيها العزيز - ما صفات هذا العبد الصالح عليه السلام الذي في العادة لا توجد له مساحة في تعاملاتنا الإيمانية، رغم كونه يحظىٰ بمقام سامٍ وشامخ وكبير عند الإمام عجل الله فرجه بل وبقية الأئمة عليهم السلام.

إذ قلّما نجد من المؤمنين من يلتفت إلىٰ أهمية الخضر عليه السلام في المعادلة.

- الخضر عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي نصّت الروايات علىٰ أنّه شرب من ماء الحياة.

- الخضر عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي دلَّت الروايات علىٰ أنّه حي لا يموت حتىٰ ينفخ في الصور.

- الخضر عليه السلام هو الإنسان الوحيد الذي سلَّم علىٰ أهل البيت عليهم السلام جميعاً وردّوا عليهم السلام عليه السلام وسمع صوتهم في رد السلام وهم سمعوا صوته.

١. الخرائج والجرائح - قطب الدين الراوندي: ج٣، ص٢٠٨.

- الخضر عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي لا يُرىٰ شخصه، ولكنه قد يُسمع صوته، نعم الرواية دلت علىٰ أنّ الأئمة عليهم السلام سمعوا صوت الخضر عليه السلام عندما سلَّم عليهم، ولكنها لم تمنع من سماع غيرهم لصوته.

- الخضر عليه السلام هو الشخص الوحيد في عالم الوجود من بني البشر الذي حضر جميع المواسم وفي كل الأعوام وسيستمر حضوره إلىٰ أوان النفخ في الصور.

- الخضر عليه السلام هو الشخص الوحيد من بني البشر ومن غير الأئمة عليهم السلام الغائب والذي أُمرنا أن نسلِّم عليه وأنّه يردّ علينا السلام إذا ذكرناه.

نحن نقول له: السلام عليك يا مؤنس الإمام عجل الله فرجه، فإن الإمام الرضا عليه السلام أمرنا بالسلام عليه ووصفه بأنه مؤنس الإمام.

- الخضر عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي صُرِّح باسمه من الذين يرفعون وحشة الإمام عجل الله فرجه، هو الوحيد الذي وُصف بأنّه مؤنس الإمام عجل الله فرجه، فهذا وصف خاص به، وهو الوحيد الذي وُصف وعرفناه بأنّه من الأشخاص الذين تُوصل بهم وحدة الإمام عجل الله فرجه.

- الخضر عليه السلام هو الذي يؤمِّن علىٰ دعاء المؤمنين في الموسم، فيا ترىٰ كم دعونا ونحن نستحضر أنّ مؤنس الإمام عجل الله فرجه يؤمِّن علىٰ دعائنا، وأنّ الدعاء الذي يؤمِّن عليه مَن به تُوصل وحدة الإمام عجل الله فرجه، هل يحتمل فيه أنّه يُردّ؟

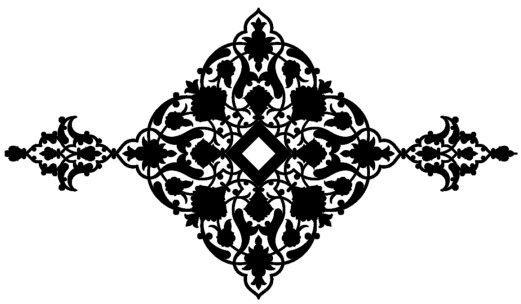

المعود
ALMAUOOD

تحصين العقيدة المهدوية

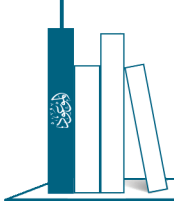

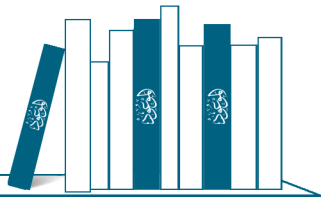

الشيخ جاسم الوائلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ محمد وآله الطاهرين.

إنّ الاعتقاد بوجود المهدي عجل الله فرجه وبقائه حيّاً حتىٰ يأذن الله تعالىٰ له بالقيام هو كغيره من الاعتقادات الحقّة، من جهة أنّه عرضة للتزلزل والشّك، لسببٍ أو آخر.

وإلىٰ هذه المسألة الخطيرة أشارت جملة من الروايات، من قبيل: ما رواه علي بن جعفر، عن أخيه موسىٰ بن جعفر عليه السلام[1]، قال: «إذا فُقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم، لا يزيلكم عنها أحد، يا بنيّ؛ إنّه لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتىٰ يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنّما هو محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه...»[2].

ومن قبيل ما رواه المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام

---

١. الظاهر وجود سقط في سند الرواية وأنّ الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام يرويها عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام، بقرينة ما سيأتي من قوله عليه السلام: «يا بنيّ»، ولو كان المخاطَب فيها علي بن جعفر لقال له: يا أخي، ويؤكّده أنّ السابع هو نفسه الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام، فلو كان الحديث حديثه لقال: الخامس من ولدي، وهذا بخلاف ما لو كان حديث أبيه عليه السلام، إذ له أن يعبّر بهذا التعبير، كما له أن يقول: الخامس من ولد ابني.

٢. الكافي: ج١، ص٣٣٦، ح٢.

يقول: «إيّاكم والتنويه، أما والله لَيغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحصنّ حتىٰ يقال: مات، قُتل، هلك، بأيّ وادٍ سلك؟ ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفأنّ كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه، ولترفعنّ اثنتا عشرة رايةً مشتبهة، لا يُدرىٰ أيٌّ من أيٍّ»، قال: فبكيت، ثم قلت: فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلىٰ شمس داخلة في الصفّة فقال: «يا أبا عبد الله[1]؛ ترىٰ هذه الشمس؟»، قلت: نعم، فقال: «والله لأمرنا أَبينُ من هذه الشمس»[2].

ولتحصين الاعتقادات الحقّة مرتكزات ثلاثة:

المرتكز الأول: عدم اغترار المؤمن بما هو عليه من الإيمان أو العلم والمعرفة، بل عليه أن يستجير بالله تعالىٰ علىٰ الدوام، ويستعيذ به من الزيغ والانحراف[3]، وكما علّمنا سبحانه في كتابه بقوله: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨).

والوجه في ذلك أنّ الإيمان والعلم وحدهما لا يعصمان الإنسان من الزيغ والضلال.

أمّا الإيمان فقد دلّت جملة من النصوص علىٰ إمكان زواله، كالنصّ الدالّ صريحاً علىٰ أنّ الإيمان منه مستقرٌّ، ومنه مستودع، وهذا الثاني قابل للزوال، وما دلّ علىٰ أنّ العبد ربما يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ومن الروايات الجامعة لكلا المعنيين ما رواه كليب بن معاوية الأسدي، عن أبي عبد الله عليه السلام،

---

١. أبو عبد الله كنية المفضَّل بن عمر، فلا تغفل.

٢. الكافي: ج١، ص٣٣٦، ح٣.

٣. من وصايا شيخنا الأستاذ الشيخ الايرواني (دامت إفاضاته) التي يردّدها بين الفينة والأخرىٰ كلّما دعت إليها مناسبة قوله: (علينا ـ دائماً ـ أن نلوذ بالله تعالىٰ).

قال: «إنّ العبد يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً، وقومٌ يُعارون الإيمانَ، ثمّ يُسلبونه، ويُسمَّون المُعارين، وفلانٌ منهم»[1].

وأمّا العلم فلا شكّ في عدم كفايته للعصمة من الضلال، وإلّا فكثير من أئمّة الضلال هم من العلماء بلا أدنىٰ شكّ، بل لو قيل: إنّ إبليس من أعلم العلماء لم يكن مجانباً للواقع.

المرتكز الثاني: مراجعة الأدلّة، لأنّها هي العلّة الموجبة للعلم بحقّانية هذه العقيدة أو تلك، ومن البديهيّ أنّ العلم بثبوت العلّة يستتبع وبشكل قهريّ العلم بثبوت المعلول، والمعلول هنا كما أسلفنا هي الحقّانية، والعلم بحقّانية العقيدة يستتبع قهراً منع حصول الشك فيها، أو رفعه لو حصل بالفعل.

هذا وقد أشبع العلماء والباحثون العقيدة المهدوية شرحاً واستدلالاً وبرهنة وردّاً للإشكالات التي وُجهت إليها، بحيث لم يتركوا لجاهل أو شاكٍّ أو مشكّكٍ عذراً.

المرتكز الثالث: معرفة الأسباب الموجبة للشّك، لأجل الحذر من الوقوع في شراكها كما حصل لبعضهم والعياذ بالله تعالىٰ.

ومن هنا يتّضح أنّ تحصين العقيدة المهدوية من الشك والتزلزل يرتكز علىٰ هذه المرتكزات الثلاثة كغيرها من الاعتقادات الحقّة.

والبحث الذي بين يديك - عزيزي القارئ - يسلّط الضوء علىٰ المرتكز الثالث بالخصوص، ويستعرض بعض الأسباب الموجبة للشك في حقّانية العقيدة المهدوية، ويبيّن كيفية التغلّب عليها من خلال التذكير ببعض أدلّة حقّانيتها، ومن الله عزّ وجلّ نستمدّ العون والتوفيق.

---

١. الكافي: ج٢، ص٤١٨، ح٢.

جملة من أسباب الشك:

وفي هذا المجال نذكر ما تيسّر استحضاره من أسباب للشّك، ونتعرّض لكيفية معالجتها، ومنه يعرف الطريق لمعالجة ما لم نستحضره منها ولو بشكل مجمل.

ولما لم نكن بصدد تمييز الأهمّ منها عن المهمّ، لم نلتزم بذلك في ترتيبها، وربما كان المتأخّر أهمّ من المتقدّم، فلتكن على بيّنة من ذلك.

السبب الأوّل: الوسوسة:

من نافلة القول إنّ للوسوسة ثلاثة مصادر:

الأوّل: شياطين الجنّ بزعامة إبليس.

الثاني: شياطين الإنس.

الثالث: النفس الأمّارة بالسّوء.

والمعركة بين المؤمن وهؤلاء الثلاثة على قدم وساق، وهي معركة شرسة لم تتوقّف يوماً منذ أن كان آدم عليه السلام في الجنة، وهي مستمرّة حتى يوم الناس هذا، ولن تتوقّف مادام عالم الابتلاء والتكليف باقياً، أعني الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

أمّا شياطين الجنّ فقد أخذ زعيمهم إبليس على نفسه أن يضلّ بني آدم عليه السلام مهما أمكنه ذلك حسداً منه وعداوة لآدم عليه السلام وبنيه، كما حكاه القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٦-١٧)، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢-٨٣).

ولذا جنّد جنوده من الجنّ، وأوكل إليهم مهمّة إضلال العباد كما بيّنته كلمات أهل بيت العصمة عليهم السلام، من قبيل ما روي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنّ إبليس عليه لعائن الله يبثُّ جنود الليل من حيث تغيب الشمس وتطلع، فأكثروا ذكر الله عزّ وجلّ في هاتين الساعتين، وتعوّذوا بالله من شرّ إبليس وجنوده، وعوِّذوا صغاركم في تلك الساعتين، فإنّهما ساعتا غفلة»[١].

وينبغي الالتفات إلىٰ أنّ الشغل الشاغل لإبليس هو إضلال المؤمنين علىٰ وجه الخصوص كما جاء في رواية زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال: «يا زرارة؛ إنّما عَمَدَ لك ولأصحابك، وأمّا الآخرون فقد فرغ منهم»[٢].

وقد حذّر الله عزّ وجلّ ذرّية آدم عليه السلام من تسويل الشيطان وإضلاله، وسيأتي اليوم الذي يذكّر فيه سبحانه الذين لم يأخذوا بتحذيره تعالىٰ، واتّبعوا أمر اللّعين، فيقول لهم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (يس: ٦٠-٦٤).

وأمّا شياطين الإنس فقد أشير إليهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢).

---

١. الكافي: ج٢، ص٥٢٢، ح٢.

٢. تفسير العياشي: ج٢، ص٩، ح٧.

وهؤلاء صنفان:

١ - المعادون للدين علناً من الملحدين والمشركين.

٢ - المعادون للدين في الخفاء والمتستّرون بغطاء الإسلام من المنافقين.

والصنف الأوّل كان ولا يزال يطعن في الدين بمختلف السبل، لا سيما في العصر الحديث، من قبيل ما يزعمونه من مخالفة تراث الإسلام للبحوث والدراسات العلمية والمكتشفات الحديثة، مع أنّ أكثرها مجرّد ظنون ونظريات لم يحسم أمرها بعد.

والصنف الثاني يلعب دور المساعد للأوّل، فهو يده التي تعبث بتعاليم الإسلام ومعارفه، من خلال التشكيك فيها بطرح التساؤلات التي من شأنها إثارة الشّك في نفوس عوامّ المسلمين، وأنّه لماذا جعل الله تعالىٰ كذا كذا، ولم يجعله كذا؟ ولِمَ قال النبي صلى الله عليه وآله كذا أو فعل كذا، ولم يقل كذا أو يفعل كذا؟

وعموم الناس بطبيعتهم لا يلتفتون إلىٰ الهدف الحقيقي من وراء طرح هذه الأسئلة، ظنّاً منهم أنّ الهدف من طرحها هو طلب العلم والتعلُّم.

وأمّا النفس الأمّارة بالسّوء فقد أشير إليها في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٣)، كما أشير إليها أيضاً في الروايات، من قبيل الحديث المعروف الذي رواه الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سرية فلّما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله؛ وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس»[١]، وما رواه قدس سره عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»[٢].

١. معاني الأخبار: ص١٦٠، (باب: معنىٰ الجهاد الأكبر)، ح١.

٢. المصدر السابق، بلا ترقيمٍ للحديث، وكان ينبغي إعطاؤه رقم٢.

وعلىٰ المؤمن أن تكون مجسّاته في غاية التحسُّس لما تسوّل به نفسه، ويميّز بين المسائل التي تطرحها النفس عليه، فإنّ الغرض الأساسي من طرحها لبعض المسائل هو إيجاد المبرّر للتحلُّل من الأحكام الإلزامية - الواجبات والمحرّمات - التي تتضمّنها تلك المسائل، كما في تساؤل بعض النساء عن دليل وجوب التستّر، وتساؤل بعض الرجال - لا سيما الشباب منهم - عن دليل حرمة إقامة علاقة صداقة مع الأجنبية بدون عقد شرعي تحت عنوان الحب مثلاً.

وممّا تقدّم يتّضح أنّ هذه المصادر الثلاثة: شياطين الجنّ، وشياطين الإنس، والنفس الأمّارة بالسّوء، بمقدورها أن تثير الشك في العقيدة المهدوية، وبعدّة طرق:

الطريق الأوّل: التشكيك في مجمل أدلّتها:

ويمكن دفعه من خلال مراجعة تلك الأدلّة وإتقانها، ولو من خلال الاستعانة بالعلماء أو بعض تلامذتهم.

الطريق الثاني: التشكيك في إمكان بقاء الإنسان حيّاً كلّ هذه المدّة:

وهذا والذي بعده هو من التشكيك في بعض مسائل العقيدة المهدوية.

والتشكيك المذكور هو ما أشارت إليه الروايتان اللّتان صدّرنا بهما البحث، لاسيما قول الإمام الصادق عليه السلام في رواية المفضّل بن عمر: «أما والله لَيغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحصنّ حتىٰ يقال: مات، قُتل، هلك، بأيّ واد سلك؟».

ويمكن دفع التشكيك المذكور بعدّة وجوه:

١ - البديهة العقلية:

فإنّ إمكان التعمير لهذه المدّة - بل وأضعافها - هو من البديهيّات العقلية، لأنّ العقل لا يرىٰ وجود أيّ استحالة في ذلك.

٢ - الضرورة الدينية:

فإنّ من ضروريّات ديننا الحنيف أنّ الله عزّ وجلّ قادر علىٰ كلّ شيء، وبالتالي فهو تعالىٰ قادر علىٰ أن يعمّر بعض عباده ما شاء من التعمير ولو لآلافٍ من السنين، خصوصاً وأن ذلك أمر ممكن في حد نفسه.

٣ - الوقوع الخارجي:

فإنّ التعمير لهذه المدّة أو ما يقاربها أمر وقع في الخارج بالفعل لا أنّه ممكن فحسب، والوقوع خير دليل علىٰ الإمكان كما يقولون، فقد عمَّر نوح النبي عليه السلام ضعف العمر الحالي لإمامنا المهدي عجل الله فرجه، وعمّر العبد الصالح - أعني الخضر عليه السلام - أضعاف عمر النبي نوح عليه السلام.

أمّا تعمير النبي نوح عليه السلام فقد روي فيه عدّة أحاديث، ونذكر هنا حديثين رواهما الصدوق قدس سره وإن كانا مختلفين في مقدار عمره عليه السلام، إلّا أنّهما متّفقان علىٰ أنَّه عمَّر أكثر من ألفين وأربعمائة سنة.

الحديث الأول: أنّ عمره عليه السلام ألفان وخمسمائة (٢٥٠٠) سنةٍ، وهو ما جاء في صحيح هشام بن سالم، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: «عاش نوحٌ ألفي سنةٍ وخمسمائة سنة، منها: ثمانمائة وخمسون سنةٍ قبل أن يبعث، وألفُ سنةٍ إلّا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، وسبعمائة عامٍ بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء، فمَصَّرَ الأمصار، وأسكن ولده البلدان»[1].

١. كمال الدين: ج٢، ص٥٢٣، ب٤٦، ح١.

الحديث الثاني: أنّ عمره عليه السلام ألفان وأربعمائة وخمسون (٢٤٥٠) سنةً، وهو خبر محمد بن يوسف التميمي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «عاش أبو البشر آدم تسعمائة وثلاثين سنّة، وعاش نوحٌ ألفي سنةٍ وأربعمائة سنةٍ وخمسين سنةٍ»[١].

ولا يهمّنا البحث في كيفية التوفيق بين الحديثين، أو ترجيح الأوّل لصحّة سنده وضعف سند الثاني[٢]، لأنّهما متّفقان علىٰ أنّ عمر نوح عليه السلام لا يقلّ عن ألفي سنة وأربعمائة وخمسين سنة، وعلىٰ كلا التقديرين يدلّان علىٰ أنّ عمر النبي نوح عليه السلام يزيد علىٰ عمر إمامنا الحجّة عجل الله فرجه حتىٰ عامنا هذا بألف سنة ومائتين واثنتين وستين (١٢٦٢) سنة تقريباً[٣].

وأمّا تعمير العبد الصالح فهو أضعاف ذلك علىٰ ما تعتقده الإمامية تبعاً لأئمتهم عليهم السلام، ووافقهم في ذلك بعض أعلام المخالفين.

وبعض من ذهب منهم إلىٰ موته روىٰ أنّ اسمه خضرون بن قابيل بن آدم عليه السلام، فيكون عمره إلىٰ حين وفاته المزعومة قد تجاوز الآلاف من السنين إذا قلنا بأنّ وفاته كانت بعد زمان نبيّنا صلى الله عليه وآله، بناءً علىٰ ما كذبه البخاري عليه صلى الله عليه وآله مِن أنّه قال: (لا يبقىٰ علىٰ رأس مائة سنة ممن هو علىٰ وجه الأرض أحد)!

بل جاء في صريح رواياتنا أنّ الحكمة من تعمير الخضر عليه السلام هو الاحتجاج بتعميره علىٰ منكري تعمير المهدي عجل الله فرجه، فقد روىٰ الصدوق قدس سره

١. كمال الدين: ج٢، ص٥٢٣، ب٤٦، ح٣.

٢. ضعفه من جهتين: الأولىٰ: جهالة محمد بن يوسف التميمي الراوي عن الإمام الصادق عليه السلام. الثانية: استبعاد روايته عن الإمام الصادق عليه السلام بلا واسطة، إلّا أن يكون من المعمِّرين، فيحتمل احتمالاً معتدّاً به سقوط واسطة بينه وبين الإمام عليه السلام، فيكون ذلك موجباً لانقطاع السند.

٣. عمره الشريف في عامنا هذا - وهو سنة ١٤٤٣ للهجرة -: ألف سنة ومائة وثمانية وثمانون ١١٨٨ سنة بناء علىٰ أنّه عجل الله فرجه ولد سنة ٢٥٥هـ.

بسنده عن سدير الصيرفي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث طويل حول غيبة المهدي عجل الله فرجه، وجاء فيه: «وأمّا العبد الصالح أعني الخضر؛ فإنّ الله تبارك وتعالىٰ ما طوّل عمره لنبوّةٍ قدّرها له، ولا لكتابٍ ينزله عليه، ولا لشريعةٍ ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامةٍ يُلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعةٍ يفرضها له، بلىٰ[1] إنّ الله تبارك وتعالىٰ لمّا كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم في أيّام غيبته ما يقدّر وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول طوَّل عمر العبد الصالح في غير سببٍ يوجب ذلك، إلّا لعلّة الاستدلال به علىٰ عمر القائم، وليقطع بذلك حجّة المعاندين، لئلّا يكون للنّاس علىٰ الله حجّة...»[2].

والخلاصة: أنّ التعمير ممكن عقلاً، بل ثابت وقوعه بالضرورة من الدين، ومنكرها يندرج في سلك الكافرين، ومعه فلا مانع من تعمير المهدي عجل الله فرجه عقلاً ونقلاً، بل تواترت بذلك الأخبار، وإنكاره موجب للخروج من مذهب الإمامية الاثني عشرية.

الطريق الثالث: التشكيك في انتفاء الحاجة إلىٰ شخص الإمام المهدي عجل الله فرجه، وذلك بحجّة أنّ إقامة دولة الحقّ في آخر الزمان لا تتوقّف عليه بالخصوص، لأنّ الله تعالىٰ قادر علىٰ أن يخلق ويهيّئ من يقوم بهذه المهمّة، وهو معتقد جمهور المخالفين.

ويمكن دفعه باستحضار الروايات الدالة صريحاً علىٰ أنّ الذي أسندت إليه هذه المهمّة هو الإمام المهدي عجل الله فرجه حصراً دون غيره، وهي روايات متواترة، بل تجاوزت حدّ التواتر.

---

١. كذا، ولعلّ الصحيح: بل.

٢. كمال الدين: ج٢، ص٣٥٢، ب٣٣، ح٥٠.

وبعد القطع بكونه هو الذي أسندت إليه تلك المهمّة لا يضرّ الجهل بالحكمة من حصرها به.

هذا مضافاً إلىٰ أنّ كلّ مسلم يعتقد اعتقاداً جازماً بأنّ الله تعالىٰ هو أعلم بالمصلحة، ولمن يوكل إليهم المهام، ومن لا يوكلها إليهم، كما هو الحال في جعله تعالىٰ النبوَّة لهذا الشخص دون ذاك، وعلىٰ كلّ من يعترضه الشكّ في ذلك أن يستحضر ما أشرنا إليه من الروايات المتواترة، كما عليه أن يستحضر قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتىٰ مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٤)، وأن يحذروا أشدّ الحذر من أن يندرجوا في دائرة المعترضين علىٰ مشيئة الله تعالىٰ وحكمته.

الطريق الرابع: التشكيك في أصل ولادة المهدي عجل الله فرجه:

ودفعه أهون من شربة ماء، فإنّ الروايات الدالة علىٰ تولّده عجل الله فرجه من الإمام الحسن العسكري عليه السلام مباشرة وبلا واسطة في منتصف القرن الثالث للهجرة (٢٥٥هـ تقريباً) قد تجاوزت حدّ التواتر بأضعاف مضاعفة، ومنها ما دلّ عليه بالمطابقة، ومنها ما دلّ بالالتزام.

ويمكن في هذا الصدد مراجعة مؤلّفات أصحابنا التي جمعت تلك الروايات، من قبيل كتب المحمدين الأربعة:

١ - الكافي، لثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني قدس سره.

٢ - الغيبة، لتلميذه الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني.

٣ - كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمّي قدس سره.

٤ – الغيبة، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي قدس سره.

وقد دفعنا – بتوفيق من الله تعالىٰ – هذه الشبهة بما لا مزيد عليه في كتابنا المخطوط (إقامة الحجّة علىٰ من أنكر ولادة الحجة عجل الله فرجه)، فقد أحصينا فيه أكثر من (٢٥٠) مائتين وخمسين رواية في هذا المجال بحسب ما تيسّر لنا، وقد قامت مجلّة الموعود مشكورةً بنشر مقالة مختصرة من الكتاب المذكور[١].

هذه جملة من الطرق التي يمكن لأعداء الدين أن يسلكوها بهدف تشكيك المؤمنين في عقيدتهم المهدوية، وقد عرفت كيفية دفعها بحمد الله.

السبب الثاني: التقزُّم والشعور بالدونية:

إنّ التقزُّم والشعور بالدونية أمام الآخر هو أحد الأسباب التي تجعل الفرد يتراجع عن بعض العادات والتقاليد التي جرت عليها سيرة محيطه من العائلة أو القبيلة أو الشعب، سواء في ملبسه أم مأكله أم مشربه أم مركبه أم مسكنه أم حتىٰ في مشيته وجلسته، وربما وصل به الحال إلىٰ التراجع عن بعض أفكاره ومعتقداته ومبادئه.

ولهذا الشعور مناشئ عديدة:

منها: الانبهار بالآخر الناشئ من الوهم، كالانبهار بتقدّم المجتمعات الغربية علىٰ المجتمعات الشرقية، لاسيما البلدان الإسلامية والعربية منها، حتىٰ ظنّ بعض الجهلة أنّ السبب وراء ذلك هو الدين، وكأنّ الإيمان بالله تعالىٰ واليوم الآخر وأنبيائه مدعاة للجهل والتخلّف، فيما يكون الكفر والإلحاد مدعاةً للتقدّم والتحضُّر.

وقد فات هؤلاء أنّ الغرب لم يتقدّم إلّا في الجانب المادّي، وأنّه لم يتقدّم فيه خطوة إلّا وتأخّر خطوة بل خطوات في الجانب المعنوي، سواء في بُعده الديني أم بعده الأخلاقي والإنساني.

١. في العدد ١١/ جمادىٰ الآخرة ١٤٤٢هـ – كانون الثاني ٢٠٢١م.

أمّا في البُعد الديني فهو من أوضح الواضحات، إذ بات أقصىٰ هدفهم في الوجود أن يعيشوا حياتهم الدنيا برغد ورفاهية وراحة بال وسلامة جسد، ولم يعطوا لآخرتهم أدنىٰ اهتمام، هذا لو بقي عند بعضهم شيء من الإيمان بالآخرة، لكنّهم خسروا آخرتهم، ولم يصلوا إلىٰ هدفهم في الدنيا، فلا رغد ولا رفاهية في العيش، ولا راحة بالٍ، ولا سلامة جسد، وها هو الواقع ببابك.

وما يصدّره إعلامهم للناس فهو يشتمل علىٰ أكاذيب كثيرة وتزييف للحقائق، لكن مشكلة العرب والمسلمين أنّ أكثرهم لا يقرأون ولا يتابعون، بل ربما يصير بعضهم ملكاً أكثر من الملك، فتجده يبالغ في مدحهم، بل يستميت في الدفاع عنهم، بل يجرح في انتقاده من ينتقدهم من أبناء جلدته!

وأمّا في البُعد الإنساني والأخلاقي فحدِّث ولا حرج، إذ ما من شعار يرفعونه في ميدانٍ إلّا وينقضونه في ميدان آخر، ففي الوقت الذي يرفعون عقيدتهم بالدعوة إلىٰ مراعاة حقوق الإنسان تجدهم أوّل من ينتهكها انتهاكاً صارخاً بلا خجل ولا حياء.

بل أكثر من ذلك، ففي الوقت الذي تراهم يبكون بدل الدموع دماً لموت كلب عاش مدلّلاً أكثر من دلال أطفالهم تراهم يغضّون النظر عن جرائم حكوماتهم حينما يبيدون الآلاف من الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ بأسلحة فتّاكة لا تبقي ولا تذر، وبدمٍ باردٍ، ومن دون أن يرفّ لهم جفن.

وما تراه من لطف في معاملتهم، وتماوع في حديثهم، وأدبٍ رفيع في مكالمتك لا يعدو كونه وجهاً من وجوه النفاق الاجتماعي الذي صار ثقافة لتلك الشعوب، بشاهد أنّك تجد المجرمين من المسؤولين في حكوماتهم تتَّبع ذات الأسلوب عندما يتحدّثون إلىٰ الجماهير أو الإعلام أو عندما يصدرون

قرارتهم بسحق آلافٍ من الأبرياء هنا أو هناك، فإن اعتراك في هذا شكّ فما عليك إلّا أن تتابع خطابات مسؤوليهم في أمثال ما ذكرت لك، وما يتبعه من تأييد شعبيٍّ كبيرٍ من مختلف أطياف شعوبهم، بمن فيهم أولئك الذين تعتقد أنّهم تقدّميّون ومتحضّرون ومثقّفون، بل ربما تجد بعض هؤلاء أشدّ إجراماً وقساوة ووحشية من عامّة الشعب، بل وينظّرون لحكّامهم في مجال إبادة الشعوب المسحوقة بألف حجّة وحجّة.

هذا مضافاً إلىٰ أنّ المنبهرين - بل وغيرهم - لا يفرّقون بين مصطلحي التقدّم والتحضُّر، فإنّه لا تلازم بينهما خارجاً، فربما يتقدّم الإنسان ويتحضّر، وربما يتقدّم ولا يتحضّر، والحاصل في بلدان الغرب ليس هو إلّا التقدّم المادّي كما نبّهنا، وأمّا في مجال التحضّر فلا يوجد أدنىٰ مؤشّر علىٰ ذلك، فيما يوجد أكثر من مؤشّر علىٰ وجود تراجع كبير في هذا الميدان.

وبيان هذه المفارقة يحتاج إلىٰ مناسبة أخرىٰ ربما نتعرّض لها في بحث مستقل.

ومنها: الشخصية الانهزامية، فإنّ بعض الأشخاص يعانون حالة الانهزام أمام الآخر، ولا يصمد في سوح المواجهة الفكرية، وربما تبلغ الانهزامية عند بعضهم حدّاً يشك معه في كلّ شيء يختلف فيه مع الآخر فيما لو كان ذلك الآخر يتمتّع بقوّة في شخصيّته.

وأمثلة ذلك كثيرة، من قبيل الانهزام أمام ذوي الاختصاص، كما لو صرّح أحد المختصّين في علم من الفيزياء بما يتعارض مع العقل أو النقل - من كلام الله تعالىٰ أو حديث المعصوم - فتراه يتردّد كثيراً في رفض كلامه والردّ عليه، بل يسري الشك إلىٰ نفسه في صواب ما قاله الله ﷻ أو المعصوم، وما ذلك إلّا لأنّ الكلام الذي خالفهما قد سمعه من مختصّ، وقد بلغت به

الانهزامية أنّه لم يمنح لنفسه حتىٰ مثل المطالبة بالدليل علىٰ صحّة ما قاله ذلك المختصّ، وكأنّه يفترض سلفاً أنّ أصحاب الاختصاص مصيبون في كلّ ما يقولون، ويتعامل معهم معاملة المعصوم من الخطأ والاشتباه.

ولهذا المنشأ آثار خطيرة نراها اليوم تتجلّىٰ في بعض الدعوات التي نسمعها بين الحين والآخر من بعض المحسوبين علىٰ الإسلام أو مفكّريهم وعلمائهم.

ومجمل دعواتهم هذه هو المطالبة بإعادة النظر في جملة من المسائل الدينية، من قبيل: ميراث الأنثىٰ، وعقوبة السرقة، وعقوبة الزنا، واللواط، والسحاق، وأحكام الارتداد، والحجاب للمرأة، وقيمومة الزوج علىٰ زوجته، ولاية الأب علىٰ أولاده قبل الرشد، وفريضة النهي عن المنكر، وغير ذلك من المسائل التي يشعر هؤلاء بالانهزامية أمام المنتقدين لهذه المسائل من الملحدين وإخوانهم ممّن عُرف عنهم العداء للدين.

ويمكن معالجة الانهزامية من خلال تشييد البناء الفكري والعقدي وتقويتهما، فإنّ ذلك يستتبع إعادة الثّقة بصواب الشرع المبين وأحكامه، وبالتالي يستتبع الاطمئنان ببطلان كلّ ما خالفه.

ويجدر في هذا المقام تذكير النفس بترديد بعض النصوص بين حين وآخر، من قبيل:

١ - قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٩).

٢ - وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا

بِعَهْدِ اللهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾ (النحل: ٩٠-٩١).

٣ - وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

٤ - وما رواه الصدوق قدس سره بسنده عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «إنّ دين الله عزّ وجلّ لا يصاب بالعقول الناقصة، والآراء الباطلة، والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلّا بالتسليم، فمن سلَّم لنا سَلِمَ، ومن اقتدىٰ بنا هُدِيَ، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً ممّا نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم»[1].

وغيرها من النصوص النافعة في هذا المجال، فإن لم ينتفع بها هؤلاء فعليهم أن يأخذوا العبرة من أتباع الديانات الأخرىٰ واعتزازهم بأديانهم، حتىٰ أنّ عُبّاد البقر يعتزون بعقيدتهم، وفيهم الكثير من حملة الشهادات العليا، فتراهم يتذلّلون لها، ويتمسّحون بها، ويتبرّكون بأبوالها، فإن لم يتمكّن الانهزاميّون من المسلمين أن يكونوا أشدّ وفاءً واعتزازاً بعقيدتهم من عبدة الأبقار، فلا أقلّ يكونون مثلهم.

السبب الثالث: طول الأمد وقسوة القلوب:

إنّ استبطاء الظهور المقدّس لطول أمد الغيبة يشكّل أحياناً عاملاً من عوامل قسوة القلوب، كما حذّر الله عزّ وجلّ منها في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ

١. كمال الدين: ج١، ص٣٢٤، ب٣١، ح٩.

أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦).

وقسوة القلوب تشكّل بدورها عاملاً مساعداً في زلزلة العقيدة، لاسيما العقيدة المهدوية، ويعضد هذا العامل عامل الملل والضجر الملازم للطبيعة البشرية.

وبالإمكان معالجة السبب المذكور إذا تمّت مراعاة جملة من الأمور:

منها: أخذ العبرة ممّا ابتلي به المؤمنون من قوم نوح عليه السلام، وكيف ارتدّوا بعد إيمانهم نتيجة استبطائهم لما وعدهم به، علىٰ ما جاء في رواية سدير الصيرفي المتقدّمة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، حيث قال عليه السلام: «وأمّا إبطاء نوح فإنّه لمّا استنزل العقوبة علىٰ قومه من السماء بعث الله عزّ وجلّ الرُّوح الأمين بسبع نويّات، فقال: يا نبيّ الله؛ إنّ الله تبارك وتعالىٰ يقول لك: إنّ هؤلاء خلائقي وعبادي، ولستُ أبيدهم بصاعقة من صواعقي، إلّا بعد تأكيد الدعوة وإلزام الحجّة، فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك، فإنّي مثيبك عليه، واغرس هذه النّوىٰ، فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص، فبشّر بذلك من تبعك من المؤمنين.

فلمّا نبتت الأشجار وتأزّرت وتسوّقت وتغصّنت وأثمرت وزها التمر عليها بعد زمان طويل، استنجز من الله سبحانه وتعالىٰ العِدَةَ، فأمره الله تبارك وتعالىٰ أن يغرس من نوىٰ تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد، ويؤكّد الحجّة علىٰ قومه، فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به، فارتدّ منهم ثلاثمائة رجلٌ، وقالوا: لو كان ما يدّعيه نوح حقّاً لمّا وقع في وعد ربّه خلف.

ثـمَّ أنّ الله تبـارك وتعـالىٰ لم يـزل يأمـره عنـد كلّ مـرّة بـأن يغرسـها مـرّة بعـد أخـرىٰ، إلىٰ أن غرسـها سـبع مـرَّات، فـما زالـت تلـك الطوائـف مـن المؤمنـين ترتـدّ منـه طائفـة بعـد طائفـة، إلىٰ أن عـاد إلىٰ نيّـف وسـبعين رجـلاً، فأوحـىٰ الله تبـارك وتعـالىٰ عنـد ذلـك إليـه وقـال: يـا نـوح؛ الآن أسـفر الصبـح عـن اللّيـل لعينـك حـين صرح الحـقُّ عـن محضـه، وصفـىٰ [الأمـر والإيـمان] مـن الكـدر بارتـداد كلِّ مـن كانـت طينتـه خبيثـة، فلـو أنّي أهلكـت الكفّـار وأبقيـت مـن قـد أرتـدّ مـن الطوائـف التـي كانـت آمنـت بـك لمّـا كنـت صدقـت وعـدي السـابق للمؤمنـين الذيـن أخلصـوا التوحيـد مـن قومـك، واعتصمـوا بحبـل نبوّتـك، بـأن أسـتخلفهم في الأرض، وأُمكّـن لهـم دينهـم، وأُبـدّل خوفهـم بالأمـن، لكـي تخلـص العبـادة لي بذهـاب الشـك مـن قلوبهـم...»، إلىٰ أن قـال عليه السلام: «وكذلـك القائـم فإنـه تمتـدُّ أيّـام غيبتـه ليـصرح الحـقُّ عـن محضـه، ويصفـو الإيـمان مـن الكـدر بارتـداد كلِّ مـن كانت طينتـه خبيثـة مـن الشـيعة الذيـن يخشـىٰ عليهـم النفـاق إذا أحسـوا بالاسـتخلاف والتمكـين والأمـن المنتـشر في عهـد القائـم...»[1].

ومنهـا: ضرورة الالتفـات إلىٰ أنّ طـول الأمـد إنّـما هـو بملاحظـة مجمـوع المُـدَدِ التـي قضتهـا الأجيـال في الانتظـار، وأمّـا بملاحظـة المـدّة التـي يقضيهـا الفـرد المنتظـر فهـي مـدّة قصـيرة وليسـت بالطويلـة.

ذلـك ببيـان: أنّ الفـرد غـير معنـيٍّ بـما قضـاه الذيـن سـبقوه في الانتظـار، بـل يلاحـظ السـنوات التـي يقضيهـا هـو شـخصيّاً فحسـب، فلـو كان في عمـر الأربعـين مثـلاً وكان قـد اهتـمّ بهـذه المسـألة في العشريـن مـن عمـره فتكـون مـدّة انتظـاره ضمـن العشريـن الثانيـة فحسـب، وبطـرح شـطرٍ منهـا للنـوم والشـواغل الأخـرىٰ تكـون مـدّة انتظـاره الفعليـة أقـلّ مـن عـشر سـنوات، ومعلـوم أنّ هـذه المـدّة ليسـت

١. كمال الدين: ج٢، ص٣٥٢، ب٣٣، ح٥٠.

شيئاً يذكر في جنب انتظار آخر الأوصياء الإمام الحجة عجل الله فرجه والذي أُوكلت إليه إقامة دولة العدل الإلهي، ناهيك عمّا يعيشه الفرد المنتظِر خلال هذه المدّة من الأمل بقرب الظهور المقدّس، لما يراه من امتلاء الأرض من الظلم والجور، فينشط للدعاء له عجل الله فرجه بالفرج كأنّه يراه قاب قوسين أو أدنىٰ، كما أشير إلىٰ ذلك في دعاء العهد الذي روي عن الإمام الصادق عليه السلام استحباب الدعاء به أربعين صباحاً، حيث جاء فيه: «اللّهمّ اكشف هذه الغمّة عن هذه الأمّة بحضوره، وعجّل لنا ظهوره، إنّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً، برحمتك يا أرحم الراحمين»[1].

ومنها: أنّ طول الأمد ليس أمراً سلبيّاً ولا إيجابيّاً في حدّ نفسه، بل السلبية والإيجابية كلتاهما ترجعان إلىٰ الفرد المنتظِر، فإن عاش الانتظار متذمّراً معترضاً جازعاً كان طول الأمد سلبياً بالنسبة إليه، بل ربما يورثه الشّك والتزلزل في عقيدته المهدوية، وإن عاش صابراً محتسباً مسلِّماً كان طول الأمد إيجابيّاً له، لأنّه موجبٌ لمضاعفة حسناته، ورفع درجاته، وزياد إيمانه، كما يرشّحه لأن يكون من أعوانه عجل الله فرجه وأنصاره، والمقرّبين لديه (صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين).

ومنها: أنّ الذي يجب علىٰ المؤمن في الغيبة إنّما هو العمل بتكاليفه الشرعية الإلزامية إلىٰ جانب انتظار الفرج، مع التسليم فيه لمشيئة الله تعالىٰ وإرادته، وأن لا يتعجّل الظهور المبارك، كما أشير إلىٰ ذلك في الدعاء الوارد استحبابه في زمن الغيبة، والذي أملاه النائب الأوّل عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه علىٰ أبي عليٍّ محمد بن همّام، وأوّله: «اللّهمّ عرّفني نفسك، فإنّك

١. مصباح الزائر: ج١، ص٤٥٥.

إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللّهمّ عرّفني نبيّك، فإنّك إن لم تعرّفني نبيّك لم أعرف حجّتك، اللّهمّ عرّفني حجّتك، فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني...»، إلىٰ أن قال: «وثبّتني علىٰ طاعة وليِّ أمرك الذي سترته عن خلقك، فبإذنك غاب عن بريّتك، وأمرَك ينتظر، وأنت العالم غير معلَّم بالوقت الذي فيه صلاح أمر وليّك في الإذن له بإظهار أمره، وكشف ستره، فصبّرني علىٰ ذلك، حتّىٰ لا أحبَّ تعجيل ما أخَّرت، ولا تأخير ما عَجَّلت، ولا أكشف عمّا سترته، ولا أبحث عمّا كتمته، ولا أنازعك في تدبيرك، ولا أقول: لِمَ؟ وكيف؟ وما بالُ وليِّ الأمر لا يظهر وقد امتلأت الأرض من الجور؟ وأفوِّض أموري كلّها إليك...»[1].

السبب الرابع: الانغماس في الذنوب:

فإنّ من آثاره أنّه يورث كراهة الحقّ والعياذ بالله تعالىٰ، وربما تبلغ كراهته أن يصبح مرتكبها من قتلة الأنبياء وأولاد الأنبياء، كما أشير إلىٰ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١)، فإنّ ظاهره أنّ هؤلاء إنّما ضُربت عليهم الذلّة والمسكنة وصاروا مستحقّين للغضب الإلهي لسببين: كفرهم بآياته، وقتلهم لأنبيائه، وأنّ هذين السببين ناشئان من العصيان والاعتداء، فإن كانت كثرة الذنوب تورث الكفر بآيات الله وقتل النبيّين فبالأَوْلىٰ تورث الشّك فيما هو دون ذلك، كبعض المسائل المرتبطة بالعقيدة المهدوية.

---

١. كمال الدين: ج٢، ص٥١٢، ب٤٥، ح٤٣.

السبب الخامس: ظلم العباد:

ذلك أنّ الظالمين يتوقّعون أن يكونوا من المشمولين بمعاقبة الإمام عجّل الله فرجه لهم عند خروجه، لِما بلغهم متواتراً من أنّه عجّل الله فرجه إنّما يخرج ليملأها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ولابدّ أن يتقدّمه إزاحة الظَلَمة من أمثالهم ومعاقبتهم، وبالتالي لا يكون خروجه عجّل الله فرجه في صالحهم.

وربما يتفاقم لدىٰ الظَّلَمة هذا الشعور الباعث علىٰ القلق حتىٰ يجرّهم إلىٰ الشّك في العقيدة المهدوية، كخطوة نفسية في طريق التخلّص من القلق المذكور.

السبب السادس: الوقوع في العلماء الربّانيّين:

إنّ عقيدة الإمامية في علمائهم الربّانيّين تبعاً لنصوص أئمّتهم عليهم السلام أنّهم: ورثة الأنبياء، وأمناء الرسل، وأنّ الفقيه منهم إذا مات ثُلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء، وأنّهم حجّة عليهم من قبل الإمام المهدي عجّل الله فرجه في زمن الغيبة، لا سيما في بيان الأحكام ومعالم الدين.

وهذا المقدار من النصوص يكفي لبيان ما للعلماء الربّانيّين من مكانة عند الله تعالىٰ ورسوله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، لاسيما خاتمهم المهدي عجّل الله فرجه، ما يعني أنّ الذين يقعون في هؤلاء العلماء إنّما يقعون في حملة تلك العناوين العظيمة والكريمة، ومن المتوقّع جدّاً - كما وقع بالفعل - أن يؤدّي ذلك والعياذ بالله إلىٰ سلب ولاية أهل البيت عليهم السلام ممّن يقع فيهم ويطعن عليهم، لاسيما لو كان معلناً بذلك، وفي ضمن ما يسلب منه عقيدته في الإمام الحجّة أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

السبب السابع: الجهل والاستنكاف:

فإنّ من أخطر الآفات التي تهدّد عقيدة المسلم أن تجتمع فيه هاتان الخصلتان، لأن الجهل يجعله عرضةً لتضليل المضلّين الذين يستهدفون الجهلة من الناس فيما يطرحونه من شبهات، لعلمهم بعدم قدرتهم علىٰ دفعها بعد عدم تسلّحهم بسلاح العلم الذي به حصراً تدفع كلّ شبهة، وبالتالي فليس بمقدور الجاهل دفعها ما لم يستعن بأهل العلم، لكن الاستنكاف يمنعه من ذلك، فتستولي الشبهات علىٰ قلبه حتىٰ يضلّ عن سواء الصراط والعياذ بالله.

ومن الواضح أنّ معالجة الجهل إنّما تكون بالتعلُّم، والتعلُّم يتوقّف علىٰ ترك الاستنكاف، وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار أمير الحكماء وحكيم الأمراء علي بن أبي طالبٍ عليه السلام فيما روي عنه أنّه قال: «قِوَام الدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلّم، وجواد لا يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيّع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلّم، وإذا بخل الغنيّ بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه...»[1].

ويمكن معالجة الاستنكاف ومحاربته من جبهتين ومحورين:

أحدهما: التفكير في عواقب الجهل، وأخطرها الضلال والانحراف عن دين الله تعالىٰ.

ثانيهما: إزاحة موجب الاستنكاف من خلال التعرُّف علىٰ مكانة العلم والعالم والمتعلّم في مقابل حال الجاهل، كما دلّت عليها جملة من الروايات، من قبيل:

١ - ما رواه أبو إسحاق السبيعي، عمّن حدّثه ممن يوثق به، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إنّ الناس آلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ ثلاثة،

١. نهج البلاغة ٤: ٨٨، من الخطبة ٣٧٢.

آلوا إلىٰ عالمٍ علىٰ هدىً من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره، وجاهلٍ مدّع للعلم لا علم له معجب بما عنده، قد فتنته الدنيا، وفَتَن غيره، ومتعلّمٍ من عالمٍ علىٰ سبيل هدىً من الله ونجاة، ثم هلك من ادّعىٰ، وخاب من افترىٰ»[١].

٢ - ما رواه جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «يغدو الناس علىٰ ثلاثة أصناف: عالم، ومتعلم، وغثاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلّمون، وسائر الناس غثاء»[٢].

٣ - ما رواه القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلىٰ الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً به، وإنّه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتىٰ الحوت في البحر، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر النجوم ليلة البدر، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورّثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظٍ وافر»[٣].

هذه جملة من الأسباب التي يمكن أن تقف وراء تزلزل العقيدة المهدوية أو زوالها والعياذ بالله لدىٰ بعضهم، وقد عرفت مناشئها، وكيفية التغلُّب عليها، لتحصين عقيدتك في الإمام المهدي صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين المعصومين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سادة خلقه محمد وآله الطاهرين.

---

١. الكافي: ج١، ص٣٣، باب (أصناف الناس)، ح١.

٢. الكافي: ج١، ص٣٤، باب (أصناف الناس)، ح٤.

٣. الكافي: ج١، ص٣٤، باب (ثواب العالم والمتعلم)، ح١.

المعود
ALMAUOOD

بين العصمة والتخصص في زمن الغيبة
قراءة في أدوار الإمام المهدي عجل الله فرجه

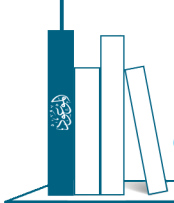

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

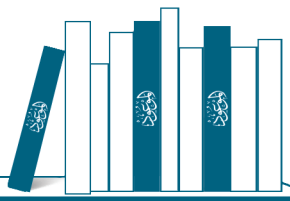

إن البحث عن دور الإمام المهدي عجل الله فرجه زمن غيبته، هي من المسائل التي شغلت بال الكثير من الموالين طلباً للحقيقة، والتي كانت مادة من مواد المشككين والباحثين عن نقاط ضعف في المذهب الحق.

وينشأ التشكيك من جهة أن الناس تعودوا أن يكون قائدهم بين ظهرانيهم، يرونه، ويجلسون معه، ويأخذون التعليمات منه مباشرة، فإذا ما كان القائد غائباً، ولا توجد وسيلة مادية عامة (أي مما تُتاح للجميع) للتواصل معه، حينها يتجه السؤال عن أدواره أولاً، وعن كيفية قيامه بها ثانياً.

وحتىٰ تتبين المسألة أكثر نذكر المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الإيمان التعبدي بأداء المعصوم لأدواره في زمن الغيبة:

الفرع الأول: أن أفعال الله تعالىٰ معلّلة بالغايات:

١ - يُقصد من الإيمان التعبدي: هو الإيمان الذي يرسخ في قلب المؤمن في مسألة أو حكم معين، ولو لم يعرف العلة أو الحكمة فيه، وذلك مبني علىٰ أسس معينة، تكون وراء استقرار النفس واطمئنانها بجدوىٰ الفعل.

وقد نصّت بعض الروايات علىٰ ضرورة أن يؤمن الفرد بالمسائل التي تصدر

من الشارع المقدس، سواء كان إيمانه ناشئاً من البحث والاستدلال، أم كان ناشئاً من الاعتقاد بصحة التشريع لأنه صادر من الخالق جل وعلا أو من المعصوم، بل وحثّت النصوص الدينية على ضرورة أن يتحلىٰ الفرد بالتسليم المطلق للدين، ولمن يُمثّله، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «لو أنَّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجُّوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثمّ قالوا لشيء صنعه الله تعالىٰ أو صنعه النبيُّ صلى الله عليه وآله: ألَا صنع خلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين»، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥]، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «وعليكم بالتسليم»[١].

٢ - هذا وقد ثبت في علم الكلام أن الله تعالىٰ حكيم، والحكيم هو من يضع الشيء المناسب في موضعه المناسب، في زمنه المناسب، فلا يوجد في قاموسه العبث ولا اللعب، وقد صرّحت النصوص الدينية باتصاف الباري جل وعلا بهذه الصفة، بل علىٰ اتصافه بجميع صفات الكمال، وتنزهه (جل وعلا) عن جميع صفات النقص والحاجة.

وهذا أصل موضوعي، والدليل الإثباتي عليه محله علم الكلام.

٣ - وإذا كان هذا فعل الحكيم، فلا وجه حينئذٍ للاعتراض علىٰ أي فعل يقوم به، لأنه حسب الفرض حكيم، وبهذا المعنىٰ يمكن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣)، حيث جاء في تفسيرها عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام:... يا بن رسول الله وكيف لا يسأل عما يفعل؟ قال: لأنه لا يفعل إلّا ما كان حكمة وصواباً...[٢].

١. المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ١/ ص٢٧١/ باب ٣٨/ ح٣٦٥).

٢. التوحيد للشيخ الصدوق: ص٣٩٧.

٤ - **ومنه يتضح**: أنه مع إيماننا بحكمة الله تبارك وتعالىٰ بهذا المعنىٰ، وأن الغيبة كانت بأمرٍ من الله تبارك وتعالىٰ، فلابد أن يكون الوجه فيها حكيماً، بحيث لا تتسبّب الغيبة في إلغاء دور الإمام المهدي عجل الله فرجه في زمن الغيبة، بل ولا التقصير في أدائها.

أو قل: ما دامت الغيبة من الله تعالىٰ، فلابد إذن - ومن باب اللطف والحكمة - أنه تعالىٰ قد رسم الطريق الأبلج لقيام الإمام المهدي عجل الله فرجه بأدواره في غيبته.

ومما يُشير إلىٰ أن الغيبة كانت بأمر من الله تبارك وتعالىٰ، ما ورد في مراسلة الإمام المهدي عجل الله فرجه إلىٰ الشيخ المفيد: «نحن وإن كنّا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله تعالىٰ لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين...»[١].

وورد عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول - في سياق حديثه عن علة الغيبة -: «... يا بن الفضل، إنَّ هذا الأمر أمر من أمر الله تعالىٰ، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتىٰ علمنا أنَّه عزّ وجلّ حكيم، صدَّقنا بأنَّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف»[٢].

علماً أنه لا توجد ضرورة تدعو إلىٰ أن يكشف الحكيم عن الحكمة في كل فعل من أفعاله، إذ يكفي علمنا بأنه حكيم للاطمئنان بأنه لا يصدر عنه خلاف الحكمة، علىٰ أن مطالعتنا لأفعاله جل وعلا كافية للحكم وبالقطع واليقين بأن أفعاله كلها حكيمة.

وهذا يعني: أننا لو رأينا فعلاً، أو حصل معنا شيء لم نستطع أن نعرف

---

١. الاحتجاج ٢: ٣٢٢ و٣٢٣.

٢. كمال الدين: ٤٨١ و٤٨٢/ باب ٤٥/ ح١١.

الحكمة فيه، فعدم معرفتنا بالحكمة فيه لا يبرر لنا الاعتراض عليه جل وعلا ولو من طرف خفي، بل يلزمنا التسليم لكل ما يفعله الله الحكيم العزيز.

وهذا يعني كفاية الإيمان التعبدي بالحكمة في غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه وإن لم نعلم بها.

الفرع الثاني: أن الإمام المهدي عجل الله فرجه معصوم:

إن الاعتقاد بعصمة أهل البيت عليهم السلام عموماً، هو من الأمور المسلّمة لدىٰ أتباعهم عليهم السلام، بل إن العصمة تُعَدّ من المفاصل الأساسية في مذهب أهل البيت عليهم السلام، ومن المميزات والعلامات الفارقة بين مذهبهم عليهم السلام والمذاهب الأخرىٰ.

ونأخذ هذا المعنىٰ هنا كأصل موضوعي، وإثباتاته في موضعها من علم الكلام، ولكن نذكر هنا بعض النصوص المتظافرة في إثبات العصمة لهم عليهم السلام، من قبيل: ما روي عن الصحابيّ زيد بن أرقم أنّه سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام: «أنت الإمام والخليفة بعدي، وابناك هذان إمامان، وسيّدا شباب أهل الجنّة، وتسعة من صلب الحسين أئمّة معصومون، ومنهم قائمنا أهل البيت...»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة وقد نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي هذه الآية نزلت فيك وفي سبطي والأئمة من ولدك. فقلت: يا رسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: أنت يا علي، ثم ابناك الحسن والحسين، وبعد الحسين علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد جعفر ابنه، وبعد جعفر موسىٰ ابنه، وبعد موسىٰ علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد علي ابنه، وبعد علي الحسن ابنه،

١. كفاية الأثر، القمّي الرازي: ح٦٤، ص١٧٧.

والحجة من ولد الحسن، هكذا وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش، فسألت الله تعالىٰ عن ذلك فقال: يا محمد، هم الأئمة بعدك، مطهرون معصومون، وأعداؤهم ملعونون»[١].

ومادام الإمام المهدي عجل الله فرجه معصوماً، فإنه وبلا شك لن يُقصر في أداء ما عليه من مسؤوليات في عالم التكوين والتشريع، غايته أننا غير مطّلعين علىٰ الطريقة التي يتبعها في ذلك، فيكفينا الإيمان التعبدي بذلك.

وهذا نظير ما روي في سبب الغيبة الحقيقي، حيث إننا نقرأ في الرواية أن الإمام الصادق عليه السلام أمر الشيعة بالإيمان التعبدي بالحكمة في الغيبة وإن لم يطّلعوا علىٰ حقيقة الحال فيها.

فقد ورد عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدَّ منها، يرتاب فيها كلّ مبطل»، فقلت له: ولِمَ جُعلت فداك؟ قال: «لأمر لم يُؤذَن لنا في كشفه لكم»، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدَّمه من حجج الله تعالىٰ ذكره، إنَّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلَّا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لموسىٰ عليه السلام إلَّا وقت افتراقهما. يا بن الفضل، إنَّ هذا الأمر أمر من أمر الله تعالىٰ، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتىٰ علمنا أنَّه عزّ وجلّ حكيم، صدَّقنا بأنَّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف»[٢].

المطلب الثاني: محاولة فهم أداء الإمام المهدي عجل الله فرجه لأدواره في زمن غيبته:

مع إيماننا التعبدي بالحكمة المطلقة للشارع المقدس في غيبة الإمام

١. كفاية الأثر للخزاز القمي: ص١٥٦.

٢. كمال الدين: ٤٨١ و٤٨٢/ باب ٤٥/ ح١١.

المهدي عجل الله فرجه، وكفايته لنا، إلّا أن ذلك لا يمنع من أن نبحث في النصوص الدينية لمحاولة فهم أداء الإمام المهدي عجل الله فرجه لأدواره في زمن الغيبة، وفي هذا المجال، نذكر النقاط الآتية:

النقطة الأولىٰ: أدوار المعصوم:

في عقيدتنا: أن للمعصوم - عموماً - أدواراً عديدة أنيطت به، تمثل ارتباطه بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله واستمراراً لما بدأ به صلى الله عليه وآله، وخلاصة تلك الأدوار[1]:

الدور الأول: كونه الحجة لله تعالىٰ علىٰ الناس، أي الإمام الذي نصّبه الله تعالىٰ وجعله لمقام الحجية علىٰ الناس.

الدور الثاني: حفظُه لعالم التكوين؛ كونه الواسطة في الفيض.

الدور الثالث: رعايته الأبوية لأتباعه.

الدور الرابع: كونه العالم الذي يُرجع إليه في:

أ - تفسير الكتاب العزيز وشرح مقاصده، وبيانه للناس.

ب - دفع الشبهات والتساؤلات التي يطرحها المناوئون ضد الإسلام، وصيانة الدين من التحريف.

ج - بيان الأحكام الشرعية التكليفية للناس.

الدور الخامس: الحكم بين الناس بالحق عند وقوع المنازعات بينهم.

الدور السادس: قيادة الأمة ورئاسة الحكومة.

النقطة الثانية: تنوّع أدواره عجل الله فرجه من حيث الواقع والظهور:

بالتأمل في تلك الأدوار، نجد أنها علىٰ ثلاثة أنحاء:

---

١. بتصرف وإضافة من: محاضرات في الإلهيات للشيخ جعفر سبحاني بتلخيص الشيخ علي الرباني الكلبايكاني (ص٣٣٩ و٣٤٠)، الطبعة ٢٦، مطبعة مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، سنة ١٣٩٧ ش/ ١٤٤٠ ق.

النحو الأول:

ما هو موقوف علىٰ وجود المعصوم واقعاً، وإن لم يكن ظاهراً، وإن لم يمكن الوصول إليه، وإن لم نكن نعرفه.

ومن هذا القبيل الدوران الأول والثاني، فإن كونه حجة الله تعالىٰ علىٰ عباده، والمنصّب منه تعالىٰ لذلك، هو أمر حاصل للمعصوم، سواء أعلمنا به أم لم نعلم، وسواء أكان المعصوم ظاهراً أم غائباً.

ومنه أيضاً دور المعصوم الحافظ لعالم التكوين من أن يسيخ بأهله، أو أن ينقطع الفيض عن الناس.

ومن هذا النحو أيضاً دور الرعاية الأبوية.

النحو الثاني:

ما يُمكن أن يوكله المعصوم إلىٰ غيره، فيتصدىٰ غيره بإذنه للقيام بهذا الدور، ويكون الغير معتمداً في أداء هذا الدور علىٰ ما وصل إليه من تراث ونصوص دينية، لا يخرج عنها قيد أنملة.

ومن هذا القبيل: الدور الرابع والخامس، فإن هناك أدلة عديدة - كما سيتبين في محله إن شاء الله تعالىٰ - علىٰ أن المعصوم أذن لمجموعة خاصة من المؤمنين، وفق مؤهلات معينة، أن يقوموا بدور معلّم الناس والقاضي بينهم في زمن غيبة المعصوم، أو حتىٰ في زمن ظهوره وعدم الوصول إليه، لبعد المسافة مثلاً، أو لسجن المعصوم، وغيرها من الأسباب.

النحو الثالث:

ما يكون القيام به متوقفاً علىٰ طرفين: طرف المعصوم، وطرف الناس، وهو الدور السادس الأخير.

بيان الأنحاء الثلاثة:

النحو الأول: ما هو موقوف علىٰ وجود المعصوم واقعاً.

وهنا ثلاثة أدوار للمعصوم:

الدور الأول: كونه الحجة لله تعالىٰ علىٰ الناس، أي الإمام الذي نصّبه الله تعالىٰ وجعله لمقام الحجية علىٰ الناس:

اختلف المسلمون في طريقة جعل وتنصيب الإمام الذي يخلف رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي أطبقت عليه كلمة الشيعة الإمامية أنها طريقة الجعل الإلهي المباشر، حاله في ذلك حال جعل النبي صلى الله عليه وآله، وكلماتهم في ذلك واضحة، والأدلة مذكورة في محالها في علم الكلام.

المهم أن نفهم هنا: أن كون الإمام منصَّباً من الله تعالىٰ، مجعولاً لمنصب الإمامة منه تعالىٰ، لا يتوقف علىٰ كونه ظاهراً بين الناس، بل بالدقة لا يتوقف علىٰ علم الناس، فهو أمر واقعي، سواء أعلِمَ الناس به أم لم يعلموا، وسواء أكان ظاهراً أم غائباً، وهذا أمر واضح لا يحتاج إلىٰ تجشم عناء الاستدلال.

وبعبارة أخرىٰ: أن الجعل الإلهي للإمام أمر واقعي لا علمي، فلا يتوقف حصوله علىٰ العلم به.

نعم، العلم به يؤسس لمنظومة تشريعية بين المجعول، وبين الناس، وهذا بحث آخر غير ما نحن بصدده.

والحاصل: أن كون الإمام هو الحجة علىٰ الأرض، لا يتوقف علىٰ ظهوره، بل هو حاصل حتىٰ وإن كان غائباً.

ولذلك فإن النصوص الدينية التي ذكرت ضرورة وجود الحجة علىٰ الأرض، لم تفرّع تلك الضرورة علىٰ كونه ظاهراً، ولم تفرّق تلك الضرورة بين كونه ظاهراً أو غائباً، ولذلك نجدها ساوت بين الأمرين.

ومن ذلك ما روي عن أبي إسحاق الهمداني، قال: حدثني الثقة من أصحابنا أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «اللهم لا تُخلي الأرض من حجة لك على خلقك ظاهر أو خافي مغمور؛ لئلا تبطل حجتك وبيناتك [وبيناتك]»[١].

فالرواية واضحة في أنها تجعل المدار على وجود الحجة الواقعي، سواء كان ظاهراً أم خافياً.

وعلى نفس المنوال ما روي عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن عليٍّ عليهم السلام أنَّه قال في خطبة له على منبر الكوفة: «اللَّهُمَّ إنَّه لابدَّ لأرضك من حجَّة لك على خلقك، يهديهم إلى دينك ويُعلِّمهم علمك، لئلَّا تبطل حجَّتك ولا يضلُّ أتباع أوليائك بعد إذ هديتهم به، إمَّا ظاهر ليس بالمطاع أو مكتتم مترقِّب، إن غاب عن الناس شخصه في حال هدايتهم، فإنَّ علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون»[٢].

وفي ثالثة عن أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «اللَّهُمَّ بَلَىٰ، لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لله بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ الله وَبَيِّنَاتُه»[٣].

وبعبارة مختصرة: إن هذا الدور ذاتي للإمام، ولا يمكن لأحدٍ أن يسلبه إيّاه أو يمنعه من أدائه كما هو واضح، ويمكن للإمام أن يؤدّيه سواء كان ظاهراً أم مغموراً.

أو قل: هو دور متوقف على الوجود الواقعي لا العلمي للإمام.

الدور الثاني: حفظُه لعالم التكوين؛ كونه الواسطة في الفيض:

هذا الدور يعني: أن الله تعالى عندما خلق العالم وفق نظام الأسباب

١. بصائر الدرجات للصفار: ص٥٠٦، ب١٠، ح١٥.
٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٠٢.
٣. نهج البلاغة: ٤٩٧/ ح١٤٧.

والمسببات، وهو صريح ما روي عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام أَنَّه قَالَ: «أَبَىٰ اللهُ أَنْ يُجْرِيَ الأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَباً...»[١].

كما أن الواقع يشهد بذلك، بل إن الفلسفة حكمت على الصدفة (وهي حصول الشيء بلا سبب ولا علة) بأنها من الممتنعات.

فعندما خلق الله تعالىٰ العالم بهذه الكيفية، فإنه جعل أحد العلل فيه، أو في استمراره، هم الحجج الإلهية المجعولة من قِبَله جلّ وعلا.

فالحجة المجعول منه جل وعلا يمثل (أماناً) للأرض وأهلها، وهو صريح النصوص الكثيرة في هذا المجال كما سنذكر غيضاً منها.

والذي يُراد قوله هنا: إن كون الحجة - الإمام المهدي عليه السلام نموذجاً - أماناً للأرض، وكونه واسطة في الفيض كما يُعبرون، هذا المعنىٰ لا يتوقف علىٰ ظهوره، بل هو أمان لأهل الأرض سواء أكان ظاهراً أم غائباً.

فهو دور - كما الدور السابق -، متوقف علىٰ الوجود الواقعي للحجة، لا علىٰ وجوده العلمي.

والنصوص في ذلك كثيرة، وقد بينت هذه الحقيقة بتعبيرات مختلفة، نذكر منها التالي:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الفُضَيْلِ عَنْ أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَه: أَتَبْقَىٰ الأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟ قَالَ: «لَا»، قُلْتُ: فَإِنَّا نُرَوِّىٰ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام أَنَّهَا لَا تَبْقَىٰ بِغَيْرِ إِمَامٍ إِلَّا أَنْ يَسْخَطَ الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ أَوْ عَلَىٰ العِبَادِ؟ فَقَالَ: «لَا، لَا تَبْقَىٰ، إِذاً لَسَاخَتْ»[٢].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله علىٰ العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان

١. الكافي للكليني: ج١، ص١٨٣.
٢. الكافي للكليني: ج١، ص١٧٩، بَابُ أَنَّ الأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ، ح١١.

لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها وبنا ينزل الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها، ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله»، قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»[١].

وعن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: «لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منّا لساخت بأهلها، ولعذَّبهم الله بأشدِّ عذابه، إنَّ الله تبارك وتعالى جعلنا حجَّةً في أرضه، وأماناً في الأرض لأهل الأرض، لم يزالوا في أمان من أن تسيخ بهم الأرض ما دمنا بين أظهرهم، فإذا أراد الله أن يُهلِكهم ثمّ لا يمهلهم ولا ينظرهم ذهب بنا من بينهم ورفعنا إليه، ثمّ يفعل الله ما شاء وأحبّ»[٢].

الدور الثالث: دور رعاية المعصوم الأبوية:

إن علاقة أهل البيت عليهم السلام بشيعتهم لم تتوقف على حدود الحاكمية السياسية لو أتيحت لهم، ولا على كونهم وسائط فيض وجودي في عالم التكوين، ولا على أنهم معلمو الناس دينهم، وإنما هذه كلها مع إضافة علاقة وجدانية، ترجمها الأتباع على شكل ولاء مطلق، وتمسك مطبق، وتسليم عظيم، وصل إلى حدّ الفداء بالنفس في كثير من الأحايين.

---

١. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٢٠٧، ح٢٢.

٢. كمال الدين: ٢٠٤/ باب ٢١/ ح١٤.

ثم إن هذه العلاقة كانت نتيجة اتصاف أهل البيت عليهم السلام بالكثير من المواصفات التي تجذب العاقل لهم رغماً عنه، بدءاً بالزهد بزخارف الدنيا وزبرجها، وعدم الأخذ منها إلّا ما كان بُلْغة، وعدم تقديم مصالحهم الشخصية علىٰ مصالح العامة، وسلوكهم المستقيم علىٰ طول الخط، الأمر الذي جعل المخالف - فضلاً عن المؤالف - يعترف بفضلهم، ما لم يكن أعمي البصيرة معانداً.

والشواهد علىٰ رعاية الأئمة عليهم السلام شيعتهم كثيرة، نذكر منها التالي:

النص الأول:

التعبير عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بأنهما أبوا هذه الأمة، فقد روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ فرض عليكم طاعتي، ونهاكم عن معصيتي، وأوجب عليكم اتِّباع أمري، وفرض عليكم من طاعة علي بعدي ما فرضه من طاعتي، ونهاكم من معصيته عما نهاكم عنه من معصيتي، وجعله أخي ووزيري ووصيي ووارثي، وهو مني وأنا منه، حبه إيمان وبغضه كفر، ومُحِبُّه مُحِبِّي، ومُبْغِضُه مُبْغِضي، وهو مولىٰ من أنا مولاه، وأنا مولىٰ كل مسلم ومسلمة، وأنا وإياه أبوا هذه الأمة»[1].

(... فمنزلة النبي وخليفته القائم مقامه في تربية النفوس وتكميل العقول منزلة الأب...)[2].

هذه الأبوة لهما عليهما السلام غير كونهما قادة، وغير كونهما معلمين للناس، بل هي من التربية، والإصلاح، والأخذ باليد إلىٰ حيث الفلاح، إذ (الأب: الوالد، ويسمّىٰ كلّ من كان سبباً في إيجاد شيءٍ أو صلاحه أو ظهوره: أباً، ولذلك يسمّىٰ النبيّ [صلى الله عليه وآله] أباً المؤمنين، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ

١. الأمالي للشيخ الصدوق: ص٦٥، ح٣٠/ ٦.

٢. منهاج الصالحين للشيخ الوحيد الخراساني: ج١، ص٢٨٥.

وأَزْواجُـه أُمَّهاتُهُـمْ﴾ (الأحـزاب: ٦)[١]، وروي أنّـه [صلى الله عليه وآله] قـال لعـليّ: «أنـا وأنـت أبـوا هـذه الأمّـة»...)[٢].

مـع الانتبـاه عـلىٰ أن أبوتهـما عليهما السلام لنـا تقتـضي ترتّـب مسـؤوليات جسـيمة علينـا، إذ الإسـلام يفـرض حقوقـاً عظيمـة للآبـاء عـلىٰ الأبنـاء.

وقـد روي أنـه قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «أفضـل والديكـم وأحقهـما لشـكركم: محمدٌ وعلي»[٣].

وأنـه قـال عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام: «سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله يقـول: أنـا وعـلي أبـوا هـذه الأمـة، ولحقُّنـا عليهـم أعظـم مـن حـق أبـوي ولادتهـم، فإنّـا ننقذهـم، - إن أطاعونـا -، مـن النـار إلىٰ دار القـرار، ونلحقهـم مـن العبوديـة بخيـار الأحـرار»[٤].

والأحاديث بهذا المعنىٰ كثيرة...

النص الثاني:

مـا ورد في أن أهـل البيـت عليهم السلام يبـدؤون شـيعتهم بالسـؤال عنهـم، والتحـري عن صحتهـم وأحوالهـم، ومراعاتهـم الغيبيـة لهـم، والنصـوص في هـذا المعنـىٰ كثـيرة، نذكـر منهـا مـا روي عـن أبي سـعيد الخـدري عـن رميلـة، قـال: وعكـتُ وعـكاً شـديداً في زمـان أمـير المؤمنـين عليه السلام، فوجـدت مـن نفـسي خفـة في يـوم الجمعـة، وقلـت: لا أعـرف شـيئاً أفضـل مـن أن أفيـض عـلىٰ نفـسي مـن المـاء، وأُصـلي خلـف أمـير المؤمنـين عليه السلام.

---

١. انظر: التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي: ج٦، ص٤٠؛ وبصائر الدرجات للصفار: ص٥٥٢.
٢. مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني: ص٥٧ مادة (أبا).
٣. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ص٣٣٠، ح١٨٩.
٤. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ص٣٣٠، ح١٩٠.

ففعلت، ثم جئت إلىٰ المسجد، فلما صعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر، أعاد عليّ ذلك الوعك، فلما انصرف أمير المؤمنين عليه السلام ودخل القصر، دخلت معه، فقال: يا رميلة، رأيتك وأنت متشبك بعضك في بعض؟ فقلت: نعم، وقصصتُ عليه القصة التي كنت فيها والذي حملني علىٰ الرغبة في الصلاة خلفه، فقال: يا رميلة، ليس من مؤمن يمرض إلّا مرضنا بمرضه، ولا يحزن إلّا حزنّا بحزنه، ولا يدعو إلّا أمّنا لدعائه، ولا يسكت إلّا دعونا له!

فقلت له: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، هذا لمن معك في القصر، أرأيت من كان في أطراف الأرض؟ قال عليه السلام: «يا رميلة، ليس يغيب عنا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها»[١].

النص الثالث:

روي أنه قال أبو هَاشِمٍ الجَعْفَرِيُّ: شَكَوْتُ إِلَىٰ أَبِي مُحَمَّدٍ [الإمام العسكري] عليه السلام ضِيقَ الحَبْسِ وكَتَلَ القَيْدِ، فَكَتَبَ إِلَيَّ: أَنْتَ تُصَلِّي اليَوْمَ الظُّهْرَ فِي مَنْزِلِكَ.

فَأُخْرِجْتُ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْتُ فِي مَنْزِلِي كَمَا قَالَ عليه السلام، وكُنْتُ مُضَيَّقاً، فَأَرَدْتُ أَنْ أَطْلُبَ مِنْه دَنَانِيرَ فِي الكِتَابِ، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَىٰ مَنْزِلِي، وَجَّه إِلَيَّ بِمِائَةِ دِينَارٍ، وكَتَبَ إِلَيَّ: «إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَلَا تَسْتَحْيِ، ولَا تَحْتَشِمْ، واطْلُبْهَا، فَإِنَّكَ تَرَىٰ مَا تُحِبُّ إِنْ شَاءَ اللهُ تعالىٰ»[٢].

والحاصل:

أن من أدوار الإمام المعصوم عليه السلام تجاه شيعته، هو دور الرعاية الأبوية التي

---

١. بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن بن فروخ الصفار، (باب ١٦) باب في الأئمة انهم يعرفون من يمرض من شيعتهم ويحزنون ويدعون ويؤمنون علىٰ دعاء شيعتهم وهم غيب عنهم (ص ٢٧٩ و ٢٨٠).

٢. الكافي للكليني: ج١، ص٥٠٨، بَابُ مَوْلِدِ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام، ح١٠.

تقتضي اللطف بهم، وتسهيل أمورهم، ولو بطرق غيبية، كما حصل مع أبي هاشم الجعفري.

والذي نريد بيانه هنا هو:

أن هذا الدور لا يتوقف على أن يكون المعصوم ظاهراً بين الناس، وإنما يمكن أن يقوم به المعصوم ولو كان مسافراً إلى مكان بعيد، تماماً كما يمكن للأب أن يرعى أولاده من خلال الاتصال بهم هاتفياً مثلاً وتوجيههم، أو من خلال تكليف بعض الأفراد ممن يثق بهم ليصلوا إلى عياله ويقضوا حوائجهم، أو حتى من خلال كتابة برنامج معين، وتعليم الكبير من الأولاد مثلاً طريقة توفير الحاجات الضرورية لأهل بيته.

نعم، لا شك أن وجود الأب بين أفراد عائلته له أثر أعظم مما لو كان غائباً عنهم ويتواصل معهم بأحد الطرق المشار إليها أو بغيرها، إلّا أن الأب قد يضطر للسفر بعيداً من أجل توفير مستقبل أفضل لأولاده، والأولاد حينما يرون صدق النية من أبيهم، وعمله على إسعادهم، سيتفهّمون - بلا شك - غيابه عنهم، وسيعملون على أن لا يدَعوه يقلق من أجل بعض المشاكل التي يواجهونها، والمسألة من هذه الناحية وجدانية.

وهذا المعنى هو ما نقوله في مولانا الإمام الحجة بن الحسن عليهما السلام، فإنه يمكن أن يقوم بدور الرعاية الأبوية وهو في ستر الغيب، خصوصاً مع ما عنده من مؤهلات ربانية، وصفات كمالية، تجعله يطلع على رعيته، وشيعته، وتسبيب الأسباب لتسهيل أمورهم بطريقة وبأخرى، وهذا ما يؤيده ما نُقل عن بعض العلماء الذين التقوا بالإمام عجل الله فرجه أو بأحد أتباعه من الأبدال مثلاً، وأنه قد تم تسهيل أمره او حلّ مشكلته بطريقة غير معروفة الأسباب.

وعلىٰ كل حال، فقد أشارت بعض النصوص إلىٰ أن الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه يرعىٰ شيعته من طريق الغيب[١]، من قبيل:

١ - ما ورد في مكاتبته عجل الله فرجه إلىٰ الشيخ المفيد قدس سره: «نحن وإن كنّا ناوين [ثاوين] بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أراناه الله تعالىٰ لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذلّ الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلىٰ ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون. إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء، فاتّقوا الله جل جلاله وظاهرونا علىٰ انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حمَّ أجله ويحمىٰ عنها من أدرك أمله...»[٢].

٢ - ما ورد من دعائه لوالد الشيخ الصدوق بولدين سالمين خيّرين، فإنه كاشف عن أنه عجل الله فرجه يرعىٰ شيعته، ويدعو لهم بالخير، فقد نقل العلامة المجلسي في بحاره[٣]: اجْتَمَعَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ بَابَوَيْهِ مَعَ أَبِي القَاسِمِ الحُسَيْنِ بْنِ رَوْحٍ وَسَأَلَهُ مَسَائِلَ ثُمَّ كَاتَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ يَدِ عَلِيّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الأَسْوَدِ يَسْأَلُهُ أَنْ يُوصِلَ لَهُ رُقْعَةً إِلَىٰ الصَّاحِبِ عليه السلام وَيَسْأَلُهُ فِيهَا الوَلَدَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «قَدْ دَعَوْنَا اللهَ لَكَ بِذَلِكَ وَسَتُرْزَقُ وَلَدَيْنِ ذَكَرَيْنِ خَيِّرَيْنِ»، فَوُلِدَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو عَبْدِ اللهِ مِنْ أُمِّ وَلَدٍ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الحُسَيْنُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ يَقُولُ: أَنَا وُلِدْتُ بِدَعْوَةِ صَاحِبِ الأَمْرِ عليه السلام، وَيَفْتَخِرُ بِذَلِكَ[٤].

---

١. ذكر العلامة المجلسي باباً كاملاً في بحاره بعنوان: (ما ظهر من معجزاته عليه السلام، وفيه بعض أحواله وأحوال سفرائه)، وذكر الكثير من النصوص (٧٠ نصاً) الدالة علىٰ رعايته عجل الله فرجه لشيعته.

٢. الاحتجاج ٢: ٣٢٢ و٣٢٣.

٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥١، ص٣٠٦-٣٠٧.

٤. رجال الكشي: ٢٦١/ ح٦٤٨.

وروي أنه قال مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَسْوَدُ رحمه الله قَالَ: سَأَلَنِي عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ بَابَوَيْهِ رحمه الله بَعْدَ مَوْتِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ العَمْرِيّ أَنْ أَسْأَلَ أَبَا القَاسِمِ الرَّوْحِيَّ رحمه الله أَنْ يَسْأَلَ مَوْلاَنَا صَاحِبَ الزَّمَانِ عليه السلام أَنْ يَدْعُوَ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَداً ذَكَراً، قَالَ: فَسَأَلْتُهُ فَأَنْهَىٰ ذَلِكَ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي بَعْدَ ذَلِكَ بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَنَّهُ قَدْ دَعَا لِعَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ وَأَنَّهُ سَيُولَدُ لَهُ وَلَدٌ مُبَارَكٌ يَنْفَعُ اللهُ بِهِ وَبَعْدَهُ أَوْلاَدٌ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَسْوَدُ: وَسَأَلْتُهُ فِي أَمْرِ نَفْسِي أَنْ يَدْعُوَ اللهُ لِي أَنْ أُرْزَقَ وَلَداً ذَكَراً فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: «لَيْسَ إِلَىٰ هَذَا سَبِيلٌ»، قَالَ: فَوُلِدَ لِعَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ رحمه الله تِلْكَ السَّنَةَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ وَبَعْدَهُ أَوْلاَدٌ وَلَمْ يُولَدْ لِي.

قال الصدوق رحمه الله: كان أبو جعفر محمّد بن علي الأسود رضي الله عنه كثيراً ما يقول لي إذا رآني أختلف إلىٰ مجلس شيخنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، وأرغب في كتب العلم وحفظه: ليس بعجب أن تكون لك هذه الرغبة في العلم وأنت ولدت بدعاء الإمام عليه السلام[1].

وَقَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ بَابَوَيْهِ: عَقَدْتُ المَجْلِسَ وَلِي دُونَ العِشْرِينَ سَنَةً فَرُبَّمَا كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَسْوَدُ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَىٰ إِسْرَاعِي فِي الأَجْوِبَةِ فِي الحَلاَلِ وَالحَرَامِ يُكْثِرُ التَّعَجُّبَ لِصِغَرِ سِنِّي، ثُمَّ يَقُولُ: لا عَجَبَ لأَنَّكَ وُلِدْتَ بِدُعَاءِ الإِمَامِ عليه السلام[2].

٣ - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الشَّاشِيّ، قَالَ: خَرَجَ بِي نَاسُورٌ فَأَرَيْتُهُ الأَطِبَّاءَ وَأَنْفَقْتُ عَلَيْهِ مَالاً، فَلَمْ يَصْنَعِ الدَّوَاءُ فِيهِ شَيْئاً، فَكَتَبْتُ رُقْعَةً[3] أَسْأَلُ الدُّعَاءَ فَوَقَّعَ لِي: «أَلْبَسَكَ اللهُ العَافِيَةَ وَجَعَلَكَ مَعَنَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»، فَمَا أَتَتْ عَلَيَّ الجُمُعَةُ حَتَّىٰ عُوفِيتُ وَصَارَ المَوْضِعُ مِثْلَ رَاحَتِي فَدَعَوْتُ طَبِيباً مِنْ أَصْحَابِنَا

١. كمال الدين ٢: ٥٠٢/ باب (ذكر التوقيعات)/ ح٣١؛ والغيبة للطوسي: ٣٢٠/ رقم ٢٦٦.

٢. الغيبة للطوسي: ٣٢١/ رقم ٢٦٧.

٣. في الخرائج إضافة: (علىٰ يدي امرأة تختلف إلىٰ الدار).

وَأَرَيْتُهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: مَا عَرَفْنَا لِهَذَا دَوَاءً وَمَا جَاءَتْكَ العَافِيَةُ إِلّا مِنْ قِبَلِ اللهِ بِغَيْرِ احْتِسَابٍ[١].

٤ - ما ورد من حمايته عليه السلام لوكلائه حينما وُشي بهم، فقد روي أنه قال الحُسَيْنُ بْنُ الحَسَنِ العَلَوِيُّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ نُدَمَاءِ رُوزْحَسَنِيَّ وَآخَرُ مَعَهُ فَقَالَ لَهُ: هُوَ ذَا يَجْبِي الأَمْوَالَ وَلَهُ وُكَلاَءُ، وَسَمَّوْا جَمِيعَ الوُكَلاَءِ فِي النَّوَاحِي وَأَنْهَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الوَزِيرِ فَهَمَّ الوَزِيرُ بِالقَبْضِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ السُّلْطَانُ: اطْلُبُوا أَيْنَ هَذَا الرَّجُلُ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ غَلِيظٌ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ: نَقْبِضُ عَلَىٰ الوُكَلاَءِ، فَقَالَ السُّلْطَانُ: لاَ وَلَكِنْ دَسُّوا لَهُمْ قَوْماً لاَ يُعْرَفُونَ بِالأَمْوَالِ فَمَنْ قَبَضَ مِنْهُمْ شَيْئاً قُبِضَ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَخَرَجَ بِأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَىٰ جَمِيعِ الوُكَلاَءِ أَنْ لاَ يَأْخُذُوا مِنْ أَحَدٍ شَيْئاً وَأَنْ يَمْتَنِعُوا مِنْ ذَلِكَ وَيَتَجَاهَلُوا الأَمْرَ، فَانْدَسَّ بِمُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ رَجُلٌ لاَ يَعْرِفُهُ وَخَلاَ بِهِ فَقَالَ: مَعِي مَالٌ أُرِيدُ أَنْ أُوصِلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: غَلِطْتَ أَنَا لا أَعْرِفُ مِنْ هَذَا شَيْئاً، فَلَمْ يَزَلْ يَتَلَطَّفُهُ وَمُحَمَّدٌ يَتَجَاهَلُ عَلَيْهِ وَبَثُّوا الجَوَاسِيسَ وَامْتَنَعَ الوُكَلاَءُ كُلُّهُمْ لِمَا كَانَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ[٢].

٥ - ما روي عنه عليه السلام من أنه يدعو لشيعته وأتباعه، فقد جاء في مكاتبته عليه السلام إلىٰ الشيخ المفيد: ... لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فلتطمئن بذلك من أوليائنا القلوب...[٣].

هذا وقد وردت عنه عليه السلام أدعية يدعو فيها لشيعته، ومنها دعاء:

«اللّهُمَّ ارْزُقْنا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ، وَبُعْدَ المَعْصِيَةِ، وَصِدْقَ النِيَّةِ، وَعِرْفانَ الحُرْمَةِ، وَأَكْرِمْنا بِالهُدىٰ وَالاسْتِقامَةِ، وَسَدِّدْ السِنَتَنا بِالصَّوابِ وَالحِكْمَةِ، وَامْلأ قُلُوبَنا

١. أصول الكافي ١: ٥١٩/ باب (مولد الصاحب عليه السلام)/ ح١١؛ الخرائج والجرائح ٢: ٩٦٥/ فصل (في أعلام الإمام)/ ح٩؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٣٥٧، وفيه: (مالاً عظيماً). وانظر: بحار الأنوار: ج٥١، ص٢٩٧.

٢. أصول الكافي ١: ٥٢٥/ باب (مولد الصاحب عليه السلام)/ ح٣٠؛ وانظر: بحار الأنوار: ج٥١، ص٣١٠.

٣. المزار للشيخ المفيد: ص٨؛ والاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٢٤-٣٢٥.

بِالعِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، وَطَهِّرْ بُطُونَنا مِنَ الحَرامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاكْفُفْ أَيْدِيَنا عَنْ الظُّلْمِ وَالسَّرِقَةِ، وَاغْضُضْ أَبْصارَنا عَنْ الفُجُورِ وَالخِيانَةِ، وَاسْدُدْ أَسْماعَنا عَنْ اللَّغْوِ وَالغِيْبَةِ، وَتَفَضَّلْ عَلىٰ عُلَمائِنا بِالزُّهْدِ وَالنَّصِيحَةِ، وَعَلىٰ المُتَعَلِّمِينَ بالجِهْدِ وَالرَّغْبَةِ، وَعَلىٰ المُسْتَمِعِينَ بِالاتِّباعِ وَالمَوْعِظَةِ، وَعَلىٰ مَرْضىٰ المُسْلِمِينَ بِالشِّفاءِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلىٰ مَوْتاهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلىٰ مَشايِخِنا بِالوِقارِ وَالسَّكِينَةِ، وَعَلىٰ الشَّبابِ بِالإنابَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَعَلىٰ النِّساءِ بالحَياءِ وَالعِفَّةِ، وَعَلىٰ الأَغْنِياءِ بِالتَّواضِعِ وَالسِّعَةِ، وَعَلىٰ الفُقَراءِ بِالصَبْرِ وَالقَناعَةِ وَعَلىٰ الغُزاةِ بِالنَصْرِ وَالغَلَبَةِ، وَعَلىٰ الأُسَراءِ بِالخَلاصِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلىٰ الأُمَراءِ بِالعَدْلِ وَالشَّفَقَةِ، وَعَلىٰ الرَّعِيَّةِ بِالإنْصافِ وَحُسْنِ السَّيرَةِ، وَبارِكْ لِلْحُجّاجِ وَالزُّوّارِ فِي الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ، وَاقْضِ ما أَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[١].

وهكذا ما ورد في دعائه عليه السلام الآخر:

«إِلهِي بِحَقِّ مِنْ ناجاكَ وَبِحَقِّ مَنْ دَعاكَ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ تَفَضَّلْ عَلىٰ فُقَراءِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِالغِناءِ وَالثَّرْوَةِ، وَعَلىٰ مَرْضىٰ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِالشِّفاءِ وَالصَّحَةِ، وَعَلىٰ أَحْياءِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِاللُّطْفِ وَالكَرَمِ، وَعَلىٰ أَمْواتِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِالمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلىٰ غُرَباءِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِالرَّدِّ إِلىٰ أَوْطانِهِمْ سالِمِينَ غانِمِينَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ»[٢].

النحو الثاني:

ما يُمكن أن يوكله المعصوم إلىٰ غيره، فيتصدىٰ غيره بإذنه لإدارة هذا الدور، ويكون الغير معتمداً في أداء هذا الدور علىٰ ما وصل له من تراث ونصوص دينية، لا يخرج عنها قيد أنملة.

---

١. المصباح للشيخ إبراهيم الكفعمي: ص٢٨٠-٢٨١.

٢. مهج الدعوات ومنهج العبادات، للسيد ابن طاووس: ص٢٩٥.

وهنا دوران:

الدور الأول: كونه العالم الذي يُرجع إليه في:

أ - تفسير الكتاب العزيز وشرح مقاصده، وبيانه للناس.

ب - دفع الشبهات والتساؤلات التي يطرحها المناوئون ضد الإسلام، وصيانة الدين من التحريف.

ج - بيان الأحكام الشرعية التكليفية للناس.

الدور الثاني: الحكم بين الناس بالحق عند وقوع المنازعات بينهم.

والأدلة متعددة علىٰ ان المعصوم أوكل هذين الدورين لفئة خاصة من المؤمنين به، وفق مؤهلات علمية وعملية خاصة.

والتفصيل عبر النقاط الآتية:

النقطة الأولىٰ: نصوص توكيل المعصوم غيره في بيان العلم والحكم بين الناس:

لا ريب في أن هذين الدورين هما للمعصوم بالأصالة، ولكنها من النوع الذي يُمكن أن يوكل المعصوم أداءهما إلىٰ غيره، بأن يجعل نائباً عنه فيهما، لا كما كانت الأدوار من النحو الأول، حيث إن الأصل فيها هو المعصوم، وهي من الأدوار التي لا يمكن أن يقوم بها غير المعصوم، وبالتالي لا يصح توكيل غيره بأدائها.

وهذا الأمر كان حاصلاً في زمن ظهور المعصوم، فالنصوص كثيرة تدل علىٰ أن المعصوم نفسه كان يأمر بعض أصحابه بأن يقوموا بعملية تبليغ العلم وشرحه وبيانه، بل كان يأمر بعض أصحابه بالجلوس في المسجد وإفتاء الناس، وبتتبع النصوص الروائية، نجد أن هذا المعنىٰ بدأ من زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وصولاً إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه.

والتفصيل:

أوّلاً: ما ورد في ذلك في زمن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله:

روي في قصّة بيعة العقبة: قال ابن إسحاق: (فلمّا انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله معهم مصعب بن عمير...، وأمره أن يُقرئهم القرآن ويُعلِّمهم الإسلام ويُفقِّههم في الدين)[١].

وروي أنّه بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن حزم والياً على بني الحارث ليُفقِّههم في الدين ويُعلِّمهم السُّنَّة ومعالم الإسلام[٢].

ثانياً: ما ورد في ذلك في زمن أمير المؤمنين عليه السلام:

وهو ما كتبه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ قُثَم بن عبّاس حين ما ولّاه: «وَاجْلِسْ لَهُمُ العَصْرَيْنِ، فَأَفْتِ المُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ الجَاهِلَ، وَذَاكِرِ العَالِمَ»[٣].

ثالثاً: ما ورد في ذلك في زمن الأئمَّة المعصومين بعد أمير المؤمنين عليه السلام:

١ - الإمام الباقر عليه السلام:

قال عليه السلام لأبان بن تغلب: «اُجلس في مسجد المدينة وأفتِ الناس، فإنّي أُحِبُّ أن يُرىٰ في شيعتي مثلك»[٤].

٢ - الإمام الصادق عليه السلام:

عن معاذ بن مسلم النحوي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «بلغني أنّك تقعد في الجامع فتُفتي الناس»؟ قلت: نعم، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل

١. الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢: ٩٦.
٢. البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٨٩.
٣. نهج البلاغة: ٤٥٧/ ح٦٧، من كتاب له عليه السلام إلىٰ قُثَم بن العبّاس، وهو عامله علىٰ مكّة.
٤. رجال النجاشي: ١٠/ الرقم ٧.

أن أخرج. إنّي أقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون. ويجيء الرجل أعرفه بمودَّتكم وحبِّكم، فأُخبره بما جاء عنكم. ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو، فأقول: جاء عن فلان كذا، وجاء عن فلان كذا، فأُدخل قولكم فيما بين ذلك. فقال لي: «اصنع كذا، فإنّي كذا أصنع»[١].

وعن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي عليه السلام إلّا زرارة، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمّد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفّاظ الدين وأُمناء أبي على حلال الله وحرامه...»[٢].

٣ - الإمام الرضا عليه السلام:

عن محمّد بن عيسى، قال: حدَّث الحسن بن عليٍّ بن يقطين بذلك أيضاً، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: جُعلت فداك، إنّي لا أكاد أصل إليك أسألك عن كلِّ ما أحتاج إليه من معالم ديني، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ عنه ما أحتاج إليه من معالم ديني؟ فقال: «نعم»[٣].

وعن عليٍّ بن المسيّب، قال: قلت للرضا عليه السلام: شقَّتي بعيدة، ولست أصل إليك في كلِّ وقت، فممَّن آخذ معالم ديني؟ فقال: «من زكريا بن آدم القمّي المأمون على الدين والدنيا»، قال عليٌّ بن المسيّب: فلمَّا انصرفت قدمت على زكريا بن آدم فسألته عمَّا احتجت إليه»[٤].

---

١. اختيار معرفة الرجال للطوسي ٢: ٥٢٢ - ٥٢٤/ الرقم ٧٠٤.
٢. اختيار معرفة الرجال للطوسي ١: ٣٤٨/ الرقم ٢١٩.
٣. اختيار معرفة الرجال للطوسي ٢: ٧٨٤/ الرقم ٩٣٥.
٤. اختيار معرفة الرجال للطوسي ٢: ٨٥٨/ الرقم ١١١٢.

٤ – الإمام الهادي عليه السلام:

وهنا، بدأت حقيقة الرجوع إلىٰ الفقهاء الثقات تتبلور أكثر، وتصبح عملية أكثر، من خلال إرجاع الإمام الهادي عليه السلام الشيعة إلىٰ عثمان بن سعيد الذي كان ثقةً مأموناً عنده عليه السلام.

عن أحمد بن إسحاق، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام وقلت: من أعامل، أو عمَّن آخذ، وقول من أقبل؟ فقال له: «العمري ثقتي، فما أدّىٰ إليك عنّي فعنّي يؤدّي، وما قال لك عنّي فعنّي يقول، فاسمع له وأطع، فإنَّه الثقة المأمون»[١].

٥ – الإمام العسكري عليه السلام:

وقد اتَّخذ طابع الإرجاع إلىٰ الفقهاء هنا مستوىٰ أعمق علىٰ المستوىٰ العملي، من خلال إرجاع الإمام الشيعة للسفيرين الأوَّلين، وقد كانا أتباعاً مخلصين وفقهاء مأمونين عند الإمام العسكري عليه السلام.

عن أحمد بن إسحاق أنَّه سأل أبا محمّد عليه السلام عن مثل ذلك[٢]، فقال له: «العمري وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك عنّي فعنّي يؤدّيان، وما قالا لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنَّهما الثقتان المأمونان...»[٣].

٦ – الإمام المهدي عجل الله فرجه:

وهنا مرحلتان:

المرحلة الأُولىٰ: زمن الغيبة الصغرىٰ: تعيين السفراء الخاصّين:

عندما غاب الإمام المهدي عجل الله فرجه غيبته الصغرىٰ، صارت معرفة الأحكام

١. الكافي للكليني ١: ٣٢٩-٣٣٠، باب في تسمية من رآه عليه السلام، ح١.

٢. أي ما ورد في الرواية السابقة.

٣. المصدر السابق.

الشرعية من خلال الرجوع إلىٰ السفراء الأربعة وعلىٰ مدار ما يقرب من سبعين سنة، حيث تمَّ تعيين السفراء بأشخاصهم من قِبَل الإمام شخصياً، وهذا ما يُميِّز السفير والنائب الخاصّ عن العامّ، فإنَّ السفير هو من يُعيِّنه الإمام نفسه بشخصه لا بصفته.

وهذا المعنىٰ هو ما دلَّت الروايات الشريفة علىٰ عدم وقوعه بعد انتهاء الغيبة الصغرىٰ إلىٰ أن يخرج السفياني وتحدث الصيحة، ففي توقيع الإمام المهدي عليه السلام لسفيره الرابع في آخر أيّام حياته ورد:

«... وسيأتي شيعتي من يدَّعي المشاهدة، ألَا فمن ادَّعىٰ المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر...»[1].

وعليه، فكلُّ من ادَّعىٰ السفارة الخاصَّة عن الإمام المهدي عليه السلام بهذا المعنىٰ قبل أن تقع الصيحة ويخرج السفياني فنحكم بتكذيبه من دون تردّد.

المرحلة الثانية: في زمن الغيبة الكبرىٰ: تعيين الفقهاء بصفاتهم:

وعندما انتهت الغيبة الصغرىٰ كانت فكرة الرجوع إلىٰ الفقهاء المأمونين قد ترسَّخت في أذهان العامَّة - رغم وجودها في الأزمنة السابقة، حيث كان المعصومون حاضرين ظاهرين - بحيث صارت أمراً طبيعياً من خلال الروايات التي عيَّنت الفقهاء الذين يمكن الرجوع إليهم تعييناً من خلال الصفة لا الشخص.

وهذا ما ورد علىٰ لسان الإمام المهدي عليه السلام في توقيعه الشريف: «وأمَّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلىٰ رواة حديثنا، فإنَّهم حجَّتي عليكم وأنا حجَّة الله عليهم»[2].

بل نجد أنَّ هذا التعيين الصفتي قد بدأ من زمن الإمام العسكري عليه السلام

١. كمال الدين للصدوق: ٥١٦/ باب ٤٥/ ح٤٤.

٢. كمال الدين للصدوق: ٤٨٤/ باب ٤٥/ ح٤.

حيث قال: «فأمَّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوامِّ أن يُقلِّدوه...»[١].

بل ومن زمن الإمام الهادي عليه السلام، فقد ورد أنَّه قال عليه السلام: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه، والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلَّا ارتدَّ عن دين الله، ولكنَّهم الذين يُمسِكون أزمَّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يُمسِك صاحب السفينة سكّانها، أُولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ»[٢].

النقطة الثانية: تأسيس المعصوم لمدرسة علمية بعيدة المدى:

إن التأمل في سلوك المعصومين عليهم السلام عموماً، يدل بكل وضوح على أنهم لم يكونوا بصدد تنظيم أمور الشيعة آنياً، ضمن خطوات مقطعية، تمشيةً للحالة الحاضرة، وإنما كانوا بصدد تأسيس مدرسة واقعية علمية وعملية طويلة المدى، تعتمد في منهجيتها على الجذور العلمية المأخوذة منهم عليهم السلام، وضمن تخطيط واعٍ لحفظها إلى آخر الدهر.

وبعبارة أخرى: أن الملحوظ في سلوك أهل البيت عليهم السلام هي العناية المكثفة بشيعتهم ثقافياً وتعليمياً، بحيث أوصلوهم إلى مستوى الاستقلال عن المؤسسة التعليمية الرسمية التابعة للحاكم، وكان ذلك عبر تأكيدهم عليهم السلام على مبادئ التعلم الصحيحة، وركّزوا على قضايا، منها:

أ - **التعلم والتعليم**: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «أُطلُبُوا العِلمَ ولَو بِخَوضِ اللُّجَجِ وشَقِّ المُهَجِ»[٣].

١. الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٦٣.
٢. الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٦٠.
٣. بحار الأنوار: ج٧٥، ص٢٧٧.

ب - **حفظ العلم وكتابته وبثّه**: فعن المُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «اكْتُبْ وَبُثَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ فَإِنْ مِتَّ فَأَوْرِثْ كُتُبَكَ بَنِيكَ فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ هَرْجٍ لَا يَأْنَسُونَ فِيهِ إِلَّا بِكُتُبِهِمْ»[١].

وقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «احْتَفِظُوا بِكُتُبِكُمْ فَإِنَّكُمْ سَوْفَ تَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا»[٢].

وقال عليه السلام: «اكْتُبُوا فَإِنَّكُمْ لَا تَحْفَظُونَ حَتَّىٰ تَكْتُبُوا»[٣].

ج - **الإفتاء**: فقد قال الإمام الباقر عليه السلام لأبان بن تغلب: «اجلس في مسجد المدينة وأفتِ الناس، فإنّي أُحِبُّ أن يُرىٰ في شيعتي مثلك»[٤].

وعن معاذ بن مسلم النحوي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «بلغني أنّك تقعد في الجامع فتُفتي الناس»؟ قلت: نعم، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج. إنّي أقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون. ويجيء الرجل أعرفه بمودَّتكم وحبِّكم، فأُخبره بما جاء عنكم. ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو، فأقول: جاء عن فلان كذا، وجاء عن فلان كذا، فأُدخل قولكم فيما بين ذلك. فقال لي: «اصنع كذا، فإنّي كذا أصنع»[٥].

وعن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي عليه السلام إلّا زرارة، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمّد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفّاظ الدين وأُمناء أبي على حلال الله وحرامه...»[٦].

---

١. الكافي للكليني: ج١، ص٥٢، بَابُ رِوَايَةِ الكُتُبِ والحَدِيثِ وفَضْلِ الكِتَابَةِ والتَّمَسُّكِ بِالكُتُبِ، ح١١.
٢. الكافي للكليني: ج١، ص٥٢، بَابُ رِوَايَةِ الكُتُبِ والحَدِيثِ وفَضْلِ الكِتَابَةِ والتَّمَسُّكِ بِالكُتُبِ، ح١٠.
٣. الكافي للكليني: ج١، ص٥٢، بَابُ رِوَايَةِ الكُتُبِ والحَدِيثِ وفَضْلِ الكِتَابَةِ والتَّمَسُّكِ بِالكُتُبِ، ح٩.
٤. رجال النجاشي: ١٠/ الرقم ٧.
٥. اختيار معرفة الرجال للطوسي ٢: ٥٢٢ - ٥٢٤/ الرقم ٧٠٤.
٦. اختيار معرفة الرجال للطوسي ١: ٣٤٨/ الرقم ٢١٩.

النقطة الثالثة: الغيبة غير مانعة من الاستفادة من الأصول العلمية:

من المعلوم أنه ومع وجود أصول العلم والكثير من التفريعات التي تغطي مساحة واسعة من الحاجات المستجدة، بالإضافة إلىٰ وجود الأصول العملية التي أسسها أهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم، والتي اهتم بها الفقهاء بحثاً وتنقيباً وتأسيساً وتدقيقاً، فإنه يمكن أن يقوم الفقهاء بالمهمة العلمية التي يحتاجها الشيعة ولو كان المعصوم غائباً.

وبعبارة أخرىٰ: أن الغيبة غير مانعة من أن يستفيد الفقهاء من العلوم التي وصلت إليهم، ضمن المنهجية العلمية التي تمت الإشارة إليها في النقطة الثانية.

ويشير إلىٰ هذه الحقيقة ما روي عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال في خطبة له علىٰ منبر الكوفة: «اللَّهُمَّ إنَّه لابدَّ لأرضك من حجَّة لك علىٰ خلقك، يهديهم إلىٰ دينك ويُعلِّمهم علمك، لئلَّا تبطل حجَّتك ولا يضلُّ أتباع أوليائك بعد إذ هديتهم به، إمَّا ظاهر ليس بالمطاع أو مكتتم مترقِّب، إن غاب عن الناس شخصه في حال هدايتهم، فإنَّ علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون»[1].

خصوصاً مع وجود عنصري الثابت والمتغير في القوانين الإسلامية، حيث إن وجود العنصر المتغير يُضفي مرونة علىٰ التشريع الإسلامي ليواكب الحياة، وبالتالي يتمكن الفقهاء من الاستفادة منه في تغطية الحوادث المستجدة، ولو كان المعصوم غائباً.

والمقصود من المتغير: أنه قانون إسلامي له القابلية علىٰ التجدّد وعلىٰ الانطباق علىٰ ما يأتي به الزمان من مفردات، فهو أشبه بالقاعدة الكلية التي تنسجم مع متغيرات الحياة، ولنضرب مثلاً لهذا المعنىٰ بوجوب الصلاة،

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٠٢.

فالصلاة واجبة على المسلم، فهل هذا الحكم يتغير بتغير الزمان والمكان؟ كلا، إنه لا يتغير أبداً، فهو ثابت إلى يوم القيامة، وهكذا الحال في وجوب الصوم وحرمة شرب الخمر وغيرها، فهذه أحكام ثابتة لا تتغير.

ولكن مثل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال: ٦٠) هذا قانون إسلامي، فهل نتصور أو نتوقع أن الله سبحانه تعالى يريد من الجيش الإسلامي أن يكون دائماً وفي كل الأزمات عنده خيل أو سيف ورمح فقط؟!

إن القرآن في هذه الآية كأنه يريد أن يقول للمسلمين: ابنوا وأسّسوا جيشاً معداً بالأسلحة، ومهيأً لأي حركة متوقعة، وفي ذلك الوقت كان مصداق هذا الإعداد هو رباط الخيل، أمّا في هذا الزمن فلا معنى لأن نلتزم بتلك الكلمة، بل الصحيح هو أن نُبقي على القاعدة الاصلية وهي (إعداد الجيش) لكن نُغير في الانطباق، فنعدّ الجيش ونمدّه بالأسلحة الحديثة، وبذلك نكون ممتثلين لأمر الله تعالى.

ومثال آخر: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقد كان طلب العلم في ذلك الوقت من خلال الكتاتيب، فيقرأ المعلم والطلبة يستمعون له، أمّا الآن فقد أصبح التعليم الكترونياً، ولو بقينا على ما كان في زمن الرسول صلى الله عليه وآله حينها سنحكم على هذه الطريقة الآن بأنها بدعة! ولكن باعتبار أن القاعدة هي طلب العلم، وطلب العلم مصاديقه متعددة تختلف باختلاف الزمان، فنبقى على الأصل وهو ثابت، وأمّا مصاديقه فتختلف وتتغير بتغير الزمان، وهذا من أهم الفواصل والفروقات بيننا وبين غيرنا من السنة، فهم في كثير من الأحيان جمدوا على ظاهر النص، ولم يبنوا على تغير النص بتغير أحوال الحياة.

النقطة الرابعة: تأسيس نظام الاجتهاد وفق أصول منهجية:

إن تأسيس نظام الاجتهاد - وفق الحدود التي ستتم الإشارة لها - أدى إلى

الحفاظ علىٰ منهجية المدرسة الشيعية علمياً، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ تطورها فقهياً قياساً بالمدرسة الأخرىٰ.

والتفصيل في النقطتين الآتيتين:

النقطة الأولىٰ: معنىٰ الاجتهاد:

إنَّ اصطلاح الاجتهاد يُطلَق علىٰ معنيين[1]:

المعنىٰ الأوَّل: الاجتهاد مقابل النصِّ والاجتهاد بالرأي:

وهذا هو الذي يرفضه الشيعة، إذ معناه أنَّ الفقيه إذا لم يجد نصّاً علىٰ الحكم الشرعي، فإنَّه يُعمِل فكرَه ورأيَه، فيحكم حسب ما يراه هو ويستحسنه، بل قد يحكم علىٰ خلاف ما ثبت شرعاً، لأنَّ رأيه يرىٰ ذلك! ممَّا يعني سلب

١. قال السيد المرعشي في (القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد: ج١، ص١٢٧-١٢٨) ما نصه: كما اختلف معناه عند السنّة والشيعة، فإنّه في مدرسة أبناء العامّة جعل الاجتهاد في عرض النصّ من الكتاب والسنّة، فيفتي أوّلاً بهما وإلّا فبرأيه الاجتهادي ولو مثل القياس والمصالح المرسلة الظنّية التي لا تغني من الحقّ شيئاً، حتّىٰ أدّىٰ الأمر إن اجتهدوا في مقابل النصّ، فحرّموا ما كان حلالاً في زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كتحريم المتعتين، وقتلوا سيّد الشهداء سبط رسول الله الحسين بن علي عليهما السلام اجتهاداً من يزيد شارب الخمور سفّاك الدماء.

وعلىٰ مثل هذا الاجتهاد بالرأي الذي امتاز به أصحاب المدرسة السنّية شنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هجوماً عنيفاً، وتبعهم علىٰ ذلك رواتهم وأصحاب مدرسة المذهب الإمامي من العلماء الأعلام حتّىٰ القرن السابع، إلّا أنّ العلّامة الحلّي قدس سره المتوفّىٰ (٦٧٦ هـ) هذّب الاجتهاد وفتح باباً جديداً فيه وجعله في طول النصّ، وإنّه عبارة عن عملية الاستنباط، أي استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلّتها التفصيلية من الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، ثمّ توسّع هذا الاجتهاد، ممّا أوجب التوسّع في علم أُصول الفقه الذي يبتنىٰ عليه الفقه، لما فيه من القواعد العامّة والكبريات والعناصر المشتركة السيّالة في كلّ الفقه، وصار الاجتهاد عبارة عن عملية تفاعل بين الفقه وأُصوله من أجل استنباط الحكم الشرعي.

وكان الاجتهاد مفتوح الباب في المدرسة الشيعية، يتقدّم ويتطوّر بتقدّم العلم وتطوّر الزمان، فيزاد علىٰ ثروته العلمية والعملية، وتثرىٰ مباحثه ومحتوياته بين آونة وأُخرىٰ.

الحجّية عن أحاديث النبيِّ صلى الله عليه وآله ولو بطريق غير مباشر.

وقد أُطلق على أتباع هذا الاجتهاد بأتباع مدرسة الرأي، في قبال أتباع أهل البيت عليهم السلام الذين يرون وجوب اتِّباع النصِّ والتعبُّد المطلق به وعدم جواز مخالفته، كالنصِّ على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وجواز الزواج المنقطع، وعمرة التمتُّع، وغيرها من المسائل.

وقد روي عن حمّاد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلَّا وله حدٌّ كحدِّ الدور، وإنَّ حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة...»[1].

فما بيَّنه الرسول صلى الله عليه وآله حجَّة مطلقاً وإلى يوم القيامة، ولا يُسمَع كلام بعض الآراء الشاذة ممَّن يحاول سلب الحجّية عن أقواله صلى الله عليه وآله.

المعنى الثاني: الاجتهاد بمعنى بذل الجهد في استخراج الحكم الشرعي من مصادره الشرعية الأصيلة: القرآن والسُّنَّة:

وهذا المعنى هو الذي يقصده الشيعة، ويجعلونه واجباً كفائياً، وليس هو مصدراً للتشريع في عرض المصادر الأُخرى، وإنَّما هو عملية استخراج للحكم من نفس النصِّ، فهو ابن للنصِّ ولا يعارضه أبداً. (وستتبين المسألة أكثر في مستقبل البحث إن شاء الله تعالى).

والشيعة في ذلك يستندون إلى أدلَّة خاصَّة، مثل ما روي عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّما علينا أن نُلقي إليكم الأُصول، وعليكم أن تُفرِّعوا»[2].

وللمجتهد شروط لا يمكن حصولها إلَّا بعد بذل جهد جهيد ووقت طويل، والتزام بالورع والتقوى، ومعايشة القرآن الكريم وأحاديث السُّنَّة الشريفة لسنوات طوال، وفوقه التوفيق الإلهي.

١. بصائر الدرجات للصفّار: ١٦٨/ الجزء ٣/ باب ١٣/ ح٧.

٢. مستطرفات السرائر لابن إدريس: ٥٧٥.

النقطة الثانية: حدود الاجتهاد الشيعي[١]:

لا يخفىٰ أن الاجتهاد في العرف الديني الشيعي، يمثل البنية التحتية لموقع الفتيا والقضاء ومنصب المرجعية، وبالتالي فهو يحتل مكانة أساسية ومفصلية وحساسة في هذا الكيان، وعلىٰ هذا الأساس فإن عملية ضبطه وتقنينه وتحديد أطره ومساحاته، - لا أقل علىٰ المستوىٰ النظري والمعرفي - من الضرورة بمكان؛ لأن هذا التحديد والتأطير سوف يغلق الباب علىٰ الحالة الهلامية والضبابية المتشابكة بين هذا العنوان وبين غيره من العناوين، هذا أولاً.

وثانياً: سوف يغلق الباب لاستغلاله وتوظيفه من قبل الأشخاص غير المؤهلين لتسنمه.

وثالثاً: سيغلق الباب أيضاً أمام عمليات التسطيح والتهميش لهذا المفهوم في الموضوعات المعرفية والعلمية.

لذلك كان من المناسب بيان حدود الاجتهاد عند أتباع أهل البيت عليهم السلام، وهو ما سيُبين مفهومه كثيراً في نفس الوقت.

والحدود التي ستتم الإشارة إليها هي:

الحد الأول: حفظ الفاصلة بين العصمة والاجتهاد:

نحن نحصل علىٰ المعلومة من خلال المعصوم عليه السلام، ومن المجتهد في زمن غيبة المعصوم، إلّا أن هذا لا يعني أبداً المساواة بين المعلومتين، بل إن بين العصمة والاجتهاد مسافة كبيرة جداً؛ لأن المعلومة التي نحصل عليها من المعصوم هي معلومة معصومة، وبالتالي فهي تعني المعلومة المضمونة الحقانية والصوابية، والمطابقة للواقع تماماً، وبالتالي فهي التي لا تقبل الخلاف، فيكون العلم الحصولي بها علىٰ حد العلم الحضوري، فإن العلم الحضوري يستحيل

١. مستفاد من كلمات سماحة الأستاذ السيد جعفر الحكيم (حفظه الله) في مجلس درسه في علم الكلام.

فيه الخطأ؛ لأن الخطأ فرع الاثنينية، فرع وجود مطابِق ومطابَق، والمعلوم الحضوري هو الواقع، فلا توجد اثنينية بين العلم والمعلوم، والمعلومة الحصولية المعصومة علىٰ وزانها وقانونها وإن كانت الاثنينية موجودة.

أمّا المعلومة الناشئة من الاجتهاد التخصصي، فهي معلومة غير مضمونة الحقانية والصوابية، وفيها احتمال عدم المطابقة مع الواقع، ولا يمكن طرد نسبة الخطأ عنها، فهي معلومة تنتمي إلىٰ مقولة:

علىٰ المرء أن يسعىٰ بمقدار جهده ... وليس عليه أن يكون موفقاً

هذا هو الحد الأول للاجتهاد، وبه نعرف فرقاً مهماً بين المعلومة التي نحصل عليها من المعصوم، والتي نحصل عليها من المجتهد.

الحد الثاني: الاجتهاد فهم لا تشريع، وفي طول النص والمعصوم لا في عرضهما:

واحدة من الأسس المهمة التي عمل الفكر الشيعي علىٰ تأصيلها وترسيخها في منظومته الفكرية، هي مسألة التراتبية الطولية بين موضوعتي التشريع والاستنباط، وأن المستنبط والمجتهد ليس له أي دور في جعل وإيجاد وتكوين التشريعات، بل كل دوره ينحصر في فهم ما يلقيه عليه الشارع، وبيان تلك التشريعات وتنزلاتها وتطبيقاتها.

ويترتب علىٰ ذلك: أن أي زحاف يحصل في عملية الاستنباط بالعمل في مساحات خارج دائرة عمله، فإنه سيؤدي بشكل تلقائي إلىٰ انقلاب ماهوي في حقيقة الاستنباط، لتتلبس بماهية التقنين التشريعي، وتتحول من الحالة الطولية مع موضوعة التشريع إلىٰ الحالة العرضية.

تنبيه: المغالطة في إمكان الارتباط المباشر بالمعصوم عليه السلام بلا حاجة إلىٰ متخصص:

ظهرت أصوات من هنا وهناك حاولت التقليل من ظاهرة التخصص، وقالوا بأننا لا نحتاج إلىٰ وسيط يدخل فيما بيننا وبين المعصوم عليه السلام.

والحال أن الوجدان قاضٍ بأن التخصص ضرورة، ولابد منه في فهم الدين، نعم حدود مرجعية التخصص تختلف عن حدود مرجعية المعصوم عليه السلام، فالمعصوم عليه السلام حجة في كلامه وفعله وتقريره، والمتخصص حجة في كلامه فقط وبحدود التخصص.

الحد الثالث: فرصة الاجتهاد نسبية لا مطلقة:

إن المعيار في الحقانية هو المطابقة مع الواقع ونفس الأمر، وليس المناط مرتبطاً بأمزجة وإدراكات الناس، بحيث إنهم إذا أجمعوا على أمر كان حقاً، وإن لم يجمعوا كان باطلاً، بل المناط هو في مطابقة الواقع، فإن طابقت الفكرة الواقع فهي حق، حتى لو فرضنا إجماع الناس كلهم على بطلانها، وإن لم تطابق الواقع فهي باطلة، وإن فرضنا اتّفاق الناس على حقانيتها.

العلوم والمعارف بعضها نظرية، وهي ما تحتاج إلى دليل، وبعضها بديهية، أي إنها مطابقة للواقع في حد نفسها، وهي تكون الدليل على صحة العلوم النظرية.

مما يعني أنه لابد أن تنتهي العلوم النظرية إلى البديهية، وإلّا تبقى غير مستدلة، ولا ضمان لكونها مطابقة للواقع، فلا ضمان لكونها حقاً.

فالعلوم لابد أن ترجع إلى بداية بديهية، أو قل: بداية معصومة، أي مضمونة المطابقة للواقع.

هذا بشكل عام.

تأسيساً على هذه الفكرة، فإنه مع حضور وظهور المعصوم عليه السلام، فإنه يكون هو البداية القاطعة لأي معرفة نظرية، فنحن لو عرضت علينا مسألة نظرية، ولم نعرف الحق فيها، فنرجع إلى المعصوم ليعطينا الحق فيها.

ولكن حينما يغيب المعصوم عليه السلام عن الواقع الخارجي لسبب أو لآخر، وتمر البشرية في حالة استثنائية طويلة (وهي عصر الغيبة) تصبح البداية والبديهي والفكرة المعصومة خارج المتناول، فكان لابد من توفر بداية أخرىٰ، تكون هي المرجع لكل المعارف الدينية الأخرىٰ، فكانت المرجعية الدينية التي تمثل نقطة البداية في زمن الغيبة، لا بمعنىٰ أنها نقطة مستقلة في حد نفسها، وإنما بمعنىٰ أنها الخيط الرابط بين النظريات وبين التعلق بالمعصوم ومعرفته وعلومه.

والاجتهاد في متناول اليد، أي إنه يمكن الوصول إليه وفق منهجية علمية منضبطة.

وهذا المعنىٰ في الوقت الذي يثبت ضرورة الاجتهاد كبداية للمعارف في زمن الغيبة، هو يعني ضرورته العلمية والمنهجية أيضاً، إذ لولا هذه المرتبة من العلم، لفقدنا البداية للنظريات التي لدينا، ولحصلت الفوضىٰ المعرفية والعشوائية العلمية.

ولعله إلىٰ هذا المعنىٰ يشير ما روي عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال: «لولا من يبقىٰ بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه، والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلَّا ارتدَّ عن دين الله، ولكنَّهم الذين يُمسِكون أزمَّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يُمسِك صاحب السفينة سكّانها، أُولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ»[1].

كل هذا صحيح، ولكن هذا لا يعني أن الاجتهاد سيوفر المعلومة المعصومة بالمطلق، كالتي يأتي بها المعصوم نفسه، كلا، وإنما هي فكرة تمثل البداية بالنسبة لغير المجتهد وفي زمن الغيبة فقط.

---

١. الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٦٠.

وعلىٰ كل حال، فإن واحدة من مهام المعصوم وعناياته طيلة فترة الظهور كانت هي توفير جملة من البداهات للأمة، لتصبح هي الهيكيلة المعرفية لأتباعه، تؤطر حركتهم العلمية.

ولذلك جاءت النصوص الدينية الكثيرة التي دلت علىٰ ضرورة رجوع الجاهل إلىٰ العالم عموماً، والرجوع إلىٰ رواة الحديث في ما يتعلق بأمور الدين خصوصاً، وقد تقدمت بعض تلك النصوص.

ومن كل ما تقدم يتلخص: أن الرجوع إلىٰ المجتهد إنما يكون في زمن الغيبة، لأنه الطريق الوحيد الذي يوفر لنا الدليل علىٰ ما عندنا من نظريات، أمّا في زمن الظهور، فيكون المرجع هو المعصوم، ومن يجعله نائباً عنه.

الحد الرابع: حفظ الفاصلة بين لغة التخصص ولغة الثقافة العامة:

تتبلور ضمن أروقة التخصص لغة خاصة بهم، تكون هي الوسيلة للتخاطب العلمي والتخصصي فيما بينهم، هذه اللغة تختلف ماهوياً وبنيوياً عن تلك اللغة التي تستخدم في الأنساق المعرفية الثقافية العامة، وما يهمنا في هذا السياق هو:

صحيح أنه لابد من تكامل اللغتين وعدم استغناء كل منهما عن الأُخرىٰ في توصيل المعلومة إلىٰ الذهنية العامة، فاللغة العلمية المتخصصة ينبغي أن تتم صياغتها وفق أسس أدبية معينة، فليس من الصحيح أن يكتب المتخصص علومه ومعارفه بلغة غير منضبطة نحوياً مثلاً أو أنه يستعمل ألفاظاً لا تدل علىٰ المعنىٰ المقصود له، وإن كان له مصطلح خاص فلابد أن يوضحه بطريقة أدبية واضحة.

ولكن هذا لا يعني أن تكون السياقات العلمية في الأروقة التخصصية مكتوبة بلغة بعيدة عن الانضباط العلمي والمنهجي، وهذا ما يكشف لنا عن

بعض الصعوبة التي نواجهها في فهم كلمات الأعلام في كتبهم التخصصية، بل في بعض الأحيان نجد الصعوبة حتىٰ في فهم الرسالة العملية، ذلك لأن الأروقة العلمية تقتضي أن تتم كتابة التخصص بلغة خاصة وبمنهجية علمية.

فلا يأتين شخص ويُشكل علىٰ المجتهدين بأنهم يكتبون بلغة علمية صعبة، فإن هذا هو مقتضىٰ الأروقة العلمية التخصصية، وهذا أمر واقعي نجده في كل التخصصات، فالتخصص الطبي له لغته وسياقاته وصياغاته الخاصة التي لا يفهمها إلّا من يقضي وطراً من عمره في معايشة مصطلحات هذا التخصص العلمي وفهمها وهضمها ليفهمها بطريقة علمية صحيحة.

والحاصل: أن ثمة فاصلاً واضحاً بين لغة الاختصاص ولغة الفهم العام، وأنه لا ضرورة تدعو المتخصص أن يتحدث بلغة عامية غير تخصصية، نعم، لابد من وجود حلقة وصل بين المتخصص وبين عموم الجمهور ليفهموا مصطلحات المتخصص.

وهكذا الحال في القضايا الاجتهادية، فإنه ليس من الضرورة أن تُكتب بلغة عامية يفهمها الجميع، بل لها أروقتها المعرفية التي تقتضي أن تكون اللغة المستعملة فيها تخصصية كما تبين، وعدم قدرة المجتهد علىٰ بيان معانيه العلمية بلغة ثقافية لا يُشكل نقصاً فيه، نعم، يمكن لطلبة المجتهد أن يخففوا من ضغط المصطلحات وبيانها بلغة أقل تخصصاً، وهكذا وصولاً إلىٰ لغة العامة.

ولذلك ينصح العديد من الأساتذة أنه عندما يريد طالب العلم أن يبين مسألة شرعية لغير طلبة العلم، فعليه أن يختار المسائل الابتلائية من جهة، وأن يستخدم اللغة البسيطة في إيصال المعلومة وعدم استعمال المصطلحات العلمية، ولكن لا ضرورة لذلك في الدروس التخصصية الحوزوية، لأن لكل مقام مقالاً كما يُقال.

الحد الخامس: العدالة والتخصص:

ضرورة النزاهة السلوكية:

في مجمل التخصصات التي لها ارتباط بالإنسان، لا يكون العلم فقط هو المعيار الوحيد لاختيار هذا المتخصص دون ذاك، بل يقترن التخصص العلمي والمستوىٰ المعرفي بمقدار معين من النزاهة المرتبطة بالسلوك.

ونعني بالنزاهة هنا: هي مطابقة السلوك الذي يمارسه المتخصص للفكرة والنظرية التي يتبناها ويؤمن بها.

فالطبيب - مثلاً - لا يمكن أن يكون أحد خيارات المريض ما لم يعتقد المريض بأن هذا الطبيب سوف يصف له الدواء وفق ما تقتضيه النظريات العلمية التخصصية التي يؤمن بها، أمّا لو كان هذا الطبيب محتالاً، ويريد أن يغش المريض بنوعية الدواء، أو يعطيه دواءً ليس بحاجة إليه...، فإن هذا الطبيب سوف لن يكون أحد خيارات المريض في علاجه من مرضه.

وهكذا الحال مع كل التخصصات الأخرىٰ كالمهندس والبنّاء والنجار وميكانيكي السيارات...، ففي كل هؤلاء نجد أن الإنسان بطبيعته يتحرك نحو الشخص النزيه الذي تتطابق فيه الفكرة والسلوك، النظرية والتطبيق.

التماهي الحرفي بين النظرية والتطبيق:

في بعض التخصصات، سيما تلك التي ترتبط بالدين والفكر الديني، لا يتم الاكتفاء بالنزاهة، بل نجد أن الناس يبحثون عن تطابق ماهوي بين النظرية التي يدعو لها صاحبها وبين تطبيقه لتلك النظرية ومقدار تمثلها في ذاته.

فالشخص الذي يقول: إنه مرسل من السماء ومرتبط بها، وهو القرآن الناطق، وهو من يحمل العلوم الخاصة، ويحمل الحقيقة، لا يتم الاكتفاء فقط بالمقولة التي يحملها ومقدار حقانيتها ومطابقتها لنفس الأمر والواقع، بل

يتم البحث عن مديات عليا من تمثُّل تلك النظرية والرؤية العالية في سلوك صاحب هذه النظرية، لتصل في بعض الأحيان إلىٰ المطالبة بعصمته عن الخطأ والزلل.

فالشخص الذي يروج لموضوعة الأخلاق بين الناس، ويتكلم بالتواضع والزهد والكرم...، فإن هذا الشخص ما لم يكن متمثلاً لتلك المفاهيم في سلوكه وأفعاله، فلا أقل سوف يسري الشك حول حقيقة تلك المفاهيم، وهل إنها قابلة للتطبيق أو لا، فالناس تعتبر جزءً من صدق المقولة هو تمثل صاحب المقولة لها في سلوكه وأفعاله.

هذا فضلاً عن أن تأثيره بالناس وجذبهم نحو النظرية التي يدعو إليها متوقف علىٰ مقدار تمثلها في سلوكه كما هو واضح، ولذا روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَه لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِه قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِه، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُه بِسِيرَتِه قَبْلَ تَأْدِيبِه بِلِسَانِه، وَمُعَلِّمُ نَفْسِه وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ»[1].

ثم إن التوأمة المطلوبة بين الصفتين: العلمية والعملية (ومن خلال الدليل في محله) تفرز لنا ثلاثة مستويات:

المستوىٰ الأول: عصمة النبي والوصي:

أو قل: العصمة العلمية والعملية في الوسيط بين السماء والغيب وبين الأمة.

ففي هذا المستوىٰ لا يتم الاكتفاء فقط بالعصمة علىٰ مستوىٰ الفكرة والمعلومة، وإنما يُراد لهذه المعلومة أن تكون تطبيقاً وتمثّلاً في شخص هذا المعصوم، فلا يقبل في هذا المستوىٰ أن تُمارس المعصية، بل لا يقبل حتىٰ الخطأ والسهو فيه، فكانت التوأمة بين الشرط العلمي والشرط العملي بحد العصمة.

١. نهج البلاغة: ص٤٨٠، ح٧٣.

المستوىٰ الثاني: الفقاهة والعدالة في المرجع الديني:

ففي مستوىٰ العلوم الدينية يتم التنازل عن شرط العصمة العلمية إلىٰ الفقاهة والخبرة، كما يتم التنازل عن شرط العصمة العملية إلىٰ العدالة في أعلىٰ مستوياتها أو مطلق العدالة (علىٰ اختلاف الباحثين).

فالخطأ غير المقصود والسهو الذي يصدر عنه في العلم أو التطبيق مغتفر ومقبول، ولكن الشرط العملي لا يقف عند حدود صدقه في تسويقه للمعلومة، بل يتعدىٰ ذلك ليصل إلىٰ مستوىٰ التزامه العملي الدقيق بما يقول، من دون المطالبة بعدم الخطأ أو السهو في ذلك.

المستوىٰ الثالث: التخصص والنزاهة:

في مستوىٰ العلوم الحياتية (طبيب، مهندس، نجار، ميكانيكي...) يشترط - إلىٰ جانب المستوىٰ العلمي الذي يحمله وهو التخصص - شرط عملي يتعلق بصدقه في نقله وتسويقه لمعلومته، هو شرطٌ يُلزم هذا المتخصص أن لا يخون ولا يخادع من يرجع إليه في تخصصه، وكل ما عدا ذلك فليس مطلوباً ومراداً من قبل الناس، حتىٰ لو يكن المتخصص ملتزماً في بُعده العملي الشخصي بمعلومته التخصصية، فكل ما يطلب من الطبيب صدقه ونزاهته في نقل معلومته الطبية للمريض، أمّا كونه يطبقها أو لا في حياته الشخصية العملية فهو أمر لا يعني مراجعيه، ولذا قد نراجع طبيباً يمنعنا من الأكلات الدسمة وهو يأكلها، ونأخذ بدوائه ونصائحه، لأننا نعتقد بنزاهته في هذا المجال وإن خالف علمه عملياً.

والحاصل: أن اشتراط العدالة في مرجع التقاليد نابع من أننا اتبعنا أشخاصاً معصومين في تصرفاتهم وإدراكاتهم، فلم يرتض الشرع والعقل بديلاً عنهم زمن الغيبة ما لم يكن علىٰ مرحلة عالية من الوثاقة والعدالة.

وهذه الشروط هي تعبير عن ارتباطات عضوية لا تقبل التفكيك أو التجزئة بين العلم والعمل، خصوصاً في مجال العلوم الإنسانية، وبالأخص العلوم الدينية المؤسسة علىٰ معرفة المطلق والارتباط به.

والعدالة هي الترجمة العملية في الفرد الذي يطرح تصوراته ومقولاته للمتابعة والتقليد.

الحد السادس: حجية المنهج المشترك دون الخاص:

أ - واحد من أهم المرتكزات العقلائية في موضوعة التفهيم والتفاهم بين الناس هو المنهج المشترك، هذا المنهج هو ما يسمح للتعاطي السلس داخل أروقة المجتمع بأن يفهم كلٌّ منهم الآخر، فتمتد من خلال هذا المنهج المشترك جسور التواصل بينهم فعلاً وانفعالاً.

ب - واحدة من ثمرات المنهج المشترك هو أن منه ينبثق موضوعة الحجية وإلزام الآخر، فإن المنهج المشترك يمثل البنية التحتية والأساسية في تشييد هذه العلاقة، فلا يمكن للحجية أن تتأسس علىٰ أدوات مبهمة وغير مفهومة للجميع ولا يمكن قراءتها وتحليلها من قبل الآخرين.

وهذا المعنىٰ سيال وضروري حتىٰ مع اعتماد الوسيط، فإن حجية قول من أرسل الوسيط (كما لو أرسل الله تعالىٰ نبياً يكون واسطة بيننا وبينه) مرهونة بكونها لغة عامة ومشتركة ومنهجاً مفهوماً لمن هم دون الوسيط، بحيث يستعمل الوسيط لغة يفهمها الناس، لا أنها لغة خاصة ومنهج مبهم بينه وبين الله تعالىٰ، وإلّا فكيف سنفهم مرادات الباري جل وعلا، وبالتالي، لو لم نفهم لغة الوسيط، فلا حجية له علينا.

علىٰ سبيل المثال لو ذهبت إلىٰ الطبيب لغرض العلاج من مرض ما، وكان هذا الطبيب يعتمد علىٰ مصادر طبية خاصة، مجهولة تماماً لغير شخص هذا الطبيب، ولا يمكن لغيره الاطلاع عليها ونقدها وفهمها، وهي غير تلك

المصادر الطبية التي يعتمدها الطب في العالم، حينها سيكون الرجوع إليه والتداوي علىٰ يده واعتبار مقولاته حجة وملزمة أمراً مجانباً للصواب جداً، حتىٰ وإن كان الطبيب مورداً لثقة الآخرين وقبولهم من ناحية صدقه وعدم كذبه.

ج - لو لم يتوفر لدىٰ الوسيط إلّا اللغة الخاصة والمنهج الخاص، فما هو البديل عن اللغة المشتركة؟

الجواب: لابد من طريقة تثبت حقانية -وبالتالي حجية- ما يأتي به الوسيط، بحيث تكون كاشفة عن صدقه وبنسبة تامة، ومن هذا القبيل وجدنا أن الأنبياء، حيث إن مصدر معارفهم وعلومهم هو مصدر خاص (اللغة الوحيانية)، فاحتاجوا إلىٰ موضوعة الإعجاز؛ لأن المعادلة التي يعتمدونها مجهولة تماماً بالنسبة لغيرهم، وهي غير قابلة للفهم والتحليل من قبل غيرهم، ولكن لكون الدليل دلّ علىٰ عصمتهم ولابدية تصديقهم، كان التسليم بمقولاتهم ضمن السياقات المنهجية العلمية.

فكل لغة خاصة ومنهج خاص لم يقم الدليل علىٰ حجيته فهو بطبيعته يدخل في دائرة اللاحجية.

د - ومنه نعلم أن اعتماد الأحلام أو قراءة الفنجان أو اعتماد غير المعصوم المكاشفة مصدراً معرفياً، كلها خارج دائرة الحجية.

ومثله ما لو ادّعىٰ أحدٌ لقاء المعصوم في عصر الغيبة الصغرىٰ ونقْل بعض التعليمات والأحكام عنه، فإنه خارج عن دائرة الحجية.

كل ذلك لأن هذه المصادر خاصة ولا تمثل لغة معرفية عامة قابلة للمتابعة والتحقق، ومن ثَمّ لا تصلح مصدراً معرفياً ولغة إلزام للآخر.

والذي يُراد قوله بالضبط: إن أي لغة لم تكن ضمن اللغات العامة والمناهج المشتركة، وكانت ضمن اللغات الخاصة، فهي في حجيتها تحتاج إلىٰ دليل،

ولا يعني هذا أبداً القدح بالشخص الذي مارس هذه اللغة الخاصة واعتمد عليها، وإنما الكلام كل الكلام في حجيته وإلزامه للآخرين.

هـ - والسر الكامن وراء عدم حجية اللغة الخاصة والمنهج الخاص، يرجع إلىٰ أن الحجج في السياق الشرعي والعقلائي قائمة علىٰ فكرة بذل الجهد واستفراغ الوسع من أجل الوصول إلىٰ مراد المقنن والمشرع، وهذا لا معنىٰ له أبداً في اللغة الخاصة، إذ هي من الأساس ليست متاحة للجميع، ولا يمكن أن يفهمها غير مدعيها، فلو جاء شخص وألقىٰ علينا حكماً شرعياً وقال عنه: إن هذا هو الحكم الذي يريده الله تبارك وتعالىٰ، وقد أخبرني به الوحي، حينها ما هو الدليل الذي يجعلنا نصدق بهذا القول؟

وكيف يكون ذلك القول حجة علينا لو لم يوجد أي طريق يمكن من خلاله إثبات مقولته هذه؟

إنه لابد من أحد أمرين: إمّا أن يتكلم بلغة وبمنهج نتمكن نحن بأدواتنا المعرفية المتاحة لنا أن نتأكد من صحته، (وهذه غير متوفرة لفرض أنه ادعىٰ الوحي أو ادعىٰ أنه التقىٰ بالمعصوم في عصر الغيبة).

وإمّا أن يأتي بمعجزة تثبت أولاً اتصاله بالغيب، وتثبت ثانياً صدقه في مدّعاه، وبالتالي تثبت حجيته علينا.

أمّا أن يأتي بأمر ودليله الأحلام، أو قراءة الفنجان، أو أنه التقىٰ بالمعصوم ولم يثبت ذلك بمعجزة، فمن الواضح جداً أن هذا لا يكون حجة علينا أبداً، حتىٰ لو فرضنا أنه صادق في مدّعاه، أي حتىٰ لو فرضنا أنه فعلاً رأىٰ في الحلم كذا، أو أنه التقىٰ بالمعصوم، ولكن حيث لم يثبت لنا لقاءه بالمعصوم، فلا حجية له علينا.

إذا تبين كل هذا نقول:

أولاً: وضَع الاجتهاد الشيعي خطاً أحمر تجاه كل من يتحدث بهذه اللغات

والمناهج الخاصة في الشأن الديني العام، بحيث إن المنهج العام هو عدم حجية من يدّعي دعوىٰ معينة ولا دليل له يمكن أن نفهمه سوىٰ اللغة والمنهج الخاص التي يدّعيها.

ثانياً: إن موضع حركة الاجتهاد الشيعي هي ضمن دائرة المنهج المشترك المتمثل بالقرآن والسنة والعقل، ولم يقبل أن تكون أحد مصادره الأحلام والرؤىٰ، أو أن تكون أحد مصادره أن الشخص الفلاني التقىٰ بالإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه وأرشده إلىٰ الحكم الكذائي، من دون أن يتعارض هذا مع لطفه ورعايته لنا في عصر الغيبة، فهذا موضوع آخر غير ما نتحدث فيه من حجية قول الشخص.

وهكذا لم يقبل الاجتهاد الشيعي أن تكون أحد المصادر هو أن الزاهد الفلاني حصل علىٰ الحكم الشرعي من خلال مكاشفة خاصة به، كل هذه وغيرها من المصادر غير المنهجية، لم يرتضها الاجتهاد الشيعي ووضع حولها خطاً أحمر لا يجوز تجاوزه.

وفي الحقيقة، فإن هذا الأمر عقلائي، ومنهجي في نفس الوقت، وكل من رجع إلىٰ وجدانه يجد أن قول الآخر إنما يكون حجة عليه إذا كان ضمن المنهج المفهوم للجميع، والذي يمكن أن يُستدل عليه بطريقة علمية، وهذا هو معنىٰ اللغة المشتركة في الحجية، وأمّا لو كانت اللغة خاصة بصاحبها، فلو فرضنا أنه صادق في حد نفسه، فإنه لا يكون حجة علينا، لفقدانه وسيلة الإثبات المنهجية.

علماً أن الحديث هنا ليس في صدد تكذيب من ادعىٰ اللقاء بالمعصوم عليه السلام في غيبته ولا إثبات ذلك، وإنما حديثنا في حجية قول من ادّعىٰ اللقاء وأخذ الأحكام الشرعية أو التعليمات منه، وفرق بين الأمرين.

فلسنا بصدد نفي أو إثبات الرؤية واللقاء بالإمام عجل الله فرجه، بل كل كلامنا

يتمحور في إشكالية توظيف هذا اللقاء في نقل جملة من الأفكار والرؤىٰ إلىٰ الناس وأنه طريقة غير علمية وغير منهجية، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتم القبول من شخص لا يتحرك في سياق اللغة المتداولة العامة في استدلالاته، ولا يمتلك دليلاً علىٰ عصمته، ولم يأت بمعجز يعزز ما يقوله، ولم يقدم دليلاً قطعياً علىٰ حجيته...، ونجده ينتهي إلىٰ مقولة: أنني رأيت هكذا بشكل خاص، فمثل هذا الشخص لا يمكن أبداً قبول مدعياته، ولو قبلنا بها لوقعنا في ازدواجية كبيرة، كيف! ونحن نطالب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في إثبات صدق مقولاته بدليل كالعصمة أو المعجزة، في حين أننا نكتفي بما يقول هذا الشخص لصرف كونه صادقاً، بلا بينة ولا دليل!

ولذا لابد من التفكيك بين كون الإنسان طيباً وصاحب سريرة حسنة، وبين أن يأخذ موقع السفارة الخاصة والباب عن الإمام عجل الله فرجه، فهاتان مساحتان لا ينبغي الخلط بينهما، فالعقلاء لا يقبلون من شخص يتصف بالصدق والطيب أن يأخذ موقع الطبيب ليصف لهم الدواء في علاج أمراضهم، وهكذا الحال مع باقي التخصصات، فالقفز في المواقع بلا أي قانون أو ضوابط يؤدي بنا إلىٰ فوضىٰ عارمة.

يجب أن نفهم: أن مدعي اللقاء مع صاحب الأمر عجل الله فرجه لا يكفي في تصديقه صرف كونه صادقاً وإنساناً خيّراً؛ لاحتمال توهمه أو وقوعه في الخطأ، وإن كان صادقاً، لأنه غير معصوم حسب الفرض، ولم يأت بمعجزة تدل علىٰ صدق مدعاه.

الحد السابع: نيابة عامة لا خاصة:

يحتل شخص المعصوم مكانة خاصة في الوجدان الشيعي لما يمثله في المستوىٰ النظري من حلقة الوصل بين الأرض والسماء، وفي المستوىٰ العملي من تجسيد لكل معاني السمو والكمال.

بالإضافة: إلىٰ دخوله في هوية النسيج العقدي والاجتماعي لهذا التشكل، فإن إيماننا بالمعصوم لا يقتصر علىٰ كونه واسطة بيننا وبين النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والباري جل وعلا، وإنما صار إيماننا به عليه السلام مفصلاً أساسياً لانتمائنا، ومميزاً لنا عن غيرنا، وانتماؤنا لهذا المذهب الحق لم يكن من دون إيماننا بالمعصومين عليهم السلام.

من ثم كان أدنىٰ نوع اتصال به يمثل شرفاً عظيماً، ونحن نقدّر - كثيراً - الرواة الذين سمعوا الحديث منهم عليهم السلام ونقلوه لنا بكل أمانة، ونجلهم، ونحترمهم.

وهكذا الأمر لو كانت العلاقة معه عجل الله فرجه حاصلة في عصر الغيبة، فكان اللقاء به عجل الله فرجه أمنية تراود نفس كل شيعي وغاية سامية يرنو إليها كل موالٍ.

وقد دوّن لنا التاريخ أسماء شخوص طهرت نفوسهم وارتقوا في مراتب الإيمان، فنالوا شرف اللقاء به عجل الله فرجه منهم السيد ابن طاووس والسيد بحر العلوم وغيرهم.

ولكن السؤال: في عصر الغيبة، هل يمكن أن ينعكس اللقاء بالإمام عجل الله فرجه علىٰ العلاقة بين الأمة ومن نال ذلك الشرف أو لا؟

هل يمكن أن نقبل إخبار من التقىٰ الإمام بحُكمٍ شرعي أو فكرة أو مقولة أو توجيه إزاء واقعة محددة وحدث معين؟

هل يكون مفاد ذلك الإخبار ملزماً لنا باعتباره صادراً من الإمام مباشرة؟

الجواب:

بالتحليل، فإن النقل عن الإمام مباشرة وعبر دعوىٰ لقائه لا يمثل طريقاً منهجياً (مع كل ما يحمله لقاء الإمام من مداليل عميقة في حد نفسه) يمكن أن يعتمد عليه في الحصول علىٰ حكم أو موقف شرعي؛ لأن ثمة عنصرين يمنعان من ذلك، هما:

العنصر الأول: أنه لغة خاصة لا عامة:

إن الحكم الشرعي يمثل وجهة نظر الشارع تجاه مختلف الأحداث، الاجتماعية منها والسياسية والثقافية وغيرها، فهو يحدد موقف المكلف وطريقة تعاطيه مع مختلف الأحداث مهما كانت خطورتها أو صغرها، وهو في الوقت ذاته لا يقتصر علىٰ زمان دون زمان، بل يتجاوز الزمان ليحدد الموقف منها مهما ابتعدت عن عصر النص والحضور.

فالحكم الشرعي يؤثر بصورة مباشرة علىٰ مقدرات الناس من الأنفس والأموال والأعراض بل ربما الأمم، لذا فهو لا يمكن أن يقوم علىٰ آلية ذاتية وذات طابع فردي (ولغة خاصة) كاللقاء بشخص الإمام عليه السلام في غيبته ونقل الحكم عنه عليه السلام، إذ مثل هذا اللقاء - لو كان - فهو يفتقد منطقيته؛ باعتباره حالة استثنائية غير متاحة للعموم كي يصلح لغة مشتركة بينهم تصلح للتفاهم والاحتجاج والإقناع، وبالتالي فلا طريق لها لأن تكون ملزمة لغير من حظي بها، ومن ثم فهي تبقىٰ في دائرة الدعاوىٰ غير المستدلة والتي تختص قيمتها القانونية - لو صدقت - بصاحبها.

لابد للحكم الشرعي (ولكل معرفة يراد توصيلها للآخرين) من قنوات منهجية واضحة وعامة تكون هي المعيار في قبوله أو رفضه، وهذا أمر تقضي به طبيعة الأمور ذات التداول العام بين أبناء البشر، فالبيع والشراء مثلاً في التعاملات السوقية اليومية يتم من خلال وحدات قياسية ثابتة متفق عليها مسبقاً، لتكون هي المرجع في تحديد قيم الأشياء، مع الفارق الكبير بين التداعيات المترتبة علىٰ كل من الأمرين.

العنصر الثاني: الأدلة الدالة علىٰ انقطاع النيابة الخاصة زمن الغيبة الصغرىٰ:

إن هناك الكثير من النصوص الدينية التي تؤكد انقطاع الصلة بالإمام عليه السلام في عصر الغيبة، وانحصار طريق أخذ الأحكام الشرعية في

رواة أحاديث الأئمة عليهم السلام، منها ما دل على أن من ادعى الرؤية كاذب، وما دل على بدء الغيبة الكبرى للإمام عجل الله فرجه وحصر أخذ الأحكام الشرعية في الرواة «فإنهم حجتي عليكم»، بل بات هذا الأمر من الثوابت المذهبية المحسومة التي لا تقبل الاجتهاد والرأي الآخر والتعدد.

من خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى أن المجتهد لا يملك النيابة الخاصة، بل إن أقصى ما يمثله هي النيابة العامة في حدود المنهجية الموضوعة لذلك.

وحتى تتضح الصورة أكثر، نذكر الاستطراد التالي:

استطراد: أدلة انقطاع النيابة الخاصة[1]:

هنالك أدلة عديدة على انقطاع السفارة، منها:

أولاً: إن انقطاع النيابة والسفارة من أوليات وبديهيات وضروريات مذهب أهل البيت عليهم السلام، ولا تجد عالماً يُشكّك في ذلك، وكل من قال بغير ذلك - لو وُجد - فهو خارج عن هذه الضرورة ولا يُعبأ به.

(قال الشيخ سعد بن عبد الله الأشعري القمّي - وقد كان معاصراً للإمام العسكري عليه السلام، وكان شيخ الطائفة وفقيهها - في كتابه المقالات والفِرق بعد أن بيّن لزوم الاعتقاد بغيبة الإمام عجل الله فرجه، وانقطاع الارتباط به: فهذه سبيل الإمامة، وهذا المنهج الواضح، والغرض الواجب اللازم الذي لم يزل عليه الإجماع من الشيعة الإماميّة المهتدية (رحمة الله عليها)، وعلى ذلك إجماعنا إلى يوم مضى الحسن بن عليّ رضي الله عنه)[2].

ثانياً: إجماع الفقهاء على انقطاع النيابة وإجماعهم على كفر وضلال مدّعي السفارة والنيابة.

---

١. مستفاد من أجوبة مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه بتصرف وإضافة.

٢. المقالات والفرق للأشعري حسب نقل الشيخ محمد السند في كتابه: فقه علائم الظهور: ص٢٢.

قال ابن قولويه رحمه الله: (... لأن عندنا أن كل من ادعىٰ الأمر بعد السمري رحمه الله فهو كافر منمس ضال مضل...)[١].

ثالثاً: التواتر:

ومعناه: أن للإمام المهدي عجل الله فرجه غيبتين: غيبة صغرىٰ وغيبة كبرىٰ، وإن من الفارق بينهما: هو أن الغيبة الصغرىٰ يكون الخفاء فيها ليس تاماً لوجود تمثيل رسمي للإمام عجل الله فرجه من خلال السفراء والنواب الخاصين، وأن الغيبة الكبرىٰ يكون الخفاء فيها تاماً، أي يكون الانقطاع تاماً، كما أن انتهاء الغيبة الصغرىٰ يكون بانقطاع السفارة والنيابة الخاصة، في حين أن انتهاء الغيبة الكبرىٰ يكون بظهور الإمام عجل الله فرجه وبيعته وإقامة دولته وبروز جهاز إدارته.

وهذا أمر متفق عليه لدىٰ الجميع، فلو جاء شخص وادعىٰ أنه التقىٰ بالإمام عجل الله فرجه وأنه سفيره إلىٰ الناس، لأمكن أن يأتي شخص ثانٍ وثالثٍ وعاشر، وبالتالي لا يكون فرق بين الغيبتين.

رابعاً: ومما يؤيد التسليم بانقطاع السفارة الخاصة، هو أن (علماء سنة الخلافة وجماعة السلطان قد اشتهر بينهم عن الإماميّة ذلك، وأخذوا يصيغون الإشكالات بانعدام الإمام عجل الله فرجه مع انقطاعه عن شيعته في أكثر كتبهم الكلاميّة والمؤلّفة في الملل والمذاهب)[٢].

فمثل هذه الإشكالات التي طرحوها لا وجه لها لو لم يكن انقطاع السفارة الخاصة مسلّماً لدىٰ الشيعة، ومشتهراً لدىٰ الجميع، لذا استغلوا هذه الحقيقة لصياغة بعض الإشكالات، والتي أجاب عنها علماؤنا بالتفصيل[٣].

---

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٤١٢، ح٣٨٥.

٢. فقه علائم الظهور للشيخ محمد السند: ص٢٤.

٣. لمزيد اطلاع يمكن مراجعة كتاب: شذرات مهدوية للشيخ حسين الأسدي - الشذرة التاسعة: الغيبة المهدوية.

خامساً: التوقيع المبارك المروي بتوسط النائب الرابع علي بن محمد السمري رضي الله عنه، إذ روىٰ الشيخ الصدوق قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري (قدس الله روحه) فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلىٰ الناس توقيعا نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توصِ إلىٰ أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله عز وجل وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادَّعىٰ المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم».

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه. ومضىٰ رضي الله عنه، فهذا آخر كلام سمع منه[1].

إن المشاهدة المنفية في نص الإمام لا تخلو عن أحد معنيين:

الأول: نفي مطلق المشاهدة.

الثاني: نفي بعض المشاهدة.

أمّا الأول، فباطل بالوجدان، لحدوث المشاهدة من عدة من أساطين الفقهاء والعلماء وتشرفهم بلقائه عجل الله فرجه، حتىٰ إن ثلة منهم نقل عنه عجل الله فرجه بعض الأدعية المسطرة في كتب الشيعة مع عدم دعواهم للسفارة.

فلابد من أن ينحصر المعنىٰ بالثاني (أي نفي بعض مصاديق المشاهدة)، وهذا البعض المنفي لابد أن يكون المراد منه المشاهدة مع ادعاء الوساطة

١. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٥١٦، ب٤٥، ح٤٤؛ ورواه الشيخ الطوسي في الغيبة: ص٣٩٥، ح٣٦٥.

والارتباط المباشر بالإمام عجل الله فرجه، بقرينة أن التوقيع صدر قرب وفاة السمري، حيث ورد في أوله تعزية الإمام عجل الله فرجه المؤمنين بموت السمري ما بينه وبين ستة أيام، ثم أمْرُه عليه السلام السمري بعدم الوصاية إلىٰ أحد يقوم مقامه بعد وفاته، إذ قد وقعت الغيبة التامة، وأنه لا ظهور حتىٰ يأذن الله تعالىٰ ذكره، وهذه كلها قرائن علىٰ أن سياق الكلام دال علىٰ تكذيب المشاهدة مع دعوىٰ النيابة والسفارة بعد السمري رضي الله عنه، فتكون المشاهدة بمعنىٰ السفارة من المحكمات.

علىٰ أنه ينبغي أن نلاحظ التالي:

إن التوقيع الشريف، إن كان ينفي خصوص السفارة فبها، وإن كان ينفي مطلق المشاهدة، بما يشمل السفارة والرؤية من دون ادعائها، فهو أيضاً بالتالي ينفي السفارة الخاصة. إذ السفارة أخص من مطلق الرؤية، والخاص ينتفي بانتفاء المطلق والعام.

النحو الثالث: قيادة الأمة ورئاسة الحكومة:

أي دور الحاكمية علىٰ الأرض، وتسنّم منصب رئاسة الدولة سياسياً، وعسكرياً، وبقية مفاصل الدولة.

ومن المعلوم أن القيام بهذا الدور يتوقف - في واقعه - علىٰ طرفين: طرف المعصوم، وطرف الناس؛ إذ إن الحكومة تعني أن يقوم فردٌ واحدٌ - هو الرئيس - بإدارة الشعب وما يتعلق به من منظمات ومؤسسات، فهناك طرفان للحكومة: حاكم، ومحكوم، والواقع يشهد أن الحاكم - وفق النظام الطبيعي من تولّد النتائج من أسبابها الواقعية كما أراد الله تعالىٰ لهذا العالم أن يكون - لا يمكنه القيام بكل مهام الحكومة من دون أن يقف الشعب معه، أو قل: إنه لا يمكنه إدارة الدولة من دون أن يُمكّنه الناس من ذلك، بأن يقبلوا ولايته عليهم، ويُطيعوه فيما يأمرهم، ويقفوا معه ضد من يريد الإطاحة به.

إن أي خلل في طرفي المعادلة هذه يؤدي إمّا إلىٰ أن يكون الحاكم دكتاتورياً، فيما إذا اعتمد علىٰ قوته العسكرية، وأهمل الشعب، وعمل علىٰ استضعافه واستعباده، أو يكون ضعيفاً هزيلاً، لا يمكنه حماية دولته، فيما إذا لم يقم الشعب بمساندته ومعونته علىٰ القيام بمهامه.

وإن فهمنا لهذه المعادلة جيداً، سينفعنا في الإجابة عن العديد من الأسئلة التي تتوجه إلىٰ بعض تصرفات المعصوم، من قبيل جلوس أمير المؤمنين عليه السلام في بيته سنوات طويلة، وصلح الإمام الحسن عليه السلام، وما شابه هذه المواقف، بل إنه سيجيب عن سؤال مفاده: أنه لماذا لم يكن المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي هو أفضل بلا شك من الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه.

إن فهمنا لهذه المعادلة سيبين لنا أن العلة المانعة من تسنم الحكم أمس، واليوم، هي ليست في المعصوم، وإنما هي في طرف المعادلة الثاني: الناس.

وفي بحثنا نقول:

نحن نعتقد أن الطرف الأول للحكومة - وهو الحاكم - هو المعصوم الذي جعله الله تبارك وتعالىٰ حجة علىٰ الخلق، وهو - لعصمته - مؤهل لقيادة الأمة، بل لا بديل عنه بمستواه، وبالتالي، فهذا الطرف تام.

إن قلت: إن كان كذلك، فلمَ غاب ولم يقم بقيادة الدولة؟

قلت: إن النقص ليس من جهته، وإنما من جهة الطرف الثاني للمعادلة، وهو الناس، فإنهم لم يقوموا بما عليهم من مهمة التمكين للمعصوم لقيادة الدولة، حيث تقدم أن علىٰ الأمة أن تُمكّن الحاكم من قيادة الدولة، وإلّا، فإنه لن يتمكن من ذلك وفق النظام الطبيعي، وقد ألفتت جملة من النصوص إلىٰ هذا الدور المحوري للأمة، من قبيل ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لَمْ تَكُنْ

بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، ولَيْسَ أَمْرِي وأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ لله، وأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وايْمُ الله لأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِه ولأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِه، حَتَّىٰ أُورِدَه مَنْهَلَ الحَقِّ وإِنْ كَانَ كَارِهاً»[1].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عن أبي عَبْدِ الله عليه السلام: «... لَوْ لَا أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَدُوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ ويَجْبِي لَهُمُ الفَيْءَ ويُقَاتِلُ عَنْهُمْ ويَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ، لَمَا سَلَبُونَا حَقَّنَا، ولَوْ تَرَكَهُمُ النَّاسُ ومَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا وَجَدُوا شَيْئاً إِلَّا مَا وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ...»[2].

مع التنبيه على أن التمكين ليس هو مصدر الشرعية في عقيدتنا، وإنما هو يأتي بعد الشرعية، فبعد أن قامت السماء بتعيين الحاكم وفق مواصفات خاصة (من الجعل والعصمة والعلم اللدني كما ثبت في محله من علم الكلام)، يأتي

---

١. نهج البلاغة: ج٢، ص١٩.

٢. الكافي للكليني: ج٥، ص١٠٥، بَابُ عَمَلِ السُّلْطَانِ وجَوَائِزِهِمْ، ح٤. وتمام الحديث: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: كَانَ لِي صَدِيقٌ مِنْ كُتَّابِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ لِي: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، فَاسْتَأْذَنْتُ لَه عَلَيْه، فَأَذِنَ لَه، فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ سَلَّمَ وجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنِّي كُنْتُ فِي دِيوَانِ هَؤُلَاءِ القَوْمِ، فَأَصَبْتُ مِنْ دُنْيَاهُمْ مَالاً كَثِيراً، وأَغْمَضْتُ فِي مَطَالِبِه.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «لَوْلَا أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَدُوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ ويَجْبِي لَهُمُ الفَيْءَ ويُقَاتِلُ عَنْهُمْ ويَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ، لَمَا سَلَبُونَا حَقَّنَا، ولَوْ تَرَكَهُمُ النَّاسُ ومَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا وَجَدُوا شَيْئاً إِلَّا مَا وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ»، قَالَ: قَالَ الفَتَىٰ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَهَلْ لِي مَخْرَجٌ مِنْه؟ قَالَ عليه السلام: «إِنْ قُلْتُ لَكَ تَفْعَلُ»؟! قَالَ: أَفْعَلُ. قَالَ عليه السلام لَه: «فَاخْرُجْ مِنْ جَمِيعِ مَا اكْتَسَبْتَ فِي دِيوَانِهِمْ، فَمَنْ عَرَفْتَ مِنْهُمْ رَدَدْتَ عَلَيْه مَالَه، ومَنْ لَمْ تَعْرِفْ تَصَدَّقْتَ بِه، وأَنَا أَضْمَنُ لَكَ عَلَىٰ الله عز وجل الجَنَّةَ»، قَالَ: فَأَطْرَقَ الفَتَىٰ رَأْسَه طَوِيلاً ثُمَّ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَمْزَةَ: فَرَجَعَ الفَتَىٰ مَعَنَا إِلَىٰ الكُوفَةِ، فَمَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَىٰ وَجْه الأَرْضِ إِلَّا خَرَجَ مِنْه، حَتَّىٰ ثِيَابَه الَّتِي كَانَتْ عَلَىٰ بَدَنِه. قَالَ: فَقَسَمْتُ لَه قِسْمَةً واشْتَرَيْنَا لَه ثِيَاباً وبَعَثْنَا إِلَيْه بِنَفَقَةٍ. قَالَ: فَمَا أَتَىٰ عَلَيْه إِلَّا أَشْهُرٌ قَلَائِلُ حَتَّىٰ مَرِضَ، فَكُنَّا نَعُودُه، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْه يَوْماً وهُوَ فِي السَّوْقِ، قَالَ: فَفَتَحَ عَيْنَيْه ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عَلِيُّ، وَفَىٰ لِي والله صَاحِبُكَ. قَالَ: ثُمَّ مَاتَ، فَتَوَلَّيْنَا أَمْرَه، فَخَرَجْتُ حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ عليه السلام: «يَا عَلِيُّ، وَفَيْنَا والله لِصَاحِبِكَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: صَدَقْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ، هَكَذَا والله قَالَ لِي عِنْدَ مَوْتِه.

دور الشعب في تمكين المعصوم من حكم الأرض، فالتمكين يأتي في طول الشرعية، لا أنه هو المصدر لها.

علماً أن التمكين وإنْ كان يأتي بعد الشرعية، إلّا أن له مراتب كثيرة، يمكن أن يؤخذ بطريقة عفوية تلقائية وبطريقة قبول الواقع وتمشية الحال، ولكن في نفس الوقت يُمكن أن يؤخذ علىٰ أنه المحور في أي فعل يفعله الحاكم، بحيث يمكن أن يكون بيد الناس السماح للحاكم بتفعيل حاكميته أو تجميدها.

إن قراءة سريعة لتاريخ الناس مع الأئمة المعصومين عليهم السلام، يكشف بكل وضوح، أنهم لم يقوموا بما عليهم من التمكين، وإنهم تخلوا عن المعصوم في ساعة العسرة، إلّا القلة القليلة ممن لا يتم التمكين بهم، الأمر الذي انعكس علىٰ الواقع، وجعل الحكم بيد غير المعصومين لمئات السنين، وما زال.

وهذه نماذج من مواقف الناس مع المعصوم:

أولاً: بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، عُقد اجتماع السقيفة، الذي أدىٰ إلىٰ إبعاد أمير المؤمنين عليه السلام عن الحكم لمدة (٣٥) سنة، وفي هذه الفترة لم يقم أكثر الناس بما عليهم من مهمة التمكين، بل وصل الأمر في أوجّ حالات الشدة إلىٰ ما روي عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ارتد الناس إلّا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر، والمقداد»، قال: فقلت: فعمار؟ فقال: «قد كان جاض جيضة[1]، ثم رجع»، ثم قال: «إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد، فأمّا سلمان فإنه عرض في قلبه عارض، أن عند ذا يعني أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلم به لأخذتهم الأرض وهو هكذا، فلبب ووجئت في عنقه

١. جاض - بالجيم والضاد - وقد يقرأ - بالحاء والصاد المهملتين - وكلاهما بمعنىٰ الحيود والزيغ. كذا ذكره السيد الداماد في الرواشح. وقال المجلسي رحمه الله بعد نقل الخبر عن رجال الكشي: جاض عنه: حاد ومال وفي بعض النسخ بالحاء والصاد المهملتين بمعناه وحاصوا عن العدو: انهزموا. انتهىٰ. والخبر في رجال الكشي ص٨. [هامش المصدر].

حتىٰ تركت كالسلعة[١]، ومر به أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله هذا من ذاك بايع، فبايع، وأمّا أبو ذر فأمره أمير المؤمنين عليه السلام بالسكوت ولم يكن تأخذه في الله لومة لائم، فأبىٰ إلّا أن يتكلم فمر به عثمان فأمر به، ثم أناب الناس بعد فكان أول من أناب أبو ساسان الأنصاري وأبو عمرة وفلان حتىٰ عقد سبعة، ولم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام، إلّا هؤلاء السبعة».

وفي هذا السياق روي عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أَقَلَّنَا لَوِ اجْتَمَعْنَا عَلَىٰ شَاةٍ مَا أَفْنَيْنَاهَا! فَقَالَ عليه السلام: «أَلَا أُحَدِّثُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ، الْمُهَاجِرُونَ والأَنْصَارُ، ذَهَبُوا إِلَّا - وأَشَارَ بِيَدِهِ ثَلَاثَةً -»، [أي أشار إلىٰ أن ثلاثة فقط لم يذهبوا كما تقدم].

قَالَ حُمْرَانُ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا حَالُ عَمَّارٍ؟ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ عَمَّاراً أَبَا الْيَقْظَانِ، بَايَعَ وقُتِلَ شَهِيداً».

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ الشَّهَادَةِ، فَنَظَرَ عليه السلام إِلَيَّ فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تَرَىٰ أَنَّهُ مِثْلُ الثَّلَاثَةِ! أَيْهَاتَ أَيْهَاتَ»[٢].

ثانياً: في زمن الإمام الحسن عليه السلام، اضطر عليه السلام إلىٰ ترك مقاتلة معاوية، وبالتالي قبول الصلح معه، بسبب قلة الناصر، وبهدف الحفاظ علىٰ الثلة القليلة من المؤمنين، الأمر الذي كشفت عنه النصوص الواردة عنهم عليهم السلام.

ففي حديث أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «اعلم أن الحسن بن علي عليهما السلام لما طعن واختلف الناس عليه، سلَّم الأمر لمعاوية، فسلَّمت عليه الشيعة عليك السلام يا مذل المؤمنين. فقال عليه السلام: ما أنا بمذل المؤمنين ولكني معز المؤمنين، إني لما رأيتكم ليس بكم عليهم قوة، سلَّمت الأمر لأبقىٰ أنا وأنتم بين أظهرهم،

١. في القاموس: لبه أي جمع ثيابه عند نحره في الخصومة ثم جره. اهـ. ووجأ يوجأ وجاء فلاناً بالسكين أو بيده: ضربه في أي موضع كان، فهو موجوء. والسلعة كما مر - بالكسر - كالغدة في الجسد ويفتح ويحرك أو غدة فيها أو زيادة في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت. علىٰ ما في القاموس. [هامش المصدر].

٢. الكافي للكليني: ج٢، ص٢٤٤، بَابٌ فِي قِلَّةِ عَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ، ح٦.

كما عاب العالم السفينة لتبقىٰ لأصحابها وكذلك نفسي وأنتم لنبقىٰ بينهم»[١].

وروي عن علي بن محمد بن بشير الهمداني، قال: خرجت أنا وسفيان ابن ليلىٰ حتىٰ قدمنا علىٰ الحسن المدينة، فدخلنا عليه، وعنده المسيب بن نجبة وعبد الله بن الوداك التميمي، وسراج بن مالك الخثعمي، فقلت: (السلام عليك يا مذل المؤمنين)، قال: «وعليك السلام، اجلس، لست مذل المؤمنين، ولكني معزهم، ما أردت بمصالحتي معاوية إلّا أن أدفع عنكم القتل عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال، ووالله لئن سرنا إليه بالجبال والشجر ما كان بد من إفضاء هذا الأمر إليه»[٢].

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «والله الذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس، والله لفيه نزلت هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾ إنما هي طاعة الإمام فطلبوا القتال ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتالُ﴾ مع الحسين ﴿وَقالُوا رَبَّنا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتالَ لَوْ لا أَخَّرْتَنا إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [الأنفال: ٧٧]، وقوله: ﴿رَبَّنا أَخِّرْنا إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أرادوا تأخير ذلك إلىٰ القائم عليه السلام»[٣].

ثالثاً: في زمن مولانا الإمام الحسين عليه السلام، لم يقف معه ضد الباطل سوىٰ نيّف وسبعون رجلاً، وأمّا باقي الناس فقد عبّر عنهم عليه السلام بقوله: «إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق علىٰ ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»[٤]، أو كما روي أنه لما صار الحسين عليه السلام في بعض الطريق

١. تحف العقول للحراني: ص٣٠٨.
٢. الأخبار الطوال لابن قتيبة الدينوري: ص٢٢٠-٢٢١.
٣. تفسير العياشي لمحمد بن مسعود العياشي: ج١، ص٢٥٨، ح١٩٦.
٤. تحف العقول للحراني: ص٢٤٥.

لقيه أعرابيان من بني أسد فسألهما عن الخبر فقالا له: يا بن رسول الله، إن قلوب الناس معك وسيوفهم عليك...[١].

وانتهت المعركة بما هو معلوم للجميع.

رابعاً: استمر مسلسل قلة الأنصار المخلصين في الأزمنة البعدية، وهو ما صرحت به العديد من النصوص، من قبيل ما روي عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، فَقُلْتُ لَه: والله مَا يَسَعُكَ القُعُودُ!

فَقَالَ عليه السلام: «ولِمَ يَا سَدِيرُ»؟

قُلْتُ: لِكَثْرَةِ مَوَالِيكَ وشِيعَتِكَ وأَنْصَارِكَ، والله لَوْ كَانَ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام مَا لَكَ مِنَ الشِّيعَةِ والأَنْصَارِ والمَوَالِي مَا طَمِعَ فِيه تَيْمٌ ولَا عَدِيٌّ.

فَقَالَ عليه السلام: «يَا سَدِيرُ، وكَمْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا»؟ قُلْتُ: مِائَةَ ألفٍ. قَالَ عليه السلام: «مِائَةَ ألفٍ»؟! قُلْتُ: نَعَمْ، ومِائَتَيْ ألفٍ. قَالَ عليه السلام: «مِائَتَيْ ألفٍ»؟! قُلْتُ: نَعَمْ، ونِصْفَ الدُّنْيَا!

قَالَ: فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «يَخِفُّ عَلَيْكَ أَنْ تَبْلُغَ مَعَنَا إِلَىٰ يَنْبُعَ»؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِحِمَارٍ وبَغْلٍ أَنْ يُسْرَجَا، فَبَادَرْتُ فَرَكِبْتُ الحِمَارَ، فَقَالَ عليه السلام: «يَا سَدِيرُ، أَتَرَىٰ أَنْ تُؤْثِرَنِي بِالحِمَارِ»؟! قُلْتُ: البَغْلُ أَزْيَنُ وأَنْبَلُ. قَالَ عليه السلام: «الحِمَارُ أَرْفَقُ بِي»، فَنَزَلْتُ فَرَكِبَ الحِمَارَ، ورَكِبْتُ البَغْلَ، فَمَضَيْنَا فَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَقَالَ عليه السلام: «يَا سَدِيرُ، انْزِلْ بِنَا نُصَلِّ». ثُمَّ قَالَ عليه السلام: «هَذِه أَرْضٌ سَبِخَةٌ، لَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيهَا»، فَسِرْنَا حَتَّىٰ صِرْنَا إِلَىٰ أَرْضٍ حَمْرَاءَ، ونَظَرَ إِلَىٰ غُلَامٍ يَرْعَىٰ جِدَاءً، فَقَالَ عليه السلام: «والله يَا سَدِيرُ، لَوْ كَانَ لِي شِيعَةٌ بِعَدَدِ هَذِه الجِدَاءِ مَا وَسِعَنِي القُعُودُ»، ونَزَلْنَا وصَلَّيْنَا فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الصَّلَاةِ عَطَفْتُ عَلَىٰ الجِدَاءِ فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ سَبْعَةَ عَشَرَ[٢].

---

١. مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ص٧٣.

٢. الكافي للكليني: ج٢، ص٢٤٢-٢٤٣، بَابٌ فِي قِلَّةِ عَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ، ح٤.

وعن مأمون الرقّي، قال: كنت عند سيّدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن حسن الخراساني، فسلَّم عليه، ثمّ جلس، فقال له: يا بن رسول الله، لكم الرأفة والرحمة، وأنتم أهل بيت الإمامة، ما الذي يمنعك أنْ يكون لك حقٌّ تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟ فقال له عليه السلام: «اجلس يا خراساني، رعىٰ الله حقَّك»، ثمّ قال: «يا حنيفة أسجري التنّور»، فسجرته حتَّىٰ صار كالجمرة وابيضَّ علوُّه، ثمّ قال: «يا خراساني، قم فاجلس في التنور»، فقال الخراساني: يا سيّدي يا بن رسول الله، لا تُعذِّبني بالنار، أقلني أقالك الله، قال: «قد أقلتك»، فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكّي ونعله في سبّابته، فقال: السلام عليك يا بن رسول الله، فقال له الصادق عليه السلام: «ألق النعل من يديك واجلس في التنّور»، فألقىٰ النعل من سبّابته، ثمّ جلس في التنّور، وأقبل الإمام يُحدِّث الخراساني حديث خراسان حتَّىٰ كأنَّه شاهد لها، ثمّ قال: «قم يا خراساني وانظر ما في التنّور»، قال: فقمت إليه، فرأيته متربِّعاً، فخرج إلينا وسلَّم علينا، فقال الإمام عليه السلام: «كم تجد في خراسان مثل هذا»؟ فقلت: والله ولا واحد، فقال عليه السلام: «لا والله ولا واحد، أمَا إنّا لا نخرج في زمان لا نجد خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت»[1].

وهكذا استمرت السلطات الظالمة بإبعاد المعصومين عليهم السلام عن الحكم، واستمر الناس بعدم تمكينهم للمعصومين منه، وعدم وقوفهم ضد الظالم بالمستوىٰ المطلوب، فيما استغل الحكام الظالمون تخاذل الناس ليقوموا بتشريدهم، وسجنهم، وقتلهم.

---

١. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ج ٣/ ص٣٦٢ و٣٦٣)؛ ومدينة المعاجز للسيِّد هاشم البحراني (ج ٦/ ص١١٤-١١٦/ ح١٨٩١/ ٣٢١).

والحاصل: أن الغيبة، وبالتالي عدم قيام الإمام المهدي عجل الله فرجه بحكم الدولة، لم تكن من الله تعالىٰ؛ لأنه خلاف اللطف الذي يفعله الله (جلَّ وعلا) لموافقته للحكمة، ولم تكن هي من الإمام المهدي عجل الله فرجه؛ لأنه خلاف ما أوكل إليه من مهام الإمامة.

وإنما هي من الناس بسبب عدم قيامهم بالواجب عليهم من إقامة الحجة واتّباعه، بل عملوا علىٰ ملاحقته عجل الله فرجه ولذلك ورد في الروايات أن من أسباب غيبته عجل الله فرجه هو الخوف علىٰ نفسه من القتل، فقد روي عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنَّ للغلام غيبة قبل أن يقوم، وهو المطلوب تراثه»، قلت: ولِمَ ذلك؟ قال: «يخاف - وأومأ بيده إلىٰ بطنه، يعني القتل -»[1].

وهو ما تشير إليه بعض الكلمات المروية عنه عجل الله فرجه، من قبيل ما جاء في مكاتبة الإمام المهدي عجل الله فرجه إلىٰ الشيخ المفيد: «ولو أنَّ أشياعنا وفَّقهم الله لطاعته علىٰ اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخَّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجَّلت لهم السعادة بمشاهدتنا علىٰ حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلَّا ما يتَّصل بنا ممَّا نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل...»[2].

فالسبب إذن يكمن في عدم قيام الناس بما عليهم من مهمة التمكين، وتقصيرهم في ذلك.

مع التنبيه علىٰ الآتي:

أولاً: أن هذا الكلام غير موجه لخصوص الشيعة، كما قد يتصور البعض، وكما قد يجلد بعض الشيعة ذاته بأنه هو السبب وراء تأخر ظهور الإمام

١. الغيبة للنعماني: ١٨٢ و١٨٣/ باب ١٠/ فصل ٤/ ح٢٠.

٢. الاحتجاج ٢: ٣٢٥.

المهدي عجل الله فرجه، كلا، وإنما هو يشمل جميع الناس، وأمّا الشيعة المؤمنون فهم بعيدون عن هذا الكلام.

ثانياً: ولا يعني هذا أن الظهور متوقف فقط على توفر العدد المناسب من الأنصار، ليُقال بأنه لا يُعقل عدم وجود عدد مناسب من الشيعة لنصرة الإمام المهدي عجل الله فرجه، إذ إن حديثنا في خصوص مفردة حكومة الأرض، وأمّا الظهور عموماً، فإنه متوقف على العديد من الأسباب الموضوعية، أحدها توفر الأنصار، وأهمها الإذن الإلهي، كما ورد هذا المعنى في التوقيع الشريف الأخير الذي صدر للسفير الرابع: «...فلا ظهور إلّا بعد إذن الله عز وجل...»[1].

خلاصة ونتائج:

تبين مما تقدم:

أولاً: أن إيماننا بحكمة الله تبارك وتعالى، وبعصمة الإمام المهدي عجل الله فرجه، كافٍ للاطمئنان بقيام الإمام المهدي عجل الله فرجه بما أنيط به من أدوار متعددة.

ثانياً: أن تعدد أدوار الإمام المهدي عجل الله فرجه يؤدي إلى اختلاف طريقة تعامله مع كل دور دور، فالدور المتوقف على وجوده الواقعي يختلف تعامله وقيامه به عن دوره المتوقف على ظهوره، وعن دوره الذي يُمكن أن يوكله إلى غيره وفق شروط معينة.

ثالثاً: من الخطأ بمكان أن يتم التعامل مع أدوار المعصوم على أنها حالة بسيطة، إمّا أن تكون، وإمّا أن لا تكون، وإنما هي مفاهيم مركبة ذات أجزاء متعددة، وكل جزء منها له شروطه الخاصة، والمنهجية العلمية تقتضي التفكيك بينها، ومعرفة المعنى الصحيح لقيامه بأدائه.

والحمد لله رب العالمين

---

١. كمال الدين: ٥١٦/ باب ٤٥/ ح٤٤.

المعود
ALMAUOOD

رواة مهدويُّون
الحلقة الثالثة

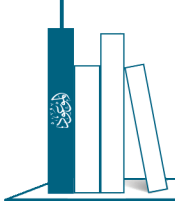

السيد أسعد القاضي

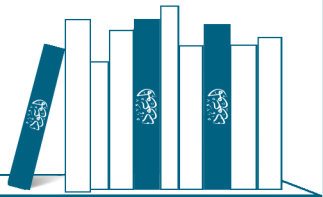

حرف الغين:

١٢٧ - غياث بن إبراهيم:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[١].

قال النجاشي: غياث بن إبراهيم التميمي الأسيدي[٢] بصري، سكن الكوفة، ثقة، روىٰ عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام[٣].

وقد تكلم الميرزا النوري حول وثاقته وكونه إمامياً وأطال[٤].

وقع في أسناد كثير من الروايات تبلغ مائة وواحداً وثمانين مورداً[٥]، وله روايتان مهدويتان، إليك مصدرهما:

كمال الدين وتمام النعمة: ص٤١٢، ب٣٩، ح٨ و١٢.

---

١. رجال الطوسي: ص٢٦٨

٢. في خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص٣٨٥، ورد هكذا: (الأسدي).

٣. رجال النجاشي: ص٣٠٥.

٤. انظر: خاتمة المستدرك: ج٥، ص٧٣ وما بعدها.

٥. معجم رجال الحديث: ج١٤، ص٢٤٧.

حرف الفاء:

١٢٨ - فرات بن أحنف:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، قائلاً: فرات بن الأحنف العبدي، يرمىٰ بالغلو والتفريط في القول[١].

له رايتان مهدويتان، إليك مصدرهما:

دلائل الإمامة: ص٥٣٤.

الغيبة للنعماني: ص١٤٣.

١٢٩ - الفضل بن أبي قرة:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٢].

قال النجاشي: الفضل بن أبي قرة التميمي السهندي بلد من آذربيجان. انتقل إلىٰ أرمينية، روىٰ عن أبي عبد الله عليه السلام، لم يكن بذاك[٣].

وهو من رجال تفسير القمي.

وقع في أسناد جملة من الروايات تبلغ واحداً وعشرين مورداً، وقد روىٰ في جميع ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام[٤]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢١٨.

---

١. رجال الطوسي: ص١١٩ و١٤٣ و٢٧٠.
٢. رجال الطوسي: ص٢٦٩.
٣. رجال النجاشي: ص٣٠٨.
٤. معجم رجال الحديث: ج١٤، ص٣٠١.

١٣٠ - فضيل بن محمد:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: الفضل، مولىٰ محمد بن راشد[١].

قال السيد الخوئي: الفضيل بن محمد بن راشد، مولىٰ، عده البرقي في أصحاب الصادق عليه السلام، لكن الموجود في رجال الشيخ وفي الروايات: الفضيل مولىٰ محمد بن راشد، ويأتي. ثم إن البرقي ذكر بعد هذا: الفضل البقباق أبو العباس، كوفي. وتوهم العلامة، (٢) من الباب (١) من حرف الفاء، من القسم الأول. وابن داود، (١١٨٣) من القسم الأول أنه من تتمة الكلام الأول، وأن الفضيل بن محمد مولىٰ الفضل البقباق[٢].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢٧٠.

١٣١ - فضيل بن يسار:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام[٣].

قال النجاشي: الفضيل بن يسار النهدي أبو القاسم عربي، بصري، صميم، ثقة، روىٰ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، ومات في أيامه وقال ابن نوح: يكنىٰ أبا مسور. أخبرنا علي بن بلال، عن محمد بن عمرو (عمر)، عن عبد العزيز بن محمد، عن عصمة بن عبيد الله السدوسي قال: حدثنا الحسن بن إسماعيل بن صبيح قال: حدثنا هارون بن عيسىٰ، عن أبي مسور الفضيل بن يسار قال: قال لي جعفر بن محمد عليه السلام: رضاع اليهودية والنصرانية خير من رضاع الناصبة[٤].

---

١. رجال الطوسي: ٢٦٨.

٢. معجم رجال الحديث: ج١٤، ص٣٥٥.

٣. رجال الطوسي: ص١٤٣ و٢٦٩.

٤. رجال النجاشي: ص٣٠٩.

وقال الكشي: أجمعت العصابة علىٰ تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي[١].

وروىٰ في فضله عدة روايات، منها: حدثني ربعي بن عبد الله، قال: حدثني غاسل الفضيل بن يسار، قال: إنّي لأغسل الفضيل بن يسار وأن يده لتسبقني إلىٰ عورته، فخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال لي: «رحم الله الفضيل بن يسار، وهو منا أهل البيت»[٢].

وهو من رجال كامل الزيارات وتفسير القمي.

وقع في أسناد كثير من الروايات تبلغ مائتين وأربعة وخمسين مورداً[٣]، وله أربع روايات مهدوية، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٦٥.

الغيبة للنعماني: ص٣٠٥؛ ص٣٠٧؛ ص٣١٣.

حرف الكاف:

١٣٢ - الكاهلي:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام[٤].

قال النجاشي: عبد الله بن يحيىٰ أبو محمد الكاهلي: عربي، أخو إسحاق، رويا عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، وكان عبد الله وجهاً عند أبي الحسن عليه السلام،

---

١. رجال الكشي: ج٢، ص٥٠٧.

٢. رجال الكشي: ج٢، ص٤٧٣.

٣. معجم رجال الحديث: ج١٤، ص٣٥٩.

٤. رجال الطوسي: ص٣٤١.

ووصىٰ به علي بن يقطين، فقال له: «أضمن لي الكاهلي وعياله أضمن لك الجنة»[١].

وروىٰ الكشي عن محمد بن عيسىٰ قال: زعم الكاهلي أن أبا الحسن عليه السلام قال لعلي بن يقطين: اضمن لي الكاهلي وعياله أضمن لك الجنة، فزعم ابن أخيه أن علياً رحمه الله لم يزل يجري عليهم الطعام والدراهم وجميع النفقات مستغنين حتىٰ مات الكاهلي، وأن نعمته كانت تعم عيال الكاهلي وقراباته[٢].

وهو من رجال كامل الزيارات وممن روىٰ عنه محمد بن ابي عمير والبزنطي وصفوان والحسن بن محبوب.

وقع في أسناد كثير من الروايات تبلغ ثلاثة وتسعين مورداً[٣]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص١٥٢.

حرف الميم:

١٣٣ - مالك بن ضمرة:

كان من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وممن استبطن من جهته علماً كثيراً. وكان قد صحب أباذر وأخذ من علمه[٤].

وهو من رجال كامل الزيارات وتفسير القمي.

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢١٤.

---

١. رجال النجاشي: ص٢٢١ - ٢٢٢.

٢. رجال الكشي: ج٢، ص٧٤٥.

٣. معجم رجال الحديث: ج١١، ص٤٠٠، وج٢٤، ص١٥٥.

٤. مستدركات علم رجال الحديث: ج٦، ص٣٣٤.

١٣٤ - محمد بن جعفر بن محمد:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الهاشمي المدني، ولده عليه السلام، أسند عنه، يلقب بديباجة[١]. وكان يلقب بالديباج لحسنه وجماله.

روىٰ الشيخ الصدوق عن علي بن جعفر قال: جاءني محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد وذكر لي أن محمد بن جعفر دخل علىٰ هارون الرشيد فسلم عليه بالخلافة ثم قال له: ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتىٰ رأيت أخي موسىٰ بن جعفر يسلم عليه بالخلافة[٢].

كما روىٰ عن عمير بن بريد قال: كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فذكر محمد بن جعفر بن محمد فقال: إني جعلت علىٰ نفسي أن لا يظلني وإياه سقف بيت، فقلت في نفسي: هذا يأمرنا بالبر والصلة، ويقول هذا لعمه!؟ فنظر إليَّ فقال: هذا من البر والصلة، إنه متىٰ يأتيني ويدخل علي فيقول في فيصدقه الناس، وإذا لم يدخل علي ولم أدخل عليه لم يقبل قوله إذا قال[٣].

خرج علىٰ المأمون وتوجه إلىٰ مكة ومعه عدد من الطالبيين، فقاتله هارون بن المسيب حتىٰ أكثر القتل فيهم، فتوقفوا عن القتال، وطلب هارون من الإمام الرضا عليه السلام أن يكتب إلىٰ محمد بن جعفر يدعوه إلىٰ الصلح، ففعل[٤].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٣٣٤.

---

١. رجال الطوسي: ص٢٧٥.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٧٢.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٢٢٠.

٤. انظر: تتمة المنتهىٰ في تاريخ الخلفاء: ص٢٧٤.

١٣٥ - محمد بن الحنفية:

أبوه أمير المؤمنين عليه السلام، والحنفية لقب أمه، وهي خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة من سبي اليمامة، الذين تمّ بيعهم لأنهم على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي سيولد لك ولد قد نحلته اسمي وكنيتي[١].

وروى الكشي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إن المحامدة تأبى أن يعصى الله عزّ وجلّ». قلت: ومن المحامدة؟ قال: «محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أمير المؤمنين عليه السلام، أمّا محمد بن أبي حذيفة هو ابن عتبة بن ربيعة، وهو ابن خال معاوية»[٢].

وقد أوصاه أمير المؤمنين عليه السلام بوصيته المشهورة لما أعطاه الراية: «تزول الجبال ولا تزل. عض على ناجذك. أعر الله جمجمتك. تد في الأرض قدمك. ارم ببصرك أقصى القوم. وغض بصرك واعلم أن النصر من عند الله سبحانه»[٣].

وعن ابن عباس، قال: لما كنا في حرب صفين دعا علي عليه السلام ابنه محمد بن الحنفية وقال له: «يا بني شد على عسكر معاوية»، فحمل على الميمنة حتى كشفهم، ثم رجع إلى أبيه مجروحاً فقال: يا أبتاه العطش العطش، فسقاه جرعة من الماء ثم صب الباقي بين درعه وجلده، فوالله لقد رأيت علق الدم يخرج من حلق درعه، فأمهله ساعة ثم قال له: «يا بني شد على الميسرة»، فحمل على ميسرة عسكر معاوية فكشفهم، ثم رجع وبه جراحات

---

١. بحار الأنوار: ج١٨، ص١١٢.
٢. رجال الكشي: ج١، ص٢٨٦.
٣. نهج البلاغة: ج١، ص٤٤.

وهو يقول: الماء الماء يا أباه، فسقاه جرعة من الماء وصب باقيه بين درعه وجلده، ثم قال: «يا بني شد علىٰ القلب»، فحمل عليهم وقتل منهم فرساناً، ثم رجع إلىٰ أبيه وهو يبكي، وقد أثقلته الجراح، فقام إليه أبوه وقبَّل ما بين عينيه، وقال له: «فداك أبوك فقد سررتني والله يا بني بجهادك هذا بين يدي، فما يبكيك، أفرحاً أم جزعاً»؟ فقال: يا أبت كيف لا أبكي وقد عرضتني للموت ثلاث مرات فسلمني الله، وها أنا مجروح كما ترىٰ، وكلما رجعت إليك لتمهلني عن الحرب ساعة ما أمهلتني، وهذان أخواي الحسن والحسين ما تأمرهما بشيء من الحرب، فقام إليه أمير المؤمنين وقبَّل وجهه وقال له: «يا بني أنت ابني وهذان ابنا رسول الله ﷺ، أفلا أصونهما عن القتل»؟ فقال: بلىٰ يا أبتاه جعلني الله فداك وفداهما من كل سوء[١].

وروىٰ الشيخ المفيد وصية أمير المؤمنين عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام، وفيها: «وأوصيك بأخيك محمد خيراً، فإنه شقيقك وابن أبيك، وقد تعلم حبي له»[٢].

قال ابن كثير في حوادث سنة إحدىٰ وثمانين: توفي ابن الحنفية في المحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة[٣].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

كمال الدين وتمام النعمة: ص١٥٢.

١٣٦ - محمد بن زياد الأزدي:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام[٤].

قال النجاشي: محمد بن أبي عمير زياد بن عيسىٰ أبو أحمد الأزدي من

١. بحار الأنوار: ج٤٢، ص١٠٦.
٢. الأمالي للمفيد: ص٢٢٢.
٣. البداية والنهاية: ج٩، ص٤٨.
٤. رجال الطوسي: ص٣٤٩.

موالي المهلب بن أبي صفرة وقيل مولىٰ بني أمية. والأول أصح. بغدادي الأصل والمقام، لقىٰ أبا الحسن موسىٰ عليه السلام وسمع منه أحاديث كنّاه في بعضها فقال: يا أبا أحمد، وروىٰ عن الرضا عليه السلام، جليل القدر عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين... وكان حبس في أيام الرشيد فقيل: ليلي القضاء وقيل: إنه ولي بعد ذلك، وقيل: بل ليدل علىٰ مواضع الشيعة وأصحاب موسىٰ بن جعفر عليه السلام، وروي أنه ضرب أسواطاً بلغت منه، فكاد أن يقر لعِظَم الألم، فسمع محمد بن يونس بن عبد الرحمن وهو يقول: اتق الله يا محمد بن أبي عمير، فصبر ففرّج الله، وروي أنه حبسه المأمون حتىٰ ولّاه قضاء بعض البلاد، وقيل: إن أخته دفنت كتبه في حال استتارها وكونه في الحبس أربع سنين فهلكت الكتب، وقيل: بل تركتها في غرفة فسال عليها المطر فهلكت، فحدّث من حفظه، ومما كان سلف له في أيدي الناس، فلهذا أصحابنا يسكنون إلىٰ مراسيله، وقد صنف كتبا كثيرة[1].

روىٰ الكشي عن الفضل بن شاذان أنه قال: دخلت العراق فرأيت واحداً يعاتب صاحبه، ويقول له: أنت رجل عليك عيال وتحتاج أن تكتسب عليهم، وما آمن أن تذهب عيناك لطول سجودك، فلما أكثر عليه، قال: أكثرت علي ويحك، لو ذهبت عين أحد من السجود لذهبت عين ابن أبي عمير، ما ظنّك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما رفع رأسه إلّا عند زوال الشمس.

وقال: أخذ يوما شيخي بيدي وذهب بي إلىٰ ابن أبي عمير، فصعدنا إليه في غرفة وحوله مشايخ له يعظمونه ويبجلونه، فقلت لأبي: من هذا؟ قال: هذا ابن أبي عمير، قلت: الرجل الصالح العابد؟ قال: نعم.

وقال: ضرب ابن أبي عمير مائة خشبة وعشرين خشبة أيام هارون لعنه

١. رجال النجاشي: ص٣٢٦.

الله، تولىٰ ضربه السندي بن شاهك علىٰ التشيع وحبس، فأدىٰ مائة وأحداً وعشرين ألفاً حتىٰ خلي عنه، فقلت: وكان متمولاً؟ قال: نعم كان ربّ خمسمائة ألف درهم[١].

مات محمد بن أبي عمير سنة سبع عشرة ومائتين[٢].

وقع بعنوان محمد بن أبي عمير في أسناد كثير من الروايات تبلغ ستمائة وخمسة وأربعين مورداً[٣]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٦٨.

١٣٧ - محمد بن سنان الزاهري:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام[٤].

قال النجاشي: محمد بن سنان أبو جعفر الزاهري من ولد زاهر مولىٰ عمرو بن الحمق الخزاعي، كان أبو عبد الله بن عياش يقول: حدثنا أبو عيسىٰ محمد بن أحمد بن محمد بن سنان قال: هو محمد بن الحسن بن سنان مولىٰ زاهر توفىٰ أبوه الحسن وهو طفل وكفله جده سنان فنسب إليه، وقال أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد أنه روىٰ عن الرضا عليه السلام قال: وله مسائل عنه معروفة، وهو رجل ضعيف جداً لا يعول عليه ولا يلتفت إلىٰ ما تفرد به.

وقد ذكر أبو عمرو في رجاله: أبو الحسن علي بن محمد بن قتيبة النيشابوري، قال: قال أبو محمد الفضل بن شاذان: لا أحل لكم أن تروووا أحاديث محمد بن سنان، وذكر أيضاً أنه وجد بخط أبي عبد الله الشاذاني: إني

١. رجال الكشي: ج٢، ص٨٥٦.
٢. رجال النجاشي: ص٣٢٧.
٣. معجم رجال الحديث: ج١٥، ص٢٩٨.
٤. رجال الطوسي: ص٣٤٤ و٣٦٤ و٣٧٧.

سمعت القاضي (العاصمي) يقول: إن عبد الله بن محمد بن عيسىٰ الملقب ببنان، قال: كنت مع صفوان بن يحيىٰ بالكوفة في منزل إذ دخل علينا محمد بن سنان، فقال صفوان: إن هذا ابن سنان، لقد هم أن يطير غير مرة، فقصصناه حتىٰ ثبت معنا. وهذا يدل علىٰ اضطراب كان وزال[١].

وقال الشيخ الطوسي: محمد بن سنان: له كتاب، وقد طعن عليه وضعف، وكتبه مثل كتب الحسين بن سعيد علىٰ عددها، وله كتاب النوادر وجميع ما رواه إلّا ما كان فيها من تخليط أو غلو[٢].

ورد في شأنه عدة روايات مادحة وأخرىٰ ذامّة، فيها المعتبر وغيره.

قال السيد الخوئي: المتحصل من الروايات أن محمد بن سنان كان من الموالين وممن يدين الله بموالاة أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله، فهو ممدوح، فإن ثبت فيه شيء من المخالفة فقد زال ذلك وقد رضي عنه المعصوم (سلام الله عليه)، ولأجل ذلك عدّه الشيخ ممن كان ممدوحاً حسن الطريقة، ولولا أن ابن عقدة، والنجاشي، والشيخ، والشيخ المفيد، وابن الغضائري ضعَّفوه، وأن الفضل بن شاذان عده من الكذابين، لتعين العمل برواياته، ولكن تضعيف هؤلاء الأعلام يسدنا عن الاعتماد عليه، والعمل برواياته[٣].

وقال الشيخ علي النمازي: (ثقة جليل صاحب الأسرار والمعضلات والغرائب المعظمات، وفاقاً لعدة كثيرة، منهم الشيخ المفيد في الإرشاد حيث عده من خاصة الكاظم عليه السلام وثقاته وأهل الورع والعلم والفقه من شيعته الذين رووا النص علىٰ الرضا (صلوات الله عليه)، ثم ذكر بعض الأحاديث التي يرويها محمد سنان وبعض أقوال العلماء فيه، ثم قال: (ومما ذكرنا ظهر

١. رجال النجاشي: ص٣٢٨.
٢. الفهرست: ص٢١٩.
٣. معجم رجال الحديث: ج١٧، ص١٦٩.

منشأ رميه بالغلو واتهامه بالعلو، وظهر وجه قوله: من كان يريد المعضلات فإلي، ومن أراد الحلال والحرام فعليه بالشيخ. يعنىٰ صفوان بن يحيىٰ. وظهر وجه قول صفوان: هذا ابن سنان لقد همّ أن يطير غير مرة فقصصناه حتىٰ ثبت معنا. وظهر وجه رمي الفضل بن شاذان إياه إلىٰ الكذب وقوله هو وأيوب بن نوح: لا أستحل أني أروي أحاديث محمد بن سنان. وتبعهما الكشي فجعله من الغلاة وكذا من تأخر فضعّفه، وليت شعري كيف رويا عنه مع عدم استحلالهما؟! وكيف يقول الفضل: اروا أحاديث محمد بن سنان عني، ويقول في موضع آخر: لا أحب لكم أن تروا أحاديثه ما دمت حياً، ويأذن في الرواية عنه بعد موته؟!... وكيف ويروي عنه جماعة من العدول والثقات من أهل العلم؟! كما ذكرهم الكشي، بل أوصلهم العلامة المامقاني إلىٰ أزيد من سبعين رجلاً[١].

وقع في أسناد كثير من الروايات، تبلغ سبعمائة وسبعة وتسعين مورداً[٢]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٤٦/ ص٤٤٧.

١٣٨ - محمد بن الصامت:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٣].

وقد ذكره النجاشي وأهمل ترجمته[٤].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢٦٩.

---

١. مستدركات علم رجال الحديث: ج٧، ص١٢١ بتصرف.

٢. معجم رجال الحديث: ج١٧، ص١٤٨.

٣. رجال الطوسي: ص٢٨٦.

٤. رجال النجاشي: ص٣٦٤.

١٣٩ - محمد بن علي بن بلال:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام واصفاً إياه بأنه ثقة[١]، بل روىٰ عن أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه قال: اختلف أصحابنا في التفويض وغيره، فمضيت إلىٰ أبي طاهر بن بلال في أيام استقامته فعرفته الخلاف، فقال: أخرني فأخرته أياماً فعدت إليه فأخرج إليَّ حديثاً بإسناده إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام... إلىٰ آخره[٢].

وفيه دلالة علىٰ جلالة الرجل بحيث يراجعه الحسين بن روح ويسأله، لكنه بعد ذلك انحرف وادَّعىٰ البابية، حتىٰ عدَّه الشيخ الطوسي من جملة السفراء المذمومين، قال: ومنهم: أبو طاهر محمد بن علي بن بلال، وقصته معروفة في ما جرىٰ بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري نضر الله وجهه، وتمسكه بالأموال التي كانت عنده للإمام، وامتناعه من تسليمها، وادِّعائه أنه الوكيل حتىٰ تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان عليه السلام ما هو معروف[٣].

قال السيد الحوئي: والمتلخص من جميع ما ذكرنا، أن الرجل كان ثقة مستقيماً، وقد ثبت انحرافه وادِّعاؤه البابية، ولم يثبت عدم وثاقته، فهو ثقة فاسد العقيدة، فلا مانع من العمل برواياته، بناء علىٰ كفاية الوثاقة في حجية الرواية، كما هو الصحيح[٤].

وهو من رجال كامل الزيارات وتفسير القمي.

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الكافي: ج١، ص٣٢٨.

---

١. رجال الطوسي: ص٤٠١.

٢. الغيبة للطوسي: ص٣٨٧.

٣. الغيبة للطوسي: ص٤٠٠.

٤. معجم رجال الحديث: ج١٧، ص٣٣٥.

١٤٠ - محمد بن علي السلمي:

ليس له ذكر في كتب التراجم والرجال، روىٰ الطبري الشيعي عنه عن الإمام الباقر عليه السلام، وهي روايته المهدوية الوحيدة، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٦٦.

١٤١ - محمد بن علي الهمذاني:

ليس له ذكر في كتب التراجم والرجال، روىٰ الطبري الشيعي عنه عن الإمام الصادق عليه السلام، وهي روايته المهدوية الوحيدة، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٧٨.

١٤٢ - محمد بن فضيل:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام، قائلاً: محمد بن الفضيل، أزدي، صيرفي، يرمي بالغلو، له كتاب[١].

قال النجاشي: محمد بن فضيل بن كثير الصيرفي الأزدي أبو جعفر الأزرق، روىٰ عن أبي الحسن موسىٰ والرضا عليهما السلام له كتاب ومسائل[٢].

وهو من رجال كامل الزيارات وتفسير القمي.

وقع في أسناد كثير من الروايات، تبلغ ثلاثمائة وتسعين مورداً[٣]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٥٤.

---

١. رجال الطوسي: ص٢٩٢ و٣٤٢ و٣٦٥.

٢. رجال النجاشي: ص٣٦٧.

٣. معجم رجال الحديث: ج١٨، ص١٤٦.

١٤٣ - محمد بن مسلم الثقفي:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام[١].

قال النجاشي: محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر الأوقص الطحان مولىٰ ثقيف الأعور، وجه أصحابنا بالكوفة، فقيه ورع صحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام، وروىٰ عنهما وكان من أوثق الناس... ومات محمد بن مسلم سنة خمسين ومائة[٢].

وقال الكشي: أجمعت العصابة علىٰ تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي[٣].

وروىٰ عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم، ويجيء الرجال من أصحابنا فيسألني وليس عندي كلما يسألني عنه، قال: «فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي، فإنه قد سمع من أبي وكان عنده وجيهاً».

وروىٰ عن محمد بن مسلم، قال: ما شجر في رأيي شيء قط إلّا سألت عنه أبا جعفر عليه السلام حتىٰ سألته عن ثلاثين ألف حديث وسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ستة عشر ألف حديث[٤].

وهو من رجال كامل الزيارات وتفسير القمي.

---

١. رجال الطوسي: ص١٤٤ و٢٩٤ و٣٤٢.
٢. رجال النجاشي: ص٣٢٤.
٣. رجال الكشي: ج٢، ص٥٠٧.
٤. رجال الكشي: ج١، ص٣٨٦.

وقع في أسناد كثير من الروايات تبلغ ألفين ومئتين وستة وسبعين مورداً[١]، وله سبعة عشر رواية مهدوية، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٨٣.

الغيبة للنعماني: ص١٦٠/ ص٢٣٨/ ص٢٥٨/ ص٢٧٥/ ص٢٨٨/ ص٣٠٠/ ص٣١١/ ص٣١٨/ ص٣٢٨.

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٢٧/ ص٣٣٠

تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٥٤.

الغيبة للطوسي: ص٣٣٩/ ص٤٤٧/ ص٤٤٩/ ص٤٥٤.

١٤٤ - محمد بن النعمان:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام[٢]. وقال: محمد بن النعمان الأحول، يلقب عندنا مؤمن الطاق، ويلقبه المخالفون بشيطان الطاق، وهو من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وكان ثقة متكلماً حاذقاً حاضر الجواب[٣].

قال النجاشي: محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريقة البجلي مولىٰ، الأحول أبو جعفر، كوفي، صيرفي، يلقب مؤمن الطاق وصاحب الطاق، ويلقبه المخالفون شيطان الطاق... وكان دكانه في طاق المحامل بالكوفة فيرجع إليه في النقد فيرد رداً يخرج كما يقول فيقال شيطان الطاق. فأمّا (وأمّا) منزلته في العلم وحسن الخاطر فأشهر[٤].

روىٰ الكشي في فضله عدة روايات:

---

١. معجم رجال الحديث: ج١٨، ص٢٤٦.

٢. رجال الطوسي: ص٢٩٦ و٣٤٣.

٣. الفهرست: ص٢٠٧.

٤. رجال النجاشي: ص٣٢٥.

منهـا: عـن أبي خالـد الكابـلي، قـال رأيـت أبـا جعفـر صاحـب الطـاق وهـو قاعـد في الروضـة قـد قطـع أهـل المدينـة أزراره وهـو دائـب يجيبهـم ويسـألونه، فدنـوت منـه فقلـت: إن أبـا عبـد الله نهانـا عـن الـكلام، فقـال: أَمَـرَكَ أن تقـول لي؟ فقلـت: لا، ولكنـه أمـرني أن لا أكلـم أحـداً. قـال: فاذهـب فأطعـه فيـما أَمَـرَك، فدخلـت عـلىٰ أبي عبـد الله عليه السلام فأخبرتـه بقصـة صاحـب الطـاق ومـا قلـت لـه وقولـه لي: اذهـب وأطعـه فيـما أمـرك، فتبسـم أبـو عبـد الله عليه السلام وقـال: «يـا أبـا خالـد، إن صاحـب الطـاق يكلـم النـاس فيطـير وينقـض، وأنـت إن قصـوك لـن تطـير».

ومنهـا لمـا تـوفي جعفـر بـن محمـد عليه السلام قـال لـه أبـو حنيفـة: يـا أبـا جعفـر، إن إمامـك قـد مـات، فقـال أبـو جعفـر: لكـن إمامـك مـن المنظريـن إلىٰ يـوم الوقـت المعلـوم».

ومنهـا: أنـه قـال لـه يومـاً: يـا أبـا جعفـر تقـول بالرجعـة؟ فقـال لـه: نعـم، فقـال لـه: أقرضنـي مـن كيسـك هـذا خمـس مائـة دينـار، فـإذا عـدت أنـا وأنـت رددتهـا إليـك، فقـال لـه في الحـال: أريـد ضمينـاً يضمـن لي أنـك تعـود إنسـاناً، فـإني أخـاف أن تعـود قـرداً، فـلا أتمكـن مـن اسـترجاع مـا أخـذت منـي.

وغيرها كثير[1].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٣٩.

١٤٥ - مسعدة بن صدقة:

عـدَّه الشـيخ الطـوسي مـن أصحـاب الإمامـين الباقـر والصـادق عليهما السلام وعـبَّر عنـه بأنـه عامـي[2].

١. رجال الكشي: ج٢، ص٤٢٦.

٢. رجال الطوسي: ص١٤٦ و ٣٠٦.

قال النجاشي: مسعدة بن صدقة العبدي يكنىٰ أبا محمد. قاله ابن فضال، وقيل يكنىٰ أبا بشر. روىٰ عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام[١].

وهو من رجال تفسير القمي وكامل الزيارات.

وقع بهذا العنوان في إسناد كثير من الروايات تبلغ مائة وتسعة وثلاثين مورداً[٢]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

كفاية الأثر: ص٢٦٤.

١٤٦ - معاذ بن كثير:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٣].

وعدَّه الشيخ المفيد من شيوخ أصحاب أبي عبد الله وخاصته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين[٤].

روىٰ الكليني عن معاذ بن كثير قال: نظرت إلىٰ الموقف والناس فيه كثير فدنوت إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام، فقلت له: إن أهل الموقف لكثير، قال: فصرف ببصره فأداره فيهم ثم قال: «ادن مني يا أبا عبد الله، غثاء يأتي به الموج من كل مكان، لا والله ما الحج إلّا لكم، لا والله ما يتقبل الله إلّا منكم»[٥].

وقع في أسناد جملة من الروايات تبلغ ثمانية عشر مورداً[٦]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

تفسير العياشي: ج٢، ص٨٧.

---

١. رجال النجاشي: ص٤١٥.
٢. معجم رجال الحديث: ج١٩، ص١٤٨.
٣. رجال الطوسي: ص٢٠٦.
٤. الإرشاد: ج٢، ص٢١٦.
٥. الكافي: ج٨، ص٢٣٧.
٦. معجم رجال الحديث: ج١٩، ص٢٠٤.

١٤٧ - معتب:

عـدَّه الشـيخ الطـوسي مـن أصحـاب الإمامـين الصـادق والكاظـم عليهما السلام واصفـاً إيـاه بأنـه ثقـة[١].

روىٰ الكـشي عـن عبـد العزيـز بـن نافـع، أنـه سـمع أبـا عبـد الله عليه السلام يقـول: «هـم عـشرة يعنـي مواليـه، فخيرهـم وأفضلهـم معتـب»[٢].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٥٠.

١٤٨ - معروف بن خربوذ:

عـدَّه الشـيخ الطـوسي مـن أصحـاب الأئمـة السـجاد والباقـر والصـادق عليهم السلام[٣].

قـال الكـشي: أجمعـت العصابـة علىٰ تصديـق هـؤلاء الأولـين مـن أصحـاب أبي جعفـر وأبي عبـد الله عليهما السلام وانقـادوا لهـم بالفقـه، فقالـوا: أفقـه الأولـين سـتة: زرارة، ومعـروف بـن خربـوذ، وبريـد، وأبـو بصـير الأسـدي، والفضيـل بـن يسـار، ومحمـد بـن مسـلم الطائفـي[٤].

وروىٰ في شـأنه عـدَّة روايـات، منهـا: عـن الفضـل بـن شـاذان، قـال: دخلت علىٰ محمـد بـن أبي عمـير، وهـو سـاجد فأطـال السـجود، فلـما رفـع رأسـه وذكـر لـه طـول سـجوده، قـال: كيـف ولـو رأيـت جميـل بـن دراج؟ ثـم حدثـه أنـه دخـل علىٰ جميـل بـن دراج فوجـده سـاجداً فأطـال السـجود جـداً فلـما رفـع رأسـه: قـال

---

١. رجال الطوسي: ص٣١٢ و٣٤٢.
٢. رجال الكشي: ج٢، ص٥١٩.
٣. رجال الطوسي: ص١٢٠ و١٤٥ و٣١١.
٤. رجال الكشي: ج٢، ص٥٠٧.

محمد بن أبي عمير أطلت السجود، فقال: لو رأيت معروف بن خربوذ[١].

وهو من رجال تفسير القمي.

وقع في أسناد جملة من الروايات، تبلغ أحد عشر مورداً[٢]، وله ثلاث روايات مهدوية، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٥٣٣.

الغيبة للنعماني: ص٢٨٢.

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٢٩.

١٤٩ - معلىٰ بن خنيس:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٣]، وقال عند ذكر الوكلاء المحمودين: ومنهم المعلىٰ بن خنيس، وكان من قوام أبي عبد الله عليه السلام، وإنما قتله داود بن علي بسببه، وكان محموداً عنده، ومضىٰ علىٰ منهاجه، وأمره مشهور[٤].

وقال النجاشي: معلىٰ بن خنيس أبو عبد الله مولىٰ الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ومن قبله كان مولىٰ بني أسد، كوفي، بزاز، ضعيف جداً، لا يعول عليه[٥].

روىٰ الكشي في شأنه عدة روايات مادحة وذامّة:

منها: عن حفص الأبيض التمار، قال دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام أيام طلب المعلىٰ بن خنيس رحمه الله، فقال لي: «يا حفص، إني أمرت المعلىٰ فخالفني فابتلي بالحديد. إني نظرت إليه يوماً وهو كئيب حزين، فقلت: يا معلىٰ كأنك

١. رجال الكشي: ج٢، ص٤٧١.
٢. معجم رجال الحديث: ج١٩، ص٢٥٢.
٣. رجال الطوسي: ص٣٠٤.
٤. الغيبة: ص٣٤٧.
٥. رجال النجاشي: ص٤١٧.

ذكرت أهلك وعيالك، قال: أجل، قلت: ادن مني، فدنىٰ مني، فمسحت وجهه، فقلت أين تراك؟ فقال: أراني في أهل بيتي وهو ذا زوجتي وهذا ولدي، فتركته حتىٰ تملأ منهم واستترت منهم حتىٰ نال ما ينال الرجل من أهله. ثم قلت: ادن مني، فدنىٰ مني، فمسحت وجه، فقلت أين تراك؟ فقال: أراني معك في المدينة، قال: قلت: يا معلىٰ إن لنا حديثاً من حفظه علينا حفظ الله عليه دينه ودنياه. يا معلىٰ لا تكونوا أُسراء في أيدي الناس بحديثنا إن شاءوا منّوا عليكم وإن شاءوا قتلوكم، يا معلىٰ أنه من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نوراً بين عينيه وزوده القوة في الناس ومن أذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتىٰ يعضه السلاح أو يموت بخبل، يا معلىٰ أنت مقتول فاستعد».

منها: عن إسماعيل بن جابر، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام مجاوراً بمكة، فقال لي: «يا إسماعيل، اخرج حتىٰ تأتي مرا وعسفان، فتسأل: هل حدث بالمدينة حدث»، قال: فخرجت حتىٰ أتيت مرا فلم ألق أحداً، ثم مضيت حتىٰ أتيت عسفان فلم يلقني أحد، فارتحلت من عسفان، فلما خرجت منها لقيني عير تحمل زيتاً من عسفان، فقلت لهم: هل حدث بالمدينة حدث؟ قالوا: لا، إلّا قتل هذا العراقي الذي يقال له المعلىٰ بن خنيس. قال: فانصرفت إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام، فلما رآني قال لي: «يا إسماعيل قتل المعلىٰ ابن خنيس»؟ فقلت: نعم، قال: «أما والله لقد دخل الجنة»[٦].

ونعم ما قال العلامة المامقاني: إن الذم ليس إلّا من جهة تقصيره في التقية ودعاء حبه وإخلاصه إلىٰ إذاعة سرهم ببيان معجزاتهم المنافية للتقية. وترجمه عليه السلام يكشف عن أن ذلك التقصير وإن لك يكن مرضياً له، لكن لم يكن موجباً لعدم رضاه عنه ومخرجاً له من أهلية الجنة، بل الظاهر أن ذلك

٦. رجال الكشي: ج٢، ص٦٧٦.

منه كان عن شفقة وتأسف لترتب القتل عليه وهو كفارة ذنبه. انتهىٰ[١].

وهو من رجال كامل الزيارات وتفسير القمي.

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٣١٠.

١٥٠ - معمر بن خلاد:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام[٢].

قال النجاشي: معمر بن خلاد بن أبي خلاد أبو خلاد بغدادي، ثقة، روىٰ عن الرضا عليه السلام، له كتاب الزهد[٣].

وهو من رجال كامل الزيارات.

وقع في أسناد كثير من الروايات، تبلغ خمسة وستين مورداً[٤]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢٩٥.

١٥١ - المغيرة بن سعيد:

روىٰ الكشي في ذمه عدة روايات:

منها: عن أبي يحيىٰ الواسطي، قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «كان المغيرة بن سعيد يكذب علىٰ أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد».

ومنها: عن يونس بن عبد الرحمن، أن بعض أصحابنا سأله وأنا حاضر، فقال له: يا أبا محمد، ما أشدك في الحديث، وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا، فما الذي يحملك علىٰ رد الأحاديث؟ فقال: حدثني هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن والسنة، أو

١. مستدركات علم رجال الحديث للنمازي الشاهرودي: ج٧، ص٤٦٠.
٢. رجال الطوسي: ص٣٦٦.
٣. رجال النجاشي: ص٤٢١.
٤. معجم رجال الحديث: ج١٩، ص٢٨٥.

تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد (لعنه الله) دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالىٰ وسنة نبينا صلى الله عليه وآله فإنا إذا حدَّثنا، قلنا: قال الله عزّ وجلّ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله». قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متوافرين، فسمعت منهم وأخذت كتبهم، فعرضتها من بعد علىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام[١].

عن هشام بن الحكم، أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب علىٰ أبي، ويأخذ كتب أصحابه وكان أصحابه المسترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلىٰ المغيرة، فكان يدس فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلىٰ أبي ثم يدفعها إلىٰ أصحابه ويأمرهم أن يبثوها في الشيعة، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك ما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم[٢].

وروىٰ الشيخ الطوسي عن أبي هلال، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، أينقض الرعاف والقيء ونتف الإبط، الوضوء؟ فقال: «وما تصنع بهذا؟ فهذا قول المغيرة بن سعيد، لعن الله المغيرة»[٣].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني ص٣١٧ ب١٨ ح١٦.

١٥٢ - المفضل بن عمر:

قال النجاشي: مفضل بن عمر أبو عبد الله وقيل أبو محمد، الجعفي، كوفي، فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يعبأ به. وقيل إنه كان خطابياً.

١. رجال الكشي: ج٢، ص٤٩٠.

٢. رجال الكشي: ج٢، ص٤٩١.

٣. تهذيب الأحكام: ج١، ص٣٤٩.

وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها[١].

وعدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام[٢]، وعده في غيبته من قوام الأئمة عليهم السلام من المحمودين الذين مضوا على منهاجهم[٣]، كما عدَّه الشيخ المفيد من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصته بطانته وثقاته الفقهاء الصالحين[٤].

رويت في حقه روايات عديدة، مادحة تدل على حسنه وأخرى ذامّة:

فقد روى الكليني عن أبي حنيفة سائق الحاج، قال: مر بنا المفضل، وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم، فدفعها إلينا من عنده، حتى إذا استوثق كل واحد منا صاحبه، قال: أما إنها ليست من مالي، ولكن أبو عبد الله عليه السلام أمرني، إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديها من ماله، فهذا من مال أبي عبد الله عليه السلام[٥].

وروى عن يونس بن يعقوب، قال: أمرني أبو عبد الله عليه السلام أن آتي المفضل وأعزيه بإسماعيل، وقال: اقرأ المفضل السلام، وقل له: إنا قد أصبنا بإسماعيل فصبرنا، فأصبر كما صبرنا، إنا أردنا أمراً، وأراد الله عزوجل أمراً، فسلمنا لأمر الله عزوجل[٦].

وروى الكشي عن حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول

---

١. رجال النجاشي: ص٤١٦.
٢. رجال الطوسي: ص٣٠٧ و٣٤٣.
٣. الغيبة: ص٣٤٦.
٤. الإرشاد: ج٢، ص٢١٦.
٥. الكافي: ج٢، ص٢٠٩.
٦. الكافي: ج٢، ص٩٢.

للمفضل بن عمر الجعفي: «يا كافر، يا مشرك، ما لك ولا بني»، يعني إسماعيل بن جعفر وكان منقطعاً إليه، يقول فيه مع الخطابية ثم رجع بعده[١].

قال السيد الخوئي - بعد أن استعرض الروايات الذامة والمادحة -: وأمّا ما تقدم من الروايات الواردة في ذمه فلا يعتد بما هو ضعيف السند منها، نعم إن ثلاث روايات منها تامة السند، إلّا أنه لابد من ردّ علمها إلىٰ أهلها، فإنها لا تقاوِم ما متقدم من الروايات الكثيرة المتظافرة التي لا يبعد دعوىٰ العلم بصدورها من المعصومين إجمالاً، علىٰ أن فيها ما هو الصحيح سنداً، فلابد من حملها علىٰ ما حملنا عليه ما ورد من الروايات في ذم زرارة، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية وأضرابهم.

ويؤكد ذلك أن الاختلاف إنما هو في الروايات التي رويت عن الصادق عليه السلام، وأمّا روىٰ عن الكاظم والرضا عليهما السلام فكلها مادحة علىٰ ما تقدم، وهذا يكشف عن أن القدح الصادر عن الصادق عليه السلام إنما كان لعلة. ويكفي في جلالة المفضل تخصيص الإمام الصادق عليه السلام إياه بكتابه المعروف بتوحيد المفضل، وهو الذي سماه النجاشي بكتاب فكر، وفي ذلك دلالة واضحة علىٰ أن المفضل كان من خواص أصحابه ومورد عنايته[٢].

كما أنه رجال كامل الزيارات وتفسير القمي.

وقع في أسناد كثير من الروايات تبلغ ستة ومائة مورداً[٣]، وله إحدىٰ وثلاثون رواية مهدوية، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٥٠/ ص٤٥٤/ ص٤٦٢/ ص٤٦٣/ ص٤٦٤/ ص٤٦٤/ ص٤٦٨/ ص٤٧١/ ص٤٨٤/ ص٤٨٦/ ص٥٣٢.

تفسير العياشي: ج١ ص٦٧/ ج٢ ص٣٢.

١. رجال الكشي: ج٢، ص٦١٢.

٢. معجم رجال الحديث: ج١٩، ص٣٢٨.

٣. معجم رجال الحديث: ج١٩، ص٣١٥.

الغيبة للنعماني: ص١٥٤/ ١٥٩/ ص١٦٥/ ١٧٦/ ص١٧٨/ ١٧٩/ ص١٧٩/ ٢٤٥/ ٣٢٦.

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٣٤/ ص٣٣٨/ ص٣٤٩.

الغيبة للطوسي: ص٦١/ ص١٦٤/ ص٤٥٨.

اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٥٨٩.

١٥٣ - منذر الجواز:

لم يذكر في كتب التراجم والرجال، روىٰ الشيخ الطوسي عن الفضل بن شاذان، عن الحسين بن يزيد الصحاف، عنه، عن أبي عبد الله عليه السلام، وهي روايته الوحيدة والمهدوية، إليك مصدرها:

الغيبة للطوسي: ص٤٢٦.

١٥٤ - منصور بن حازم:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام[١]، وعده الشيخ المفيد: من الفقهاء الأعلام والرؤساء المأخوذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام الذين لا مطعن عليهم ولا طريق إلىٰ ذم واحد منهم[٢].

قال النجاشي: منصور بن حازم أبو أيوب البجلي، كوفي، ثقة، عين، صدوق، من جلة أصحابنا وفقهائهم. روىٰ عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسىٰ عليهما السلام[٣].

وهو الذي عرض عقيدته وشهادته بالأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد علىٰ مولانا الصادق عليه السلام وقبَّل رأسه، وقال له مكرراً: «يرحمك الله»[٤].

١. رجال الطوسي: ص١٤٧ و٣٠٦.
٢. جوابات أهل الموصل: ص٢٥.
٣. رجال النجاشي: ص٤١٣.
٤. رجال الكشي: ج٢، ص٧١٨.

وهو من روىٰ عنه صفوان بن يحيىٰ.

وقع في أسناد كثير من الروايات، تبلغ ثلاثمائة وستين مورداً[١]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني ص٣٠٩.

١٥٥ - منصور الصيقل:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام[٢].

عن سعيد بن يسار، قال: استأذنا علىٰ أبي عبد الله عليه السلام أنا والحارث بن المغيرة النصري ومنصور الصيقل فواعدنا دار طاهر مولاه فصلينا العصر ثم رحنا إليه فوجدنا متكئاً علىٰ سرير قريب من الأرض فجلسنا حوله، ثم استوىٰ جالساً، ثم أرسل رجليه حتىٰ وضع قدميه علىٰ الأرض، ثم قال: «الحمد لله الذي ذهب الناس يميناً وشمالاً فرقة مرجئة وفرقة خوارج وفرقة قدرية وسميتم أنتم الترابية» ثم قال بيمين منه: «أما والله ما هو إلّا الله وحده لا شريك له ورسوله وآل رسوله صلى الله عليه وآله وشيعتهم كرم الله وجوههم وما كان سوىٰ ذلك فلا، كان علي والله أولىٰ الناس بالناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله - يقولها ثلاثاً -»[٣]. وفيه دلالة علىٰ أن منصور الصيقل كان من الشيعة المخلصين.

وقع في أسناد عدة من الروايات، تبلغ خمسة وعشرين مورداً[٤]، وله روايتان مهدويتان، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢١٦.

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٤٦.

---

١. معجم رجال الحديث: ج١٩، ص٣٦٩.

٢. رجال الطوسي: ص١٤٧ و٣٠٦.

٣. الكافي: ج٨، ص٣٣٣.

٤. معجم رجال الحديث: ج١٩، ص٣٨٥.

١٥٦ - موسىٰ بن جعفر بن وهب:

عدَّه الشيخ الطوسي في من لم يرو عنهم عليهم السلام[١]، لكن روىٰ الشيخ الصدوق عنه قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي (صلوات الله عليهما) يقول: «كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني، أما إن المقر بالأئمة بعد رسول الله المنكر لولدي كمن أقر بجميع الأنبياء والمرسلين، ثم أنكر نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله. والمنكر لرسول الله كمن أنكر جميع الأنبياء. لأن طاعة آخرنا كطاعة أولنا والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا. أما إن لولدي غيبة يرتاب فيه الناس إلّا من عصمه الله عز وجل»، وهي روايته المهدوية والوحيدة، إليك مصدرها:

كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٠٩.

١٥٧ - مهزم بن أبي بردة:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٢].

هناك عدة روايات تدلّ علىٰ تشيّعه بل حُسنه.

روىٰ الشيخ الطوسي بسنده عنه قال: دخلت المدينة حدثان صلب زيد رضي الله عنه. قال: فدخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام، فساعة رآني، قال: «يا مهزم، ما فعل زيد»؟ قال: قلت: صلب. قال: «أين»؟ قال: قلت: في كناسة بني أسد. قال: «أنت رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد»؟ قال: قلت: نعم، قال: «فبكىٰ حتىٰ بكىٰ النساء خلف الستور»، ثم قال: «أما والله لقد بقي لهم عنده طلبة، ما أخذوها منه بعد». قال: فجعلت أفكر وأقول: أي شيء طلبتهم بعد القتل والصلب! فودعته وانصرفت حتىٰ انتهيت إلىٰ الكناسة، فإذا أنا بجماعة، فأشرفت عليهم، فإذا زيد قد أنزلوه من خشبته يريدون أن يحرقوه. قال: قلت: هذه الطلبة التي قال لي[٣].

١. رجال الطوسي: ص٤٤٩.
٢. رجال الطوسي: ص٣١١.
٣. الأمالي للطوسي: ص٦٧٢.

وروىٰ الصفار بسنده عنه قال: كنا نزولاً بالمدينة وكانت جارية لصاحب المنزل تعجبني وإني أتيت الباب فاستفتحت ففتحت لي الجارية فغمرت ثديها فلما كان من الغد دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقال: «يا مهزم أين كان أقصىٰ أثرك اليوم»؟ فقلت له: ما برحت المسجد، فقال: «أما تعلم أن أمرنا هذا لا ينال إلّا بالورع»[١].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢١٥.

١٥٨ - ميمون البان:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة السجاد والباقر والصادق عليهم السلام[٢].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الخصال: ص٣٠٣.

حرف النون:

١٥٩ - ناجية القطان:

ليس له ذكر في كتب التراجم والرجال، وربما يكون هو ناجية بن أبي عمارة، الذي عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام[٣].

روىٰ النعماني بسنده عنه أنه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن المنادي ينادي: إن المهدي من آل محمد فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه، فينادي

---

١. بصائر الدرجات: ص٢٦٣.

٢. رجال الطوسي: ص١٢٠ و١٤٧ و٣٠٩.

٣. رجال الطوسي: ص١٤٧.

الشيطان: إن فلاناً وشيعته علىٰ الحق - يعني رجلاً من بني أمية -»، وهي روايته الوحيدة والمهدوية، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢٧٢.

حرف الهاء:

١٦٠ - هانئ التمار:

ليس له ذكر في كتب التراجم والرجال، روىٰ الشيخ الصدوق بسنده عنه عن الإمام الصادق عليه السلام، وهي روايته المهدوية الوحيدة، إليك مصدرها:

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٤٣.

١٦١ - هشام بن الحكم:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام[١]، وقال: هشام بن الحكم، كان من خواص سيدنا ومولانا موسىٰ بن جعفر عليهما السلام، وكانت له مباحثات كثيرة مع المخالفين في الأصول وغيرها... وكان هشام، يكنىٰ أبا محمد، وهو مولىٰ بني شيبان، كوفي، وتحول إلىٰ بغداد، ولقي أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام وابنه أبا الحسن موسىٰ عليه السلام، وله عنهما روايات كثيرة، وروىٰ عنهما فيه مدايح له جليلة، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر. وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب، وسئل يوماً عن معاوية ابن أبي سفيان، أَشَهِدَ بدراً، قال: نعم، من ذلك الجانب[٢].

وقال الكشي: هشام بن الحكم أبو محمد، مولىٰ كندة. وكان ينزل بني شيبان بالكوفة، انتقل إلىٰ بغداد سنة تسع وتسعين ومائة ويقال: إن (إنه) في هذه السنة مات... وأمّا مولده فقد قلنا الكوفة، ومنشأه واسط، وتجارته

١. رجال الطوسي: ص٣١٨ و٣٤٥.

٢. الفهرست: ص٢٥٨.

بغداد. ثم انتقل إليها في آخر عمره ونزل قصر وضاح. وروىٰ هشام عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسىٰ عليهما السلام، وكان ثقة في الروايات، حسن التحقيق بهذا الأمر[١].

روىٰ الكشي في فضله عدة روايات، منها: عن الحسن بن علي بن يقطين، قال: كان أبو الحسن عليه السلام إذا أراد شيئاً من الحوائج لنفسه، أو مما يعتريه من أموره، كتب إلىٰ أبي - يعني علياً -: اشتر لي كذا وكذا، واتخذ لي كذا وكذا، وليتول ذلك لك هشام بن الحكم، فإذا كان غير ذلك من أموره كتب إليه: اشتر لي كذا وكذا، ولم يذكر هشاماً إلّا فيما يعني به من أمره. وذكر أنه بلغ من عنايته به وحاله عنده أنه سرح إليه خمسة عشر ألف درهم، وقال له: اعمل بها ولك أرباحها، ورد إلينا رأس المال، ففعل ذلك هشام رحمه الله، وصلىٰ الله علىٰ أبي الحسن عليه السلام[٢].

ومنها: عن سليمان بن جعفر الجعفري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن هشام بن الحكم، قال: فقال لي رحمه الله: كان عبداً ناصحاً، وأوذي من قبل أصحابه حسداً منهم له.

ومنها: عن يونس، أن هشام بن الحكم، كان يقول: اللهم ما عملت وأعمل من خير مفترض وغير مفترض فجميعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الصادقين عليهم السلام حسب منازلهم عندك، فاقبل ذلك كله مني وعنهم، واعطني من جزيل جزاك به حسب ما أنت أهله.

وقع في أسناد كثير من الروايات، تبلغ مئة وسبعة وستين مورداً[٣]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٥٣٥.

١. رجال النجاشي: ص٤٣٣.
٢. رجال الكشي: ج٢، ص٥٤٦.
٣. معجم رجال الحديث: ج٢٠، ص٣٢٢.

١٦٢ - هشام بن سالم:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام[١].

قال النجاشي: هشام بن سالم الجواليقي مولىٰ بشر بن مروان أبو الحكم، كان من سبي الجوزجان، روىٰ عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، ثقة ثقة[٢].

روىٰ الكشي عنه، قال: كلمت رجلاً بالمدينة من بني مخزوم في الإمامة، قال، فقال: فمن الإمام اليوم؟ قال: قلت: جعفر بن محمد. قال، فقال: والله لأقولنها له، قال: فغمني بذلك غماً شديداً، خوفاً أن يلعني أبو عبد الله أو يتبرأ مني. قال: فأتاه المخزومي فدخل عليه، فجرىٰ الحديث، قال: فقال له مقالة هشام، قال، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أفلا نظرت في قوله؟ فنحن لذلك أهل»، قال: فبقي الرجل لا يدري أيش يقول، وقطع به. قال: فبلغ هشاماً قول أبي عبد الله عليه السلام ففرح بذلك وانجلت غمته[٣].

وهو أول من دخل علىٰ الإمام الكاظم عليه السلام بعد وفاة أبيه عليه السلام واطلع علىٰ إمامته وأخبر أصحابه وصرف الناس عن عبد الله الأفطح، حتىٰ أنه لما رأىٰ انصراف الناس عنه سأل ذلك فأُخبر أن هشام بن سالم صدّ عنه الناس، فقال هشام: فأقعد لي بالمدينة غير واحد ليضربوني[٤].

وهو من رجال كامل الزيارات وتفسير القمي وممن روىٰ عنه محمد بن أبي عمير وصفوان بن يحيىٰ والحسن بن محبوب والبزنطي.

وقع في أسناد كثير من الروايات، تبلغ ستمئة وثلاثة وستين مورداً[٥]، وله ثمان روايات مهدوية، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص١٧٦/ ص١٩٦/ ص٣١٦/ ص٣١٦/ ص٢٧٣/ ص٢٨٢.

كمال الدين وتمام النعمة: ص٤١١/ ص٤٨٠.

---

١. رجال الطوسي: ص٣١٨ و٣٤٥.
٢. رجال النجاشي: ص٤٣٤.
٣. رجال الكشي: ج٢، ص٥٦٥.
٤. رجال الكشي: ج٢، ص٥٦٧.
٥. معجم رجال الحديث: ج٢٠، ص٣٢٩.

حرف الواو:

١٦٣ - ورد بن زيد الأسدي:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام[١].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢٨٠.

١٦٤ - وهب بن جميع:

روىٰ الكشي عن محمد بن مسعود، قال: حدثني علي بن الحسن، وسألته عن وهب بن جميع فقال: ما سمعت فيه إلّا خيراً[٢].

له رواية واحدة، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٥٣.

حرف الياء:

١٦٥ - يحيىٰ بن سالم:

لم يذكر في كتب التراجم والرجال، روىٰ النعماني بسنده عنه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وهي روايته المهدوية الوحيدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص١٩٠.

١٦٦ - يحيىٰ بن العلاء الرازي:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٣].

قال النجاشي: يحيىٰ بن العلاء البجلي الرازي أبو جعفر، ثقة، أصله

١. رجال الطوسي: ص١٤٨ و٣١٧.

٢. رجال الكشي: ج٢، ص٦٣٦.

٣. رجال الطوسي: ص٣٢١.

كوفي. له كتاب يرويه جماعة[١].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للطوسي: ص١٨٨.

١٦٧ - يزيد بن أبي حازم:

لم يذكر في كتب التراجم والرجال، روىٰ النعماني بسنده عنه عن أبي عبد الله عليه السلام، وهي روايته المهدوية الوحيدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢٣٥.

١٦٨ - يزيد الكناسي:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام[٢].

ويحتمل أنه متّحد مع يزيد أبي خالد القماط الذي ورد توثيق بحقّه، لكن البرقي ذكر أبا خالد الكناسي وأبا خالد القماط، حيث يُشعر بالتعدد[٣].

له ثلاث روايات مهدوية، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص١٦٦، ص٢٣٣.

دلائل الإمامة: ص٥٣٢.

١٦٩ - يعقوب بن السراج:

عدَّه المفيد ممن روىٰ صريح النص بالإمامة من أبي عبد الله الصادق عليه السلام علىٰ ابنه أبي الحسن موسىٰ عليه السلام من شيوخ أصحاب أبي عبد الله وخاصته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين - رضوان الله عليهم -[٤].

---

١. رجال النجاشي: ص٤٤٤.

٢. رجال الطوسي: ص١٤٩ و٣٢٣.

٣. انظر: معجم رجال الحديث: ج٢١، ص١١٢.

٤. الإرشاد: ج٢، ص٢١٦.

قال النجاشي: يعقوب السراج كوفي، ثقة، له كتاب[١].

وهو ممن روىٰ عنه الحسن بن محبوب.

له ثلاث روايات مهدوية، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢٧٨/ ص٢٧٩/ ص٣٠٩.

١٧٠ - يعقوب بن شعيب:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام[٢].

قال النجاشي: يعقوب بن شعيب بن ميثم بن يحيىٰ التمار مولىٰ بني أسد، أبو محمد، ثقة، روىٰ عن أبي عبد الله عليه السلام. ذكره ابن سعيد وابن نوح. له كتاب، يرويه عدة من أصحابنا[٣].

وهو ممن روىٰ عنه محمد بن أبي عمير وصفوان بن يحيىٰ.

وقع في أسناد كثير من الروايات تبلغ مائة واثنين وأربعين مورداً[٤]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢٥٠.

١٧١ - يعقوب بن منقوش:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام[٥].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٠٧.

١. رجال النجاشي: ص٤٥١.

٢. رجال الطوسي: ص١٤٩ و٣٢٣ و٣٤٥.

٣. رجال النجاشي: ص٤٥٠.

٤. معجم رجال الحديث: ج٢١، ص١٤٧.

٥. رجال الطوسي: ص٣٩٣ و٤٠٣.

١٧٢ - يونس بن أبي يعفور:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام[١].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ٤٧٨.

١٧٣ - يونس بن ظبيان:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٢].

قال النجاشي: يونس بن ظبيان مولىٰ، ضعيف جداً، لا يلتفت إلىٰ ما رواه. كل كتبه تخليط[٣].

وقال الكشي: وذكر الفضل في بعض كتبه: الكذابون المشهورون أبو الخطاب ويونس بن ظبيان ويزيد الصايغ ومحمد بن سنان وأبو سمينة أشهرهم[٤].

روىٰ الكشي في ذمه عدة روايات، كما أن هناك روايات تدل علىٰ مدحه وحسنه[٥]. وكأن منشأ الذم هو روايته لروايات حول مقامات أهل البيت عليهم السلام يستشعر منها الغلوّ، كما هو الحال في محمد بن سنان وغيره[٦].

وهو من رجال تفسير القمي وكامل الزيارات، وممن روىٰ عنه محمد بن أبي عمير وصفوان بن يحيىٰ.

---

١. رجال الطوسي: ص١٥٠ و٣٢٤.

٢. رجال الطوسي: ص٣٢٣.

٣. رجال النجاشي: ص٤٤٨.

٤. رجال الكشي: ج٢، ص٨٢٣.

٥. انظر: رجال الكشي: ج٢، ص٦٥٧ وما بعدها.

٦. انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ج٨، ص٢٠١ وما بعدها.

وقع في أسناد عدَّة من الروايات تبلغ واحداً وأربعين مورداً، وله ثلاث روايات مهدوية، إليك مصدرها:

كفاية الأثر: ص١٩٦.

الغيبة للنعماني: ص٢٨٤.

دلائل الإمامة: ص٥٧٥.

١٧٤ - يونس بن عبد الرحمن:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام. قائلاً: يونس بن عبد الرحمن، مولىٰ علي بن يقطين، ضعفه القميون، وهو ثقة[١].

قال النجاشي: يونس بن عبد الرحمن مولىٰ علي بن يقطين بن موسىٰ، مولىٰ بني أسد، أبو محمد، كان وجهاً في أصحابنا، متقدماً، عظيم المنزلة، ولد في أيام هشام بن عبد الملك، ورأىٰ جعفر بن محمد عليهما السلام بين الصفا والمروة ولم يرو عنه. وروىٰ عن أبي الحسن موسىٰ والرضا عليهما السلام وكان الرضا عليه السلام يشير إليه في العلم والفتيا. وكان ممن بذل له علىٰ الوقف مال جزيل وامتنع (فامتنع) من أخذه وثبت علىٰ الحق[٢].

روىٰ الكشي في فضله عدة روايات:

منها: عن عبد العزيز بن المهتدي قال: سألت الرضا عليه السلام، فقلت: إني لا ألقاك في كل وقت فعن من آخذ معالم ديني؟ قال: «خذ من يونس بن عبد الرحمن».

ومنها: عن محمد بن الحسن الواسطي، وجعفر بن عيسىٰ، ومحمد بن يونس، أن الرضا عليه السلام ضمن ليونس الجنة ثلاث مرات.

---

١. رجال الطوسي: ص٣٤٦ و٣٦٨.

٢. رجال النجاشي: ص٤٤٧.

ومنها: عن جعفر بن عيسىٰ اليقطيني ومحمد بن الحسن جميعاً أن أبا جعفر عليه السلام ضمن ليونس بن عبد الرحمن الجنة علىٰ نفسه وآبائه عليهم السلام.

ومنها: عن سمعت الفضل بن شاذان قال: حج يونس بن عبد الرحمن أربعاً وخمسين حجة، واعتمر أربعاً وخمسين عمرة، وألّف ألف جلد رداً علىٰ المخالفين. وغيرها كثير[١].

نعم، هناك روايات وردت في ذمّ يونس أكثرها ضعيف السند لا ينهض لمعارضة الروايات المادحة الصحيحة والكثيرة. قال الكشي: فلينظر الناظر فيتعجب من هذه الأخبار التي رواها القيمون في يونس، وليعلم أنها لا تصح في العقل، وذلك أن أحمد بن محمد بن عيسىٰ وعلي بن حديد قد ذكر الفضل من رجوعهما عن الوقيعة في يونس، ولعل هذه الروايات كانت من أحمد قبل رجوعه، ومن علي مداراة لأصحابه... وأما حديث الحجال الذي رواه أحمد بن محمد: فإن أبا الحسن عليه السلام أجل خطراً وأعظم قدراً من أن يسب أحداً صراحاً، وكذلك آباؤه عليهم السلام من قبله وولده من بعده، لأن الرواية عنهم بخلاف هذا: إذ كانوا نهوا عن مثله، وحثوا علىٰ غيره مما فيه الزين للدين والدنيا[٢].

وقع في أسناد كثير من الروايات، تبلغ مئتين وثلاثة وستين مورداً[٣]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٦١.

---

١. رجال الكشي: ج٢، ص٧٧٩ وما بعدها.

٢. رجال الكشي: ج٢، ص٧٨٨.

٣. معجم رجال الحديث: ج٢١، ص٢٢٩.

١٧٥ - يونس بن يعقوب:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام[١].

قال النجاشي: يونس بن يعقوب بن قيس أبو علي الجلاب البجلي الدهني أمه منية بنت عمار بن أبي معاوية الدهني أخت معاوية بن عمار. اختص بأبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، وكان يتوكل لأبي الحسن عليه السلام، ومات بالمدينة في أيام الرضا عليه السلام، فتولىٰ أمره. وكان حظياً عندهم، موثقاً. وكان قد قال بعبد الله، ورجع[٢].

روىٰ الكشي في شأنه عدة روايات:

منها: عن بعض أصحابنا أن يونس بن يعقوب فطحي كوفي، مات بالمدينة وكفنه الرضا عليه السلام، وإنما سمي فطحياً لأن عبد الله بن جعفر كان أفطح الرأس، وقد قيل إنه كان أفطح الرجلين، وقيل إنهم نسبوا إلىٰ رجل يقال له: عبد الله بن فطيح.

ومنها: عن يونس بن يعقوب، قال: دخلت علىٰ أبي الحسن موسىٰ عليه السلام، قال: فقلت له: جعلت فداك، إن أباك كان يرق عليَّ ويرحمني، فإن رأيت أن تنزلني بتلك المنزلة فعلت، قال، فقال لي: «يا يونس، إني دخلت علىٰ أبي وبين يديه حيس أو هريسة»، فقال: «ادن يا بني فكل من هذا، هذا بعث به إلينا يونس، إنه من شيعتنا القدماء، فنحن لك حافظون».

ومنها: قال أبو النضر: سمعت علي بن الحسن، يقول: مات يونس بن يعقوب بالمدينة فبعث إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام بحنوطه وكفنه وجميع

---

١. رجال الطوسي: ص٣٢٣ و٣٤٥ و٣٦٨.

٢. رجال النجاشي: ص٤٤٦.

ما يحتاج إليه، وأمر مواليه وموالي أبيه وجده أن يحضروا جنازته، وقال لهم: هذا مولىٰ لأبي عبد الله عليه السلام كان يسكن العراق. وقال لهم: احفروا له في البقيع فان قال لكم أهل المدينة أنه عراقي ولا ندفنه في البقيع: فقولوا لهم هذا مولي لأبي عبد الله عليه السلام وكان يسكن العراق، فإن منعتمونا أن ندفنه بالبقيع منعناكم أن تدفنوا مواليكم في البقيع، ووجه أبو الحسن علي بن موسىٰ عليهما السلام إلىٰ زميله محمد بن الحباب، وكان رجلاً من أهل الكوفة: «صلِّ عليه أنت»[١].

وهذه الرواية تدلّ علىٰ اهتمام الإمام الرضا عليه السلام بشأنه، فإن صحت نسبة الفطحية إليه فلابد أنه رجع إلىٰ الحقّ.

وهو من رجال كامل الزيارات وتفسير القمي.

وقع في أسناد كثير من الروايات تبلغ ثلاثمائة وأربعة عشر مورداً[٢]، وله رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٦٤.

الكنىٰ:

١٧٦ - أبو بصير:

قال السيد الخوئي قدس سره: أبو بصير كنية لعدة أشخاص، منهم: عبد الله بن محمد الأسدي، وليث بن البختري المرادي، ويحيىٰ بن أبي القاسم الأسدي، ولكن المعروف بأبي بصير هو الأخير، فمتىٰ لم تكن قرينة علىٰ إرادة غيره فهو المراد[٣]، وذكر شواهد علىٰ ذلك.

---

١. رجال الكشي: ج٢، ص٦٨٢-٦٨٤.
٢. معجم رجال الحديث: ج٢١، ص٢٤٣.
٣. معجم رجال الحديث: ج٢١، ص٨٠.

فلنتعرض لترجمة أبي بصير يحيىٰ بن القاسم:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام قائلاً: يحيىٰ بن القاسم، أبو محمد، يعرف بأبي بصير الأسدي، مولاهم كوفي، تابعي، مات سنة خمسين ومائة بعد أبي عبد الله عليه السلام[١].

قال النجاشي: يحيىٰ بن القاسم أبو بصير الأسدي، وقيل: أبو محمد، ثقة، وجيه، روىٰ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وقيل يحيىٰ بن أبي القاسم، واسم أبي القاسم إسحاق. وروىٰ عن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام... ومات أبو بصير سنة خمسين ومائة[٢].

قال العلامة الحلي: قال علي بن أحمد العقيقي: يحيىٰ بن القاسم الأسدي، مولاهم، ولد مكفوفاً، رأىٰ الدنيا مرتين، مسح أبو عبد الله عليه السلام علىٰ عينيه، وقال: «انظر ما ترىٰ»، قال: أرىٰ كوة في البيت وقد أرانيها أبوك من قبلك[٣].

روىٰ الكليني عن أبي بصير، قال: دخلت علىٰ أبي جعفر عليه السلام، فقلت له: أنتم ورثة رسول الله؟ قال: «نعم»، فقلت: رسول الله وارث الأنبياء علم كل ما علموا؟ قال لي: «نعم»، قلت: فأنتم تقدرون علىٰ أن تحيوا الموتىٰ وتبرؤا الأكمه والأبرص؟ قال: «نعم بإذن الله»، ثم قال لي: «أدن مني يا أبا محمد»، فدنوت منه فمسح علىٰ وجهي وعلىٰ عيني فأبصرت الشمس والسماء، والأرض والبيوت وكل شيء في البلد، ثم قال لي: «أتحب أن تكون هكذا، ولك ما للناس، وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً»؟ قلت: أعود كما كنت، فمسح علىٰ عيني فعدت كما كنت، قال:

١. رجال الطوسي: ص١٤٩ و٣٢١ و٣٤٦.
٢. رجال النجاشي: ص٤٤١.
٣. خلاصة الأقوال: ص٤١٧.

فحدثت ابن أبي عمير بهذا. فقال: أشهد أن هذا حق، كما أن النهار حق[١].

وروى الكشي عن شعيب العقرقوفي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام، ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء، فممن نسأل؟ قال: «عليك بالأسدي» يعني أبا بصير[٢].

له ثلاث وستون رواية مهدوية، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة ص٤٥٣/ ص٤٧٠/ ص٥٣٥/ ص٥٥٤/ ص٥٦٦.

الكافي ج٤ ص٥٤٣.

الغيبة للنعماني ص١٦٧/ ص١٧٧/ ص١٩٤/ ص٢٠٠/ ص٢٠٧/ ص٢١٢/ ص٢١٣/ ص٢١٨/ ص٢٢٤/ ص٢٣٨/ ص٢٣٩/ ص٢٣٩/ ص٢٤٧/ ص٢٤٨/ ص٢٤٨/ ص٢٤٨/ ص٢٥٩/ ص٢٦٢/ ص٢٧٠/ ص٢٧١/ ص٢٧٥/ ص٢٧٧/ ص٢٧٧/ ص٢٨٠/ ص٢٨٧/ ص٢٩١/ ص٣٠١/ ص٣١٩/ ٣٢٩/ ص٣٣٠/ ص٣٣٥/ ص٣٣٦/ ص٣٣٧.

كمال الدين وتمام النعمة ص٢٨٧/ ص٣٢٥/ ٣٢٩/ ٣٤٠/ ص٣٤٥/ ص٣٥٠/ ص٣٥٧/ ص٣٥٨/ ص٣٥٨/ ص٤٧٩/ ص٤٨٠.

الخصال ص٤١٩.

الغيبة للطوسي ص١٥٨/ ص١٦٠/ ص١٦٣/ ص١٦٣/ ص٤٢٠/ ص٤٢٤/ ص٤٤٧/ ص٤٤٩/ ص٤٥٠/ ص٤٥٢/ ص٤٥٣.

تهذيب الأحكام: ج٥ ص٤٥٢.

١. الكافي: ج١، ص٤٧٠.

٢. رجال الكشي: ج١، ص٤٠٠.

١٧٧ - أبو بكر الحضرمي:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[١].

روىٰ الكشي له مناظرة حسنة مع زيد بن علي عليه السلام، كما روىٰ ما يدلّ علىٰ تشيّعه وحسنه[٢].

وهو من رجال كامل الزيارات وممن روىٰ عنه صفوان ومحمد بن أبي عمير.

وقع في أسناد كثير من الروايات تبلغ مائة وستة وخمسين مورداً[٣]، وله روايتان مهدويتان، إليك مصدرهما:

الغيبة للنعماني: ص٢٦٧.

الكافي: ج٥، ص٣٣.

١٧٨ - أبو الجارود:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام قائلاً: زياد بن المنذر، أبو الجارود الهمداني الحوفي، كوفي تابعي زيدي أعمي، إليه تنسب الجارودية منهم[٤].

قال النجاشي: زياد بن المنذر أبو الجارود الهمداني الخارفي الأعمىٰ أخبرنا ابن عبدون عن علي بن محمد، عن علي بن الحسين، عن حرب بن الحسن، عن محمد بن سنان قال: قال لي أبو الجارود: ولدت أعمىٰ، ما رأيت الدنيا قط. كوفي، كان من أصحاب أبي جعفر، وروىٰ عن أبي عبد الله عليهما السلام، وتغير لما خرج زيد رضي الله عنه[٥].

---

١. رجال الطوسي: ص٢٣٠.

٢. رجال الكشي: ج٢، ص٧١٤ وما بعدها.

٣. معجم رجال الحديث: ج٢٢، ص٦٧ و٧٢.

٤. رجال الطوسي: ص١٣٥.

٥. رجال النجاشي: ص١٧٠.

وروىٰ الكشي في ذمِّه عدة روايات:

منها: عن أبي بصير، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فمرت بنا جارية معها قمقم فقلبته، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله عزّ وجلّ إن كان قَلِب قَلْب أبا الجارود، كما قلبت هذه الجارية هذا القمقم، فما ذنبي»[١].

وقع في أسناد كثير من الروايات تبلغ اثنين وتسعين مورداً[٢]، وله سبع روايات مهدوية، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ٤٥٥/ ٤٨١.

الغيبة للنعماني: ص١٥٦/ ص١٨٤/ ص٢٤٤/ ص٢٤٤/ ص٣٢٩.

١٧٩ - أبو جعفر المنصور:

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الملقب بالدوانيقي، ثاني خلفاء بني العباس، بويع سنة مائة وست وثلاثين للهجرة وهو ابن إحدىٰ وأربعين سنة، وتوفي سنة مائة وثمان وخمسين للهجرة، وإنما لقب بالدوانيقي لتشدّده في محاسبة العمال وأهل الصنائع علىٰ الدانق[٣].

تمّ في أيامه بناء مدينة بغداد، قال المسعودي: وكان يعمل في بناء مدينة بغداد التي بناها وعرفت به في كل يوم خمسون ألف رجل[٤].

الغيبة للطوسي: ص٤٣٣، ح٤٢٣.

---

١. رجال الكشي: ج٢، ص٤٩٥.

٢. معجم رجال الحديث: ج٢٢، ص٨١.

٣. منتهىٰ الآمال: ج٣، ص١٧٠.

٤. مروج الذهب: ج٣، ص٣٠٨.

١٨٠ - أبو حمزة الثمالي:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة السجاد والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام قائلاً: ثابت بن دينار يكنىٰ أبا حمزة الثمالي، وكنية دينار أبو صفية. ثقة، له كتاب[١].

قال النجاشي: ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي واسم أبي صفية دينار، مولىٰ، كوفي، ثقة، وكان ال المهلب يدعون ولاءه وليس من قبيلهم، لأنهم من العتيك قال محمد بن عمر الجعابي: ثابت بن أبي صفية مولىٰ المهلب بن أبي صفرة، وأولاده نوح ومنصور وحمزة قتلوا مع زيد، لقىٰ علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله وأبا الحسن عليهم السلام وروىٰ عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث. وروىٰ عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه». وروىٰ عنه العامة، ومات في سنة خمسين ومائة[٢].

روىٰ الكشي في فضله عدة روايات:

منها: عن أبي حمزة، قال: كانت بنية لي سقطت فانكسرت يدها، فأتيت بها التيمي فأخذها فنظر إلىٰ يدها فقال: منكسرة، فدخل يخرج الجباير وأنا علىٰ الباب فدخلتني رقة علىٰ الصبية فبكيت ودعوت، فخرج بالجباير فتناول بيد الصبية فلم ير بها شيئاً، ثم نظر إلىٰ الأخرىٰ فقال: ما بها شيء، قال: فذكرت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: «يا أبا حمزة وافق الدعاء الرضاء فاستجيب لك في أسرع من طرفة عين».

ومنها: عن أبي بصير، قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما فعل أبو حمزة الثمالي؟ قلت: خلفته عليلاً، قال: إذا رجعت إليه فاقرأه مني السلام

١. رجال الطوسي: ص١١٠ و١٢٩ و١٧٤ و٣٣٣؛ الفهرست: ص٩٠.
٢. رجال النجاشي: ص١١٥.

واعلمه أنه يموت في شهر كذا في يوم كذا. قال أبو بصير: قلت جعلت فداك والله لقد كان فيه أنس وكان لكم شيعة، قال: صدقت ما عندنا خير لكم من شيعتكم معكم، قال: إن هو خاف الله وراقب نبيه وتوقىٰ الذنوب، فإذا هو فعل كان معنا في درجتنا، قال علي: فرجعنا تلك السنة فما لبث أبو حمزة إلّا يسيراً حتىٰ توفي.

له اثنا عشر رواية مهدوية، إليك مصدرها:

تفسير العياشي: ج١، ص١٠٣.

الغيبة للنعماني: ص٨٨/ ص٢٣٩/ ص٣٠٣/ ص٣٠٨/ ص٣٢٦.

كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٨٦/ ص٣١٩/ ص٣٢٣.

الغيبة للطوسي: ص٤٢٨/ ص٤٣٥.

تهذيب الأحكام: ج٦، ص١٧٦.

١٨١ - أبو خالد الكابلي:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة السجاد والباقر والصادق عليهم السلام[١].

روىٰ الكليني عن إسحاق بن جرير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كان سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليه السلام»[٢].

وروىٰ الكشي عن أبي بصير، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهراً وما كان يشك في أنه إمام. حتىٰ أتاه ذات يوم فقال له: جعلت فداك، إن لي حرمة ومودة وانقطاعاً، فأسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين إلّا أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته علىٰ خلقه؟ قال: فقال: يا أبا خالد حلفتني بالعظيم، الإمام علي بن الحسين عليه السلام

١. رجال الطوسي: ص١١٩ و١٤٨ و٣١٧.

٢. الكافي: ج١، ص٤٧٢.

عليَّ وعليك وعلىٰ كل مسلم. فأقبل أبو خالد لما أن سمع ما قاله محمد بن الحنفية جاء إلىٰ علي بن الحسين عليه السلام فلما استأذن عليه فأخبر أن أبا خالد بالباب، فأذن له، فلما دخل عليه دنا منه قال: مرحباً بك يا كنكر ما كنت لنا بزائر، ما بدا لك فينا؟ فخر أبو خالد ساجداً شاكر لله تعالىٰ مما سمع من علي بن الحسين عليه السلام، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتىٰ عرفت، فقال له علي: وكيف عرفت إمامك يا أبا خالد؟ قال: إنك دعوتني باسمي الذي سمتني أمي التي ولدتني، وقد كنت في عمياء من أمري ولقد خدمت محمد بن الحنفية عمراً من عمري ولا أشك إلّا وأنه إمام. حتىٰ إذا كان قريباً سألته بحرمة الله وبحرمة رسوله وبحرمة أمير المؤمنين، فأرشدني إليك، وقال: هو الإمام عليَّ وعليك وعلىٰ خلق الله كلهم، ثم أذنت لي فجئت فدنوت منك سميتني باسمي الذي سمتني أمي، فعلمت أنك الإمام الذي فرض الله طاعته عليَّ وعلىٰ كل مسلم»[1].

وهو من رجال كامل الزيارات وتفسير القمي.

له ست روايات مهدوية، إليك مصدرها:

تفسير القمي: ج٢ ص٢٠٤.

الغيبة للنعماني: ص٢٨١/ ص٣٢٧.

الأمالي للمفيد: ص٤٥.

الغيبة للطوسي: ص٣٣٣/ ص٤٥٥.

١٨٢ - أبو خديجة:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[2].

قال النجاشي: سالم بن مكرم بن عبد الله أبو خديجة ويقال أبو سلمة

١. رجال الكشي: ج١، ص٣٣٧.

٢. رجال الطوسي: ص٢١٧.

الكناسي. يقال صاحب الغنم مولىٰ بني أسد الجمال. يقال: كنيته كانت أبا خديجة وإن أبا عبد الله عليه السلام كناه أبا سلمة، ثقة ثقة، روىٰ عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام[١].

وروىٰ الكشي عن محمد بن مسعود، قال: سألت أبا الحسن علي بن الحسن، عن اسم أبي خديجة؟ قال: سالم بن مكرم، فقلت له: ثقة؟ فقال: صالح وكان من أهل الكوفة، وكان جمّالاً، وذكر أنه حمل أبا عبد الله عليه السلام من مكة إلىٰ المدينة، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن أبي خديجة قال، قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تكتن بأبي خديجة»، قلت: فبم أكتني؟ فقال: «بأبي سلمة».

وكان سالم من أصحاب أبي الخطاب، وكان في المسجد يوم بعث عيسىٰ بن موسىٰ بن علي بن عبد الله بن العباس وكان عامل المنصور علىٰ الكوفة إلىٰ أبي الخطاب: لما بلغه أنهم قد أظهروا الإباحات، ودعوا الناس إلىٰ نبوة أبي الخطاب، وأنهم يجتمعون في المسجد ولزموا الأساطين يورون الناس أنهم قد لزموها للعبادة، وبعث إليهم رجلاً فقتلهم جميعاً لم يفلت منهم إلّا رجل واحد أصابته جراحات، فسقط بين القتلىٰ يعد فيهم، فما جنه الليل خرج من بينهم فتخلص، وهو أبو سلمة سالم بن مكرم الجمال الملقب بأبي خديجة، فذكر بعد ذلك أنه تاب وكان ممن يروي الحديث[٢].

وهو من رجال كامل الزيارات.

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للطوسي: ص٤٣٧.

١. رجال النجاشي: ص١٨٨.

٢. رجال الكشي: ج٢، ص٦٤١.

١٨٣ - أبو سعيد الخدري:

سعد بن مالك الخزرجي عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام[١].

روىٰ الكشي عن الفضل بن شاذان أنه كان من السابقين الذين رجعوا إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام كما روىٰ في شأنه عدَّة روايات:

منها: عن ذريع عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر أبو سعيد الخدري، فقال: كان من أصحاب رسول الله وكان مستقيماً، قال: فنزع ثلاثة أيام فغسله أهله ثم حملوه إلىٰ مصلاه فمات فيه.

ومنها: عن ليث المرادي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أبا سعيد الخدري كان قد رزق هذا الأمر، وأنه اشتد نزعه فأمر أهله أن يحملوه إلىٰ مصلاه الذي كان يصلي فيه ففعلوا فما لبث أن هلك»[٢].

روىٰ ابن قتيبة أنه في وقعة الحرة لزم بيته، فدخل عليه نفر من أهل الشام، فقالوا: أيها الشيخ، من أنت؟ فقال: أنا أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله [ﷺ]، فقالوا: ما زلنا نسمع عنك، فبحظك أخذت في تركك قتالنا، وكفك عنا، ولزوم بيتك، ولكن أخرج إلينا ما عندك. قال: والله ما عندي مال، فنتفوا لحيته، وضربوه ضربات، ثم أخذوا كل ما وجدوه في بيته حتىٰ الصواع، وحتىٰ زوج حمام كان له[٣].

له إحدىٰ عشر رواية مهدوية، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٤٣/ ص٤٦٧/ ص٤٦٩/ ٤٧١/ ص٤٧٧/ ص٤٦٧/ ص٤٨٠/ ص٤٨٢.

الغيبة للطوسي: ص١٧٨/ ص١٧٩/ ص١٨٠.

---

١. رجال الطوسي: ص٤٠ و٦٥.

٢. رجال الكشي: ج١، ص٢٠٥.

٣. الإمامة والسياسة: ج١، ص١٨٣.

١٨٤ - أبو سعيد الخراساني:

عدَّه البرقي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[١]، وعدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام[٢].

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للطوسي: ص٤٢٢.

١٨٥ - أبو سعيد عقيصاً:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام قائلاً: دينار، يكنىٰ أبا سعيد، ولقبه عقيصاً، وإنما لقب بذلك لشعر قاله[٣].

وهو من رجال كامل الزيارات.

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣١٥.

١٨٦ - أبو هاشم الجعفري:

عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام، قائلاً: داود بن القاسم الجعفري، يكنىٰ أبا هاشم، من ولد جعفر بن أبي طالب عليه السلام، ثقة جليل القدر[٤]، وقال: داود بن القاسم الجعفري، يكنىٰ أبا هاشم، من أهل بغداد، جليل القدر، عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، وقد شاهد جماعة منهم الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر عليهم السلام،

١. رجال البرقي: ص٤٣.
٢. رجال الطوسي: ص٣٧٠.
٣. رجال الطوسي: ص٦٣ و١٠٢.
٤. رجال الطوسي: ص٣٥٧ و٣٧٥ و٣٨٦ و٣٩٩.

وقد روىٰ عنهم كلهم عليهم السلام، وله أخبار ومسائل، وله شعر جيد فيهم، وكان مقدماً عند السلطان[١].

قال النجاشي: داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أبو هاشم الجعفري رحمه الله كان عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، شريف القدر، ثقة، روىٰ أبوه عن أبي عبد الله عليه السلام[٢].

وقال الكشي: له منزلة عالية عند أبي جعفر وأبي الحسن وأبي محمد عليهم السلام وموقع جليل، علىٰ ما يستدل بما روي عنهم في نفسه وروايته، وتدل روايته علىٰ ارتفاع في القول[٣].

قال السيد الخوئي قدس سره: عبارة الكشي: من أن روايته تدل علىٰ ارتفاع في القول، لابد من أن يكون فيها تحريف أو أنه أريد بها معنىٰ غير ما هي ظاهرة فيه، وذلك لأنه ذكر أن له موقعا جليلا في نفسه، وروايته علىٰ ما يستدل بما روي عنهم عليهم السلام، فكيف يمكن أن يقال: إن روايته تدل علىٰ ارتفاع في القول[٤].

وعن السيد ابن طاووس: أنه من وكلاء الناحية الذين لا تختلف الشيعة فيهم[٥].

وهو من رجال كامل الزيارات.

---

١. الفهرست: ص١٢٤.
٢. رجال النجاشي: ص١٥٦.
٣. رجال الكشي: ج٢، ص٨٤١.
٤. معجم رجال الحديث: ج٨، ص١٢٤.
٥. الكنىٰ والألقاب: ج١، ص١٧٤.

له خمس روايات مهدوية، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٣١٤.

الكافي: ج١، ص٣٢٨.

الغيبة للطوسي: ص١٥٤/ ص٢٠٢/ ص٢٠٦.

١٨٧ - أبو هريرة:

صحابي معروف أسلم بعد الهجرة بسبع سنين.

قال الفيروز آبادي: رأىٰ النبي [صلى الله عليه وآله] في كمه هرة، فقال: يا أبا هريرة، فاشتهر به، واختلف في اسمه علىٰ نيف وثلاثين قولاً[١].

وذكر ابن أبي الحديد عن شيخه أبىٰ جعفر الإسكافي: وروىٰ الأعمش، قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلىٰ مسجد الكوفة، فلما رأىٰ كثرة من استقبله من الناس جثاً علىٰ ركبتيه، ثم ضرب صلعته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أنىٰ أكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله، وأحرق نفسي بالنار! والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن لكل نبي حرماً، وإن حرمي بالمدينة، ما بين عير إلىٰ ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها: فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة[٢].

وكذبه وانحرافه غني عن البيان والاستدلال.

له رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

الغيبة للطوسي: ص١٨٠.

١. القاموس المحيط: ج٢، ص١٦٠.

٢. شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٦٧.

١٨٨ - أبو الهيثم بن أبي حبة:

ليس له ذكر في كتب التراجم والرجال، روىٰ الشيخ الصدوق بسنده عنه عن أبي عبد الله عليه السلام، وهي روايته الوحيدة والمهدوية، إليك مصدرها:

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٣٣.

١٨٩ - أبو الهيثم التميمي:

ليس له ذكر في كتب التراجم والرجال، روىٰ الشيخ الصدوق بسنده عنه عن أبي عبد الله عليه السلام، وهي روايته الوحيدة والمهدوية، إليك مصدرها:

كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٣٤.

١٩٠ - أبو وائل:

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، روىٰ الأعمش عنه عدَّة روايات[١]، وله روايتان مهدويتان، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص٢٢٢.

الغيبة للطوسي: ص١٨٩.

١٩١ - أم سعيد الأحمسية:

عدَّها الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٢].

وهي من رواة كامل الزيارات، لها رواية مهدوية واحدة، إليك مصدرها:

دلائل الإمامة: ص٤٨٣.

١. انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ج٨، ص٤٦٥.

٢. رجال الطوسي: ص٣٢٧.

١٩٢ - أم سلمة:

هند بنت أبي أمية بن المغيرة زوجة النبي صلى الله عليه وآله، كانت قبل ذلك عند أبي سلمة فولدت له سلمة وعمر ودرة وزينب، ثم مات وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي أفضل زوجاته بعد خديجة الكبرىٰ، فاضلة عارفة جليلة كثيرة الرواية عظيمة القدر، وأمها عاتكة بنت عبد المطلب.

روىٰ الكليني عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام أن علياً (صلوات الله عليه وآله) حين سار إلىٰ الكوفة، استودع أم سلمة كتبه والوصية فلما رجع الحسن دفعتها إليه[1].

كما روىٰ عنه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الحسين (صلوات الله عليه) لما صار إلىٰ العراق استودع أم سلمة رضي الله عنها الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعتها إليه»[2].

وروىٰ الطبري الشيعي احتجاجها علىٰ أبي بكر علىٰ أثر خطبته التي نال فيها من أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام، فقالت أم سلمة: أَلِمِثل فاطمة بنت رسول الله يقال هذا... أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها وقد قال الله له: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]؟ أفأنذرها وجاءت تطلبه وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان، وعديلة مريم ابنة عمران، وحليلة ليث الأقران، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، فيوسدها يمينه، ويلحفها بشماله، رويدا فرسول الله

١. الكافي: ج١، ص٢٩٨.
٢. الكافي: ج١، ص٣٠٤.

بمرأىٰ لغيكم، وعلىٰ الله تردون، فواها لكم وسوف تعلمون. قال: فحرمت أم سلمة تلك السنة عطاءها[١].

لها روايتان مهدويتان، إليك مصدرهما:

الغيبة للطوسي: ص١٨٥/ ص١٨٧.

١٩٣ - أم هانئ الثقفية:

روت عن الإمام الباقر عليه السلام تفسير قوله تعالىٰ: ﴿بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥-١٦] بالإمام المنتظر (صلوات الله عليه)، وهي روايتها الوحيدة والمهدوية، إليك مصدرها:

الغيبة للنعماني: ص١٥١.

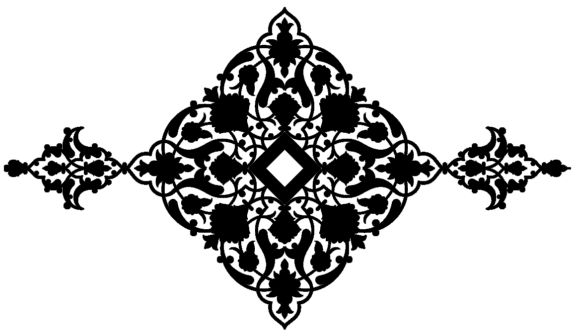

١. دلائل الإمامة: ص١٢٤.

المعود
ALMAUOOD

ارتباط إمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه بالعدل الإلهي ودفع إشكالية وجود الشرور التحقّق والمعطيات

مرتضىٰ علي الحلي

تمهيداتٌ – التمهيد الأوّل:

يُقصَد بمفهوم العَدل الإلهي في المنظور العقدي (تنزيه الله تعالىٰ عن فعل القبيح[1] والإخلال بالواجب، فإذا حصل العلم بذلك حصل العلم بالعدل)[2].

والعَدلُ في حقيقته يرتبط ارتباطاً وجودياً واقعياً بتوحيد الله تبارك وتعالىٰ، وهو حقيقةٌ من حقائق الذات الإلهية المُقدَّسة.

ويُصَّنف العلم بالعدل الإلهي علىٰ أنّه من مُدركات العقل العملي عند الإنسان، ذلك العقل الذي يُعبّرُ عنه عند علماء الأديان والعقيدة بالحُسن والقبح، ويُعبّرُ عنه عند الفلاسفة بالخير والشر، وعند علماء الأخلاق بالفضيلة والرذيلة، والمراد من العقل العملي هو المُدرِكُ لما ينبغي فعله وإيقاعه أو تركه وما لا ينبغي فعله، والعدل هو واحد من جملة ما يدركه العقل العملي عند الإنسان السوي من حيث إنَّ العدل أمرٌ حَسنٌ وينبغي فعله، ويستحق فاعله

---

١. القبيح هو الذي يُذَم فاعله في الدنيا ويُعاقب في الآخرة ويُمدح تاركه في الدنيا ويُثاب في الآخرة. والواجب هو الذي يُمدح فاعله في الدنيا ويُثاب في الآخرة ويُذم تاركه في الدنيا ويُعاقب في الآخرة. انظر: النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ص٣٢، ط٢، ١٤١٤هـ.

٢. الاقتصاد، الطوسي، ص٤٧، ط، قم، ١٤٤٠ه.

المدح عليه عقلاً، بخلاف الظلم فهو أمر قبيح عقلاً فينبغي تركه ويستحق فاعله الذم عليه عقلاً.

ولأصل العدل الإلهي أيضاً ارتباط وثيق بالتحسين والتقبيح العقليين الذي تقول به فرقة الإمامية الاثني عشرية وبمجمل أصول الدين الإسلامي الأخرىٰ من النبوّة والإمامة والمعاد، وكذلك الشريعة وفروعها.

وقد بيّن الشيخ جعفر السبحاني هذا الترابط العقلي والاعتقادي بين أصول المنظومة الدينية وفروعها الشرعية، وذكر ما نصه:

(أنَّ موارد العدل بالنسبة إلىٰ الله تعالىٰ يجمعها أقسام ثلاثة:

١ - العدل التكويني: وهو إعطاؤه تعالىٰ كلّ موجود ما يستحقه ويليق به من الوجود، فلا يهمل قابلية، ولا يعطل استعداداً في مجال الإفاضة والإيجاد.

٢ - العدل التشريعي: وهو أنّه تعالىٰ لا يَهمل تكليفاً فيه كمال الإنسان وسعادته، وبه قوام حياته المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية، كما أنّه لا يكلّف نفساً فوق طاقتها.

٣ - العدل الجزائي: وهو أنّه تعالىٰ لا يُساوي بين المُصلح والمُفسِد، والمؤمن والمشرك في مقام الجزاء والعقوبة، بل يجزي كلَّ إنسانٍ بما كسب، فيجزي المُحسن بالإحسان والثواب، والمُسيء بالإساءة والعقاب، كما أنّه تعالىٰ لا يُعاقب عبداً علىٰ مخالفة التكاليف إلّا بعد البيان والإبلاغ.

وأكّد علىٰ أنَّ الدليل علىٰ (استنتاج عدله تعالىٰ من قاعدة التحسين والتقبيح العقليين إنَّ مقتضىٰ التحسين والتقبيح العقليين علىٰ ما عرفت، هو أنَّ العقل بما هو، يدرك أنَّ هذا الفعل بما هو هو من دون اختصاص ظرف من الظروف أو قيد من القيود حَسن أو قبيح، والمأخوذ في موضوع هذا الحكم العقلي ليس إلّا الفاعل العاقل المختار، من غير فرق بين الواجب والممكن.

وعلىٰ ذلك فالله سبحانه عادل ومُنزّه مِن الظلم، لأنَّ القيام بالعدل حَسن وتركه كارتكاب الظلم قبيح، والله سبحانه حكيم لا يرتكب القبيح، كما هو مقتضىٰ القول بالتحسين والتقبيح العقليين)[١].

وعن أهمية هذا الأصل الديني قال العلّامة الحلّي ﵀: (اعلم: إنَّ هذا أصل عظيم تبتني عليه القواعد الإسلامية، بل الأحكام الدينية مطلقا، وبدونه لا يتم شيء من الأديان، ولا يمكن أن يُعلم صدق نبيٍّ من الأنبياء علىٰ الإطلاق... وبئس ما اختار الإنسان لنفسه مذهباً، خرجَ به عن جميع الأديان، ولم يمكّنه أن يعبدَ اللهَ تعالىٰ بشرع من الشرائع السابقة واللاحقة، ولا يجزم به علىٰ نجاة نبيٍّ مرسل، أو ملك مقرّب، أو مطيع في جميع أفعاله من أولياء الله تعالىٰ وخلصائه، ولا علىٰ عذاب أحد من الكفار والمشركين، وأنواع الفسّاق والعاصين)[٢].

وأمّا ما يُثار من إشكاليات علىٰ المُنافاة بين عدل الله وحكمته ووجود الشرور والنقص والبلايا فقد ردّه العلّامة البلاغي ﵀ بما نصّه (إنَّ إشكال الخلط والالتباس في مسألة الشرور ينشأ بسبب عدم إدراك طبيعة العلاقة بين الخير والشر، ونسبية الشرور والنقائص في العالم)[٣].

وسنفصّل الكلام في هذه المنافاة المُدّعاة تفصيلاً وتحليلها وردّها، وسنتناول مدىٰ أهمية وجود الإمام المهدي ﷺ وكونه الأمان التكويني من الحيلولة دون الإخلال بالنظام، وحدود قدرته علىٰ التخفيف أو المنع من وقوع الشرور والنقائص والأذىٰ في ضمن محاور البحث الآتية.

---

١. محاضرات في الإلهيّات، الشيخ جعفر السبحاني، ص١٦٤، تلخيص الشيخ علي الرباني الگلپايگاني، مؤسسة الإمام الصادق ﵇.

٢. نهج الحقّ وكشف الصدق، العلّامة الحلّي، ص٧٢، ط قم المقدّسة، ١٤٢١هـ ق.

٣. معجم المؤلّفات الإسلامية في الردّ علىٰ الفرقة الوهابية، عبد الله محمد علي، ص٣٠٢، ط١، ١٤٣٠هـ.

إنَّ الاعتقاد بالعدل الإلهي يستدعي الاعتقاد بوجوب نصب الإمام المعصوم علىٰ الله سبحانه عقلاً، وذلك لأنَّ الله سبحانه عدلٌ محض ومُنزّه عن فعل القبيح والإخلال بالواجب أو إهمال النّاس بعد ختم النبوّة وتركهم دون هادٍ أو مُرشدٍ وحافظٍ لهم من الضلال، وهذا الاعتقاد أيضاً يكفل تحقّق السكينة والطمأنينة في نفوس المؤمنين المعتقدين بذلك، ومن حيث تنجّز نفس العدلِ كصفة إلهية في الأرض بظهور وقيام الإمام المهدي عليه السلام وبسطه بعد دفع الظلم والجور.

وبذلك يتّضح مناط الترابط بين أصل العدل الإلهي (التنزيه عن فعل القبيح والإخلال بالواجب) وبين مقتضاه في وجوب نصب الإمام المعصوم وجوباً عقليّاً علىٰ الله سبحانه، لأنَّ الإمام المعصوم يُمثّل في تنصيبه وفي حَرَاكه الرسالي اعتقاداً وشرعاً وتدبيراً لطفاً في ارتفاع القبيح وفعل الواجب.

وقد وضّح السيّد المرتضىٰ ذلك المعنىٰ العقدي المكين في منتظم العلاقة بين العدل الإلهي ووجوب نصب الإمام المعصوم علىٰ الله سبحانه عقلاً، حيث قال: (لأنّ الطريق إلىٰ وجوب الحاجة إلىٰ الإمام إذا كان هو كونه لطفاً في ارتفاع القبيح وفعل الواجب، قد ثبت أنَّ فعل القبيح والإخلال بالواجب لا يكونان إلّا مِمّن ليس بمعصوم)[1].

فإذن الإمام المعصوم هو تمثّلٌ لعدلِ الله تعالىٰ في خَلقه وفي تكليفه وفي أغراضه وفي ألطافه، وببركة وجوده يحدث بين العباد الاقتراب من الطّاعات والخيرات والفضائل والواجبات، والابتعاد عن المعاصي والشرور والرذائل والمحرّمات، وهو مَن يدعو إلىٰ فعل الواجب والانصراف عن القبيح، وإنَّ خلوّ الزمان منه يستلزم وقوع الظلم والشرور بمقتضىٰ اختلاف طباع وأمزجة النفوس البشرية ووقوع الهرج والمرج والتجاذب والتدافع والإخلال بالنظام.

١. الشافي في الإمامة، السيد المرتضىٰ، ج١، ص٢٩٤، ط ٢، طهران.

التمهيد الثاني - مُختصَرٌ في نظريات العدل - العدل عند الإمامية والمعتزلة والأشاعرة:

لقد تبنَّتْ فرقة الإمامية الاثني عشرية ومعها فرقة المعتزلة[١] العدلية مقولة العدل الإلهيِّ وأصالته العقلانية إدراكاً، والتي تقوم علىٰ أساس وفكرة التحسين والتقبيح العقليين.

وحَكمت الإمامية بأنَّ العقل الإنساني العملي قاضٍ بذلك بصورة مستقلة عن الشرع، فالحسن حسنٌ في نفسه والقبيح قبيحٌ في نفسه، سواء أحكمَ به الشرع ببيان صفة القبح فيه أم لم يحكم، وبيَّنوا الأسس العقلانية والمَدركية لذلك المبنىٰ القويم، وهو أننا نعلم بالبداهة والضرورة التي لا تحتاج إلىٰ كسب ونظر وتفكر، بل بمجرد تصور مفاهيم معينة نعلم بها فنحكم بحسنها ابتداءً كحُسن العدل وقبح الظلم وحسن إنقاذ الهلكىٰ وقبح الكذب.

وهذه البداهة التصورية للمفاهيم والقدرة علىٰ تحديد حسنها وقبحها هي أمرٌ مركوزٌ في جبلَّة الإنسان الأولية ومع وجدانية وأولية وإدراكية العقل العملي الإنساني لحسن الأشياء وقبحها.

إلّا أنَّ فرقة الأشاعرة[٢] جمَّدت فعالية وإدراكية العقل الإنساني في تعاطيه مع المفاهيم وتصورها والحكم عليها، وزعمت بالتعبَّد بالشرع، وأنَّ الحسن من الأشياء ما حسّنه الشرع والقبيح ما قبَّحه الشرع.

---

١. المعتزلة هي فرقة إسلامية تنتسب إلىٰ واصل بن عطاء، أخذت بتقديم العقل علىٰ النقل، ومن أسمائها القدرية والوعيدية والعدلية، سُموا معتزلة لاعتزال مؤسّسها مجلس الحسن البصري بعد خلافه معه حول حكم الفاسق.

٢. الأشاعرة هي فرقة إسلامية سنّية المذهب تنتسب إلىٰ المتكلم أبي الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٢٤ هـ). ولها مقولات غريبة في بنيتها العقدية كمقولة الجبر وجواز الرؤية وتجسيم الله سبحانه وغيرها كثير.

الرد على مزاعم الأشاعرة:

إنَّ ما تبنته الأشاعرة من تبعية حُسن وقبح الأشياء للشرع هو تبنّنٍ مردودٌ عقلاً، وقد أقامتْ مدرسة الإمامية الحقة الأدلة العقلية المتينة على بطلان ذلك، ومنها:

١ - إنّه لو كان مَدركُ حُسن الأشياء وقبحها هو الشرع لا غير، للَزِمَ أن لا يتحققا (أي الحسن والقبح للأشياء) من دون حكم الشرع في ذلك، فدعوى عدم تحقق الحُسن والقبح للأشياء إدراكاً من لدن العقل العملي الإنساني من دون حكم الشرع باطلة أصلاً، بدليل تحقّق التحسين والتقبيح للأشياء عقلاً في الخارج والواقع الموضوعي بمعزل عن الشرع، حتى عند من لا يؤمنون بالشرائع، هو من مُدركات العقل الإنساني عمليّاً، ولا توقف فيه على حكم الشرع.

٢ - إنّه لو أبطلنا قدرة العقل العملي على إدراك حُسن وقُبح الأشياء بصورة مستقلة عن الشرع لبطلَ وانتفى التحسين والتقبيح الشرعي للأشياء، لأنّه بانتفاء الحسن والقبح العقليين ينتفي الوثوق بحسن ما يخبرنا الشارع بحسنه وقُبح ما يخبرنا بقبحه، فلا انتفاء للتحسين والتقبيح العقليين عمليّاً، لكون العقل وظيفةً تدرك وتتعقّل ما هو حُسن وما هو قبيح سواء أحكم به الشرع أم لم يحكم.

وقد بيّنَ العلّامة الحلّي رحمه الله هذا الوجه بما نصه:

(إنّ الحُسن والقُبح لو ثبتا شرعاً لم يثبتا لا شرعاً ولا عقلاً، وعدم ثبوتهما لا شرعاً ولا عقلاً باطل، ذلك أنّا لو لم نعلم حُسن الأشياء وقُبحها عقلاً لم نحكم بقُبح الكذب فجاز وقوعه حتى من الله تعالى وحاشاه عن ذلك، فإذا أُخبرنا في شيء أنّه قبيح لم نجزم بقبحه عقلاً وإذا أخبرنا في شيء أنّه حسن لم نجزم بحسنه لتجويز الكذب على الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ولجوزنا

أن يأمرنا بالقبيح وأن ينهانا عن الحسن لانتفاء حكمته تعالىٰ على هذا التقدير)[١].

فإذن ينتج من ذلك - أنَّ التحسين والتقبيح للأشياء هو من مُدركات العقل العملي الإنساني، لا من جملة ما يتوقف حكمه علىٰ رأي الشرع توصيفاً وبياناً، كما ذهبتْ إليه فرقة الأشاعرة.

التمهيد الثالث - انبثاق أصل الإمامة وواقع علاقته الجذرية بالعدل الإلهي:

العدل الإلهي دليل عقلي علىٰ إمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه:

إنَّ انبثاق الاعتقاد بأصل الإمامة في مذهب الإمامية الاثني عشرية بالنظر العقلي إنّما يتأتّىٰ من كون نصب الإمام المعصوم المنصوص واجباً عقليّاً علىٰ الله تعالىٰ بمقتضىٰ عدله وحكمته ولطفه، لأنَّ الإمام يُمثّل لطفاً إلهيّاً حَسناً حكيماً ومُحصّلاً للغرض المطلوب، وهو تقريب المكلّفين من الطّاعات وإبعادهم عن المعاصي، فضلاً عن كونه لطفاً في ارتفاع القبيح وفعل الواجب، كما تقدّم.

وعلىٰ هذا الأساس العقلي المتين استدل المحقّق الطوسي رحمه الله (علىٰ وجوب نصب الإمام علىٰ الله تعالىٰ بأنَّ الإمام لطفٌ، واللطف واجبٌ، أما الصغرىٰ - الإمام لطفٌ - فمعلومة للعقلاء، إذ العلم الضروري حاصل بأنَّ العقلاء متىٰ كان لهم رئيس يمنعهم عن التغالب والتهاوش ويصدهم عن المعاصي ويَعدهم علىٰ فعل الطاعات ويَبعثهم علىٰ التناصف والتعادل، كانوا إلىٰ الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد، وهذا أمر ضروري لا يشك فيه العاقل)[٢].

١. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي: ص٤١٨، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة السابعة المنقحة.

٢. كشف المراد في تجريد الاعتقاد، العلّامة الحلّي: ص٤٩٠، ط١٥، منشورات جماعة المدرّسين في قم المقدّسة.

ومرَّ آنفاً أنَّ المراد بالعدل الإلهي في المنظور العقدي والعقلي أنّه سبحانه لا يفعل القبيح ولا يخلّ بالواجب، والقبيح هو كلُّ فعلٍ لا ينبغي فعله بحكم إدراك العقل، كالكذب والظلم وبقية المنكرات، وأمّا عدم الإخلال الواجب بالنسبة لله تعالىٰ فهو من حيث إنّه جلّ وعلا قد خلق الخلق وكلَّفهم بتكاليف شرعية فيجب عليه أن يبعث إليهم نبيّاً من عنده أو ينصب لهم إماماً منصوصاً ومُسمّىٰ من لدنه، ليعلّمهم هذه التكاليف، ويهديهم إلىٰ الصراط المستقيم، والقرآن الكريم قد صرّح بهذا اللطف الإلهي الحسن، وعبّر عنه بالمِنّة، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

ومن المعلوم في علم الكلام والاعتقاد أنَّ دليل وجوب بعثة الأنبياء يعطي عمومية الوجوب في كلِّ وقت، بحيث لا يجوز خلو الزمان من شرع نبيّ، فينزاح هذا الوجوب العقلي الاعتقادي بعمومه ليشمل مورد وجوب وجود الإمام المعصوم في كلّ وقتٍ أيضاً بمقتضىٰ عدل الله تعالىٰ وحكمته، وهذا ما قرّره الشيخ المفيد في كتابه النكت الاعتقادية، حيث قال: (حكمة الله تعالىٰ تقتضي نصب الإمام وتوجبه)[1]، وذلك لتحقيق الغرض بالزجر عن القبائح والمحرّمات والحثّ علىٰ الطاعات والواجبات، وهذا هو اللطف الإلهي بعينه بياناً وتحققاً.

وإنَّ العقل عندنا يحكم بعدل الله سبحانه وتحقّقه وفق أسس التحسين والتقبيح العقليين، ممّا يقتضي عدله (جلّ وعلا) عدم الإهمال الإلهي في رعاية الخلق وهدايتهم أو الإجمال في التكاليف أو الإخلال بالواجب، وهو ما ثبت تنزّهه عنه تعالىٰ بوصفه الخالق الحكيم، الذي لا ينقض أغراضه العائدة إلىٰ

١. النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ص٣٩، ط ٢، ١٤١٤هـ دار المفيد.

العباد في حسنها ونفعها وحكمتها ومعطياتها، ونقض الأغراض محالٌ على الحكيم، فيجب أن يلطف بعباده ببعثة نبيٍّ أو بنصبِ إمام معصوم في كلّ وقت وزمان.

وللشيخ الطوسي كلامٌ متين وقيّم في هذا الانبثاق والترابط العقدي بين أصل الإمامة وعدل الله سبحانه ولطفه، ما نصّه:

(ومَن هو معصوم مأمون منه القبيح وترك الواجب لا يحتاج إلىٰ إمام يكون لطفاً له في ذلك، وإن احتاج إليه من وجوه أُخَر، نحو أخذ معالم الدين عنه وغير ذلك، واللطف في الحقيقة هو تصرّف الإمام وأمره ونهيه وتأديبه، فإن حصل انزاحت به العلة، وحُسن التكليف وإن لم يحصل بأمر يرجع إلىٰ المكلّفين لا يجب سقوط التكليف عنهم، لأنهم يؤتون في ذلك من قبل نفوسهم لا من قبل خالقهم. وإنّما يجب علىٰ الله تعالىٰ خَلق الإمام وإيجابه علينا طاعته ليتمكن من التصرّف، فإذا لم يمكّنه لم يجب سقوط التكليف عنّا، لأنّا نكون أتينا من قبل نفوسنا، فإذا ثبتت هذه الجملة فلا يلزم إذا كان الإمام غائباً - في إشارة إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف - أن يسقط التكليف عنا، لأنّا أتينا من قبل نفوسنا بأن أخفناه وأحوجناه إلىٰ الاستتار، ولو أطعناه ومكّناه لظهر وتصرف فحصل اللطف)[1].

وأمّا في المنظور النقلي فأصل إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ومنهم إمامة الإمام المهدي الموعود، الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف معلوم من النقل المتواتر القطعي الدال علىٰ إمامتهم والنص عليهم إماماً إماماً، ولوجوب عصمتهم وثبوتها لهم نصّاً وإخباراً ولانتفائها عن غيرهم، ولوجود الكمالات فيهم، كما هو مقرّر في كتب علم الاعتقاد ومباني علماء الكلام والعقيدة في مذهب الإمامية الاثني عشرية.

١. الاقتصاد الهادي إلىٰ طريق الرشاد، الشيخ الطوسي، ص١٨٥، ط، قم المقدّسة، ١٤٤٠هـ.

وإنَّ غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه واستتاره لا تنافي عدل الله سبحانه وحكمته ولطفه بالمكلّفين، كما حاول المشكّكون والمخالفون إثارة هذه الشبهة، وقد ردّ على هذه الشبهة الشيخ المفيد (طاب ثراه)، بما نصّه (فإن قيل: قد تقدّم أنَّ الإمامة لطف واللطف واجب على الله تعالىٰ، فإذا كان الإمام مستتراً كان الله تعالىٰ مُخِلًّا بالواجب - تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً -.

فالجواب: اللطف الواجب على الله تعالىٰ في الإمام هو نصبه وتكليفه بالإمامة، والله تعالىٰ قد فعل ذلك فلم يكن مُخِلًّا بالواجب وإنّما الإخلال بالواجب من قبل الرعية فإنّهم يجب عليهم أن يتابعوه ويمتثلوا أوامره ونواهيه ويمكّنوه من أنفسهم، فحيث لم يفعلوا ذلك كانوا مُخلّين بالواجب فهلاكهم من قبل أنفسهم)[1].

وكذلك أيضاً قد دفعها الشيخ الطوسي (طاب ثراه) في كتابه الاقتصاد، بما ذكر وقال: (والفرق بين الاستتار وظهور آبائه عليهم السلام، لم يكن المعلوم من حالهم أنَّهم يقومون بالأمر ويزيلون الدول ويظهرون بالسيف ويقومون بالعدل ويميتون الجور، وصاحب الزمان بالعكس من ذلك، ولهذا يكون مطلوباً مرموقاً، والأولون ليسوا كذلك، على أنّ آباءه ظهروا لأنّه كان المعلوم أنّهم لو قتلوا لكان هناك مَن يقوم مقامهم ويسدّ مسدهم، وليس كذلك صاحب الزمان، لأنَّ المعلوم أنّه لو هلك لم يكن هناك مَن يقوم مقامه ولا يسدّ مسده، فبانَ الفرق بينهما، وطول غيبة الإمام كقصرها، فإنّه ما دامت العلّة الموجبة حاصلة فإنّه مُستترٌ إلىٰ أن يعلم الله تعالىٰ زوال العلة، فيعلم ذلك بما وقفه عليه آباؤه من الوقت المعلوم، بالأمارات اللائحة للنصر، وغلبة الظن يقوم مقام

١. النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ص٤٥، ط ٢، ١٤١٤هـ دار المفيد.

العلم في ذلك، وخاصة إذا قيل لك: إذا ظهرت لك أمارات النصر فاعلم أنَّه وقت الخروج وكل ذلك جائز)[١].

التمهيد الرابع: التوصيف الروائي المعتبر للإمام المهدي عجل الله فرجه بالعَدل المُنتَظَر والمُدّخَر ومحقّق العدل الإلهي وناشره - الخصوصية والتكليف والدلالات:

إنَّ المُستظهَر وبصورة التواتر الإجمالي والمعنوي من مجمل الروايات الصحيحة والمعتبرة، والتي تناولت البعد العقدي في قضية الإمام المهدي هو أنّه عجل الله فرجه له خصوصية مميَّزَة وفريدة في التكليف والوظيفة، وهي تحقيق العدل الإلهي والقسط الشامل في الأرض قاطبةً والقضاء علىٰ الظلم والفساد، وتكاد تكون هذه الخصوصية هي الأكثر تناولاً في أوّل مهامه وواجباته، بحيث وردت له توصيفات كثيرة ومتعدّدة تؤكّد هذه الحقيقة الشأنية والوظيفة العملية.

ونذكر هنا طائفةً من الروايات المعتبرة، والتي منها ما هو صحيح سنداً ومتناً.

الرواية الأولىٰ: وهي رواية صحيحة[٢] رواها الكميت بن أبي المستهل عن الإمام محمّد الباقر، أنّه قال عليه السلام: «يا أبا المستهل إنَّ قائمنا هو التاسع مِن ولد الحُسين، لأنَّ الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر، وهو القائم»، قلتُ: يا سيّدي فمَن هؤلاءِ الاثنا عشر؟ قال: «أوّلهم عليُّ بن أبي طالب، وبعده الحسن والحسين، وبعد الحسين علي بن الحسين، وأنا، ثم بعدي هذا ووضع يده علىٰ كتف جعفر»، قلتُ: فمَن بعد هذا؟ قال: «ابنه موسىٰ، وبعد موسىٰ ابنه علي، وبعد علي ابنه محمد، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن،

١. الاقتصاد الهادي إلىٰ طريق الرشاد، الشيخ الطوسي، ص٢٣٤، ط، قم المقدّسة، ١٤٤٠هـ.

٢. مقتضىٰ الأمانة العلمية أنَّ تحقيق صحة هذه الرواية الأولىٰ والثانية التي سنذكرها منسوب إلىٰ الشيخ نزار آل سنبل القطيفي في كتابه (معالم مهدوية) ص٤٥، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٨هـ، تحقيق مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه. فليراجع.

وهو أبو القائم الذي يخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، ويشفي صدور شيعتنا»، قلتُ: فمتىٰ يخرج يا بن رسول الله؟ قال: «لقد سُئِل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال: إنّما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلّا بغتة»[1].

وفي هذه الرواية الصحيحة نلحظ فقرة «فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً» علىٰ أنّها الخصوصية الفريدة التي تميّز بها الإمام المهدي عجل الله فرجه من بين مجموع الأئمة الاثني عشر عليهم السلام والذين لم نلحظ لهم هذه الخصوصية، وكما ذكر الشيخ الطوسي آنفاً (لم يكن المعلوم من حالهم أنّهم يقومون بالأمر ويزيلون الدول ويظهرون بالسيف ويقومون بالعدل ويميتون الجور، وصاحب الزمان بالعكس من ذلك).

ووفق المُعطىٰ الدلالي اليقيني لهذه الرواية الصحيحة أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه هو الذي سيكون مَظهَراً لعدل الله تعالىٰ ومُظهِراً له في الأرض قاطبةً، ممّا يؤكّد هذا المعنىٰ المكين قوّة وواقعية الترابط العقدي والوظيفي بين عدل الله سبحانه وفعلية تنجّزه بنصبه إمام العصر والزمان وتمكينه من بسط العدل والقسط لا محالة في وقت الظهور والقيام.

الرواية الثانية: وهي صحيحةٌ أيضاً عن النزال بن سبرة، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه أمر الدجال ويقول في آخره: «لا تسألوني عمّا يكون بعد هذا، فإنّه عهد إليَّ حبيبي، أن لا أخبر به غير عترتي»، قال النزال بن سبرة: فقلت لصعصعة بن صوحان: ما عنىٰ أمير المؤمنين بهذا القول؟ فقال صعصعة:

يا بن سبرة إنَّ الذي يصلي عيسىٰ بن مريم خلفه هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن علي عليهما السلام، وهو الشمس الطالعة من مغربها، يظهر عند الركن والمقام، فيطهر الأرضَ ويضع الميزان بالقسط فلا يظلم أحدُ أحداً،

١. كفاية الأثر في النصّ علىٰ الأئمة الاثني عشر، الخزاز القمي، ص٢٥٠، ط، قم المقدسة، ١٤٠١هـ.

فأخبر أمير المؤمنين عليه السلام، أنَّ حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليه أن لا يخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الأئمة[١].

وهذه الرواية الصحيحة أيضاً أخذت فقرة (فيطهر الأرضَ ويضعَ الميزانَ بالقسط فلا يَظلم أحدُ أحداً) والقيام بالقسط وتطهير الأرض من الظلم والفساد وظيفةً وخصوصية فريدةً للإمام المهدي عجل الله فرجه، فتقدّم هذه التوصيفات الدقيقة تكفّلاً يقينيّاً من المعصومين عليهم السلام بحقيقة هذا الترابط العقدي بين أصل العدل الإلهي وتنجّزه وفعليّته وتحقّقه على يد الإمام المهدي عجل الله فرجه ممّا يستدعي الإذعان والتسليم بذلك.

الرواية الثالثة: عن الأصبغ بن نباتة، قال: أتيتَ أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام ذات يوم فوجدته مُفكّراً ينكت في الأرض، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، تنكتَ في الأرض أرغبة منك فيها؟ فقال: «لا، والله ما رغبتُ فيها ولا في الدنيا ساعة قط، ولكن فِكري في مولود يكون من ظهري، الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً، تكون له حيرة وغيبة يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون»، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، فكم تكون تلك الحيرة والغيبة؟ فقال: «ستٌ من الدهر».

فقلتُ: إنَّ هذا لكائن؟ فقال: «نعم، كما أنّه مخلوق». قلتُ: أدركُ ذلك الزمان؟ فقال: «أنّىٰ لكَ يا أصبغ بهذا الأمر؟ أولئك خيار هذه الأمة مع أبرار هذه العترة»، فقلتُ: ثم ماذا يكون بعد ذلك؟ قال: «ثم يفعل الله ما يشاء، فإنَّ له إرادات وغايات ونهايات»[٢].

---

١. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص٧٨، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة – إيران.

٢. الغيبة، النعماني، ص٦٩، ط ١، منشورات أنوار الهدىٰ إيران – قم المقدسة.

إنَّ هذه الرواية هي الأخرىٰ تأخذ خصوصية نشر القسط والعدل وبسطه وإزالة الظلم والجور ودفعه ليتميّز بها الإمام المهدي عليه السلام علىٰ نحو الفرادة من مجموع الأئمة المعصومين عليهم السلام وكوظيفة إلهية ادُّخِر لها بمقتضىٰ إرادة الله تعالىٰ وحكمته وعدله، والتعليل الأخير في ذيل هذه الرواية «ثم يفعل الله ما يشاء، فإنَّ له إراداتٍ وغاياتٍ ونهاياتٍ» يكشف كشفاً إنيّاً عن واقعية الارتباط والترابط العقدي والفعلي بين إمامته عليه السلام وعدل الله سبحانه وإرادته وتقديره وحكمته.

رابعاً: وهو ما ورد في ضمن دعاء الافتتاح[1] من فقرة «وَالعَدْلِ المُنْتَظَر»: «اَللّٰهُمَّ وَصَلِّ عَلىٰ وَلِيِّ أَمْرِكَ القائِمِ المُؤَمَّلِ، وَالعَدْلِ المُنْتَظَرِ، وَحُفَّهُ بِمَلائِكَتِكَ المُقَرَّبينَ، وأَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ يا رَبَّ العالَمينَ، اَللّٰهُمَّ اجْعَلْهُ الدّاعِيَ إِلىٰ كِتابِكَ، وَالقائِمَ بِدينِكَ، اِسْتَخْلِفْهُ في الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفْتَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكِّنْ لَهُ دينَهُ الَّذي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ اَمْناً، يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً،

---

١. دعاء الافتتاح هو من الأدعية المُعتبرة والمشهورة في المجاميع الروائية؛ فقد ذكره الشيخ الطوسي في كتابه (تهذيب الأحكام) والسيد ابن طاووس الحسيني في كتابه (إقبال الأعمال) ونقله المحدّث الجليل الثقة الشيخ عباس القمّي في كتابه (مفاتيح الجنان).

وهو علىٰ النحو الآتي: عن محمد بن أبي قرة بإسناده، قال: حدثني أبو الغنائم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الحسني، قال: أخبرنا أبو عمرو محمد بن محمد بن نصر السكوني رحمه الله، قال: سألت أبا بكر أحمد بن محمد بن عثمان البغدادي رحمه الله، أن يُخرِج إليّ أدعيةَ شهر رمضان، التي كان عمّه أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه وأرضاه يدعو بها، وهو قد أخذها عن الإمام المهدي عليه السلام باعتباره سفيراً شرعياً عنه، فأخرجَ إليَّ دفتراً مجلداً بأحمر، فنسخت منه أدعية كثيرة، وكان من جملتها: ... وتدعو بهذا الدعاء أي: دعاء الافتتاح في كل ليلة من شهر رمضان؛ فإنَّ الدعاء في هذا الشهر تسمعه الملائكة وتستغفر لصاحبه، وهو: «اللّهم إنّي أفتتح الثناء بحمدك وأنت مسدّد للصواب بمنّك، وأيقنت أنك أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة، وأعظم المتجبّرين في موضع الكبرياء والعظمة...» يُنظر: ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، المجلسي، ج٥، ص١٢٣، نشر مكتبة آية الله المرعشي - قم المقدسة.

اَللّٰهُمَّ اَعِزَّهُ وَاَعْزِزْ بِهِ، وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ، وَانْصُرْهُ نَصْراً عَزِيزاً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً، اَللّٰهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ، وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتّىٰ لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيءٍ مِنَ الحَقِّ، مَخافَةَ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ»[١].

وفقرة «العَدلُ المُنتَظَر» هذه تنص علىٰ توصيف الإمام المهدي عجل الله فرجه بحقيقة العدل المُنتَظَر تحقيقه وتطبيقه، ومعلومٌ عند أهل البلاغة والبيان أنّ توصيف الذات بصيغة المصدر (العدل)، لهو أبلغ وأعمق دلالةً وإفادةً من توصيفه بصيغة اسم الفاعل (عادل)، وهذا التوصيف يأتي عن استحقاق واقعي وقابلية ذاتية للموصوف، وهو الإمام المهدي الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، مثلما مُلِئَت ظلماً وجوراً، فصيغة المصدر (العدل) فيها من الإطلاق[٢]، ما يشمل ويؤكّد ذلك الترابط العقدي والفعلي بين العدل الإلهي وحكمة نصب الإمام المهدي وادّخاره لهذه الوظيفة المُرتَقَبة الكبيرة والعامّة، وهذا المعنىٰ لا تتوفر عليه صيغة اسم الفاعل (عادل).

ومن هنا فإنَّ تحدّد وصف الإمام المهدي بـ(العدل المُنتَظر) يشير إلىٰ معنيين أساسيين ومهمين هما:

١- ضرورة انتظار شخص الإمام المهدي المُنتَظَر الموصوف بالعَدل.

٢- انتظار تطبيق العَدل الإلهي الموعود وتحققه علىٰ يد الإمام المهدي واقعاً، وكلا المعنيين يرجع روحاً ومعنىً إلىٰ حقيقة واحدة، وهي أنَّ الإمام المهدي هو من سيكون مَظهَراً ومُظهِراً لعدل الله سبحانه في أرضه قاطبةً.

وبعد تقديم هذه التمهيدات الأربعة، والتي أجملنا فيها ما وقع من تفصيلات كلامية وعقلية وروائية وتحليلية، تُطلَب من مظانّها في بيان مفهوم

١. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص٥٨٠، الطبعة الأولىٰ،١٤١١ هـ، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان.

٢. يَحمل مصدر الكلمة (العدل) كلّ جوانب المفهوم المجرد وحيثياته، فهو أصل لكل الاشتقاقات، ومن ثم فمنه تُستمد المباني والمعاني الزائدة.

عدل الله تبارك وتعالىٰ وحكمته ولطفه ومناطات ارتباط أصل الإمامة الواجبة به وأغراضه سبحانه منها في تحقيق العدل والقسط وإزالة الظلم والجور والفساد.

يقع الكلام والبحث تفصيلاً في محورين أساسيين يشتملان علىٰ مطالب ضمنية تعالج الإشكالات المُدّعاة علىٰ منافاة عدل الله وحكمته مع وقوع الشرور والظلم والنقائص والعاهات والبلاء والكوارث وما شابه في هذه الحياة الدنيا، ودور الإمام المهدي عليه السلام وولايته التكوينية في دفع ذلك ومعالجته وبعض التحليلات والمُكتسبات والمعطيات.

المحور الأوّل - ويشتمل علىٰ مطلبين:

المطلب الأوّل: وجود الشرور في عالم الحياة الدنيا - المفهوم والإشكاليات والتقييم:

المطلب الثاني: نماذج من معالجات الأنبياء للشرور - المصاديق والمعطيات:

المطلب الأوّل: وجود الشرور في عالم الحياة الدنيا - المفهوم والإشكاليات والتقييم:

من المعلوم لغةً أنَّ (الشرّ خلاف الخير، وهو السوء والفساد، ومنه الشرر، وهو ما تطاير من النار، ومفردها شررة)[١].

وأيضاً في المعنىٰ الاصطلاحي لا يختلف مفهوم الشر عن معناه اللغوي، وقد عبّر العلماء عن اصطلاح الشر بقولهم: (هو عدم ملائمة الشيء الطبع)[٢].

وعلىٰ أساس ذلك يشمل مفهوم الشرّ كلّ مصاديق السوء والفساد والمُنفّرات والرذائل والبلايا، وكلّ ما يُستَهجن ويُذَمَّ.

١. مختار الصحاح، الرازي ص٣٥٤.

٢. التعريفات، الجرجاني ص١٠٩.

وأمّا في البحث الفلسفي والحكمي فطُرِحَت مسألة الشرور علىٰ أنّ وجودها يُشكّل خللاً ومنافاة في نظام التكوين والصنع والعدل الإلهي والحكمة.

وقد عرض الشيخ جعفر السبحاني هذه المنافاة والاستفهامات قائلاً بما نصّه: (إنَّ مسألة البلايا والمصائب والشرور من المسائل المشهورة الذائعة الصيت في الحكمة الإلهية، ولها صلة بالمباحث التالية:

١ - إذا كان الدليل علىٰ وجود الخالق المُدبّر هو النظام السائد في الكون، فكيف يُفسّر وجود بعض الظواهر غير المتوازنة العاصية عن النظام، كالزلازل والسيول والطوفانات، فإنّها من أبرز الأدلة علىٰ عدم النظام.

٢ - لو كان الصانع تعالىٰ حكيماً في فعله، مُتقناً في عمله واضعاً كلَّ شيء في محلّه، مُنزّهاً فعله عما لا ينبغي، فكيف تُفسّر هذه الحوادث التي لا تنطبق مع الحكمة، سواءٌ أفُسّرت بمن يصنع الأشياء المتقنة أو من يكون فعله منزها عمّا لا ينبغي.

٣ - إذا كان الخالق عادلاً وقائماً بالقسط، فكيف يجتمع عدله سبحانه مع هذه الحوادث التي تبتلع النفوس البريئة في آنٍ واحدٍ، وتخرب الديار وتدمرها، إلىٰ غير ذلك)[1].

تفكيك هذه الإشكالات الثلاثة وتقييمها:

إنَّ من المؤكّد عقلاً ومنطقاً أنَّ فَهم وقوع الحوادث الكونية أو الأرضية بصورة صحيحة وموضوعية ينبغي أن لا ينطلق من حكم الإنسان وفق معاييره النفسية ومصالحه الشخصية وبمعزل عن مصلحة النظام العام في الكون والحياة والجوانب الأخرىٰ والأغراض التي تُلحَظ علىٰ أنّها مُنتظمة

١. الإلهيّات، الشيخ جعفر السبحاني، ص٢٧٤، نشر - الدار الإسلامية - مصدر سابق.

وحكيمة وهادفة تبعاً لسلسلة العلل والمعلولات والأسباب والمُسبّبات، التي يجري عليها نظام الكون والوجود معاً.

ونكتفي بتقييم هذه الإشكالات والاستفهامات بتبويب الشيخ جعفر السبحاني لها تحليلاً وتوجيهاً، حيث ذكر في معرض الإجابة:

(إنَّ وصف الظواهر المذكورة بأنَّها شاذة عن النظام، وأنَّها شرور لا تجتمع مع النظام السائد علىٰ العالم أوّلاً، وحكمته سبحانه بالمعنىٰ الأعم ثانياً، وعدله وقسطه ثالثاً، ينبع من نظرة الإنسان إلىٰ الكون من خلال نفسه، ومصالحها، وجعلها محوراً وملاكاً لتقييم هذه الأمور، فعندما ينظر إلىٰ الحوادث ويرىٰ أنّها تعود علىٰ شخصه وذويه بالإضرار، ينبري من فوره إلىٰ وصفها بالشرور والآفات، وما هذا إلّا لأنّه يتوجّه إلىٰ هذه الظواهر من منظار خاص ويتجاهل غير نفسه في العالم، من غير فرق بين مَن مضىٰ مِن غابر الزمان ومَن يعيش في الحاضر في مناطق العالم أو سوف يأتي ويعيش فيها.

ففي النظرة الأولىٰ تتجلىٰ تلك الحوادث شرّاً وبليةً، ولكن هذه الحوادث في الوقت نفسه وبنظرةٍ ثانيةٍ تنقلب إلىٰ الخير والصلاح وتكتسي خِلَع الحكمة والعدل والنظم...

لأنَّ الحوادث حلقات مترابطة متسلسلة في سلسلة ممتدة، فما يقع الآن منها يرتبط بما وقع في أعماق الماضي وبما سيقع في المستقبل في سلسلة من العلل والمعاليل والأسباب والمُسبّبات...)[1].

وحقيقة أنَّ الشرَّ أمرٌ نسبي وقياسي مفروغٌ منها بالنظر العقلي الدقيق في مُجريات الحوادث في هذا العالم، وللسيّد الطباطبائي توجيهٌ قيّم لهذه النسبية، نصّه: (ولأن وجود الشرّ أمرٌ نسبي، لا نفسي، فما يتحقق من الشرّ في العالم كالموت والمرض والفقر والنقص وغير ذلك إنّما هو شرٌّ بالنسبة إلىٰ مورده، وأمّا

١. الإلهيّات، الشيخ جعفر السبحاني، ص٢٧٦- ٢٧٧، نشر- الدار الإسلامية.

بالنسبة إلىٰ غيره وخاصة النظام العام الجاري في الكون فهو من الخير الذي لا مناص عنه في التدبير الكلّي، فما كان من الخير فهو مما تعلّقت به بعينه العناية الإلهية، وهو مراد بالذات، وما كان من الشرّ فهو مما تعلّقت به العناية لغيره وهو مُقتضي بالعرض)[1].

وأمّا في النظر القرآني فهناك إثبات نسبة معيّنة تبعاً لدور الإنسان نفسه في التَسبّب في إحداث الشرور والنقص، بل حتىٰ في الإخلال بالنظام الحياتي الآمن والعادل والصالح ومساحات الخير الكبيرة فيه، من حيث ارتكابه الذنوب والمعاصي والأخطاء والظلم والفساد والعدوان والتكذيب وغير ذلك، بما يدفع الإشكالات والمنافاة بين وقوع هذه الحوادث وبين عدل الله تعالىٰ وحكمته ولطفه وتدبيره، قال الله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

وأيضاً قد بيّن القرآن الكريم الدور الإيجابي التسبيبي للإنسان في استنزال البركات والخيرات والفيوضات الإلهية لو آمن واتّقىٰ، ولكنّه يتقاعس عن هذا الدور، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).

وفي اعتقادنا أنَّ هذا الدور الإيجابي الصالح منوطٌ في الأصل بوجود الأئمة المعصومين عليهم السلام، ومنهم الإمام المهدي عجل الله فرجه كواسطة من وسائط نزول الفيض الإلهي من البركات والخيرات، وكأمانٍ لأهل الأرض يحفظهم من اختلال النظام، ويدفع عنهم الشرور والبلايا وحتىٰ العذاب، وهذا المعنىٰ أكّدت

١. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج١٣، ص١٨٦، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

عليه الروايات المأثورة في ما رواه الشيخ الثقة الصدوق رضي الله عنه عن الإمام الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمّد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام، قال: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المُحجّلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك اللهُ السماءَ أن تقعَ على الأرض إلّا بإذنه، وبنا يمسك الأرضَ أن تميدَ بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها»، ثم قال: «ولم تخل الأرضُ منذ خلق اللهُ آدمَ من حجّة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعةُ من حجّة الله فيها، ولولا ذلك لم يُعبّد الله»، قال: سليمان، فقلتُ للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع النّاس بالحجّة الغائب المستور؟ قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»[1].

والتاريخ البعيد الذي حكاه القرآن الكريم قصصاً وعِبرَةً هو الآخر يثبت دور الأنبياء عليهم السلام في تأمين نُظم التكوين والتشريع والتدبير والهداية للنّاس أجمعين ومواجهتهم وقدرتهم على دفع الشرور التي تسبّب بها الطغاة والفراعنة والظالمون في أممهم، والتي منها ما واجهه الأنبياء أنفسهم كالطوفان بالنسبة للنبي نوح عليه السلام والحرق بالنسبة للنبي إبراهيم عليه السلام وكذلك بقية الأنبياء من أولي العزم، والّذين سنذكر نماذجَ منهم في المطلب الثاني الآتي وكيفية معالجة الشرور والحوادث التي تخلّ بالنظام وحياة النّاس كافة.

المطلب الثاني: نماذج من معالجات الأنبياء للشرور - المصاديق والمعطيات:

إنَّ وقوع الشرور وحدوثها هو أمر نسبي وقياسي كما تقدّم بيان ذلك،

١. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص٢٠٧، نشر - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.

وأسبابه مختلفة باختلاف المناطات والموارد، فتارة يكون منوطاً بقوانين الكون والوجود القائمة علىٰ الأسباب والمُسبّبات وأخرىٰ يرتبط بتسبّب الإنسان نفسه بإحداث الشرور والكوارث والنواقص والمصائب أو تقصيره في مواجهتها وتلافيها، أو يكون مناط الوقوع هو استحقاق إنزال العذاب بالنّاس العاصين والمعتدين، كما حكىٰ ذلك القرآن الكريم في سوره الشريفة بكثرة.

ولقد ذكر القرآن الكريم نماذجَ من بعض مصاديق الأنبياء عليهم السلام ممّن استحقّ قومهم العذاب.

١ - نموذج قوم نوح ووقوع الطوفان بهم، وتمكّن النبي نوح عليه السلام من انقاذ مَن آمن وركبَ السفينة:

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ وَقالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللهِ مَجْراها وَمُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (هود: ٤٠-٤١).

وهذه القصة الشهيرة المعروفة تاريخيّاً، وهي في أوّل مسيرة الإنسان وتكليفه في الأرض تختزل الإجابات الشافية والردود الكافية للإشكالات المزعومة المُدّعاة بتنافي عدل الله تعالىٰ ولطفه وحكمته مع وقوع الشرور والكوارث وما شاكل، فالله تعالىٰ بقدر ما هو عادل ولطيف هو حكيم أيضاً، ولن يُفوّت أغراضه أو يفعل قبيحاً أو يخلّ بواجبٍ أو يظلم أحداً، وعندما ينزل العقابَ بقومٍ فإنّه ينزله بما يُناسب ذنوبهم واستحقاقهم الفعلي، وذلك لإدامة دورة الحياة وفق نظام الحقّ والعدل والإنصاف ودفع الباطل والظلم والإجحاف.

وأيضاً ليُبيّن للإنسان أنّه لا يُقبل منه الإخلال بنظام الحياة بالانحراف في فكره ووسائله وأهدافه كما يُصنع في الحروب المدمّرة.

وهناك نماذج أخرىٰ لبعض الأنبياء ممّن واجهوا شروراً كونية وبشرية وطبيعية بحكم أسبابها المختلفة، وتمكّنوا من تجاوزها وتخليص مَن آمن بهم منها، كالنبي إبراهيم عليه السلام في مواجهته لقومه ومحاولة إحراقه ومواجهته لشرّ النمرود ودحضه، وكذلك النبي موسىٰ عليه السلام وأدواره المتعدّدة والتي تضمّنت حلقاتٍ في معالجة الشرور الكونية وشرور الفراعنة وشرور قومه، وهكذا النبي عيسىٰ عليه السلام وتوظيف قدراته الربّانية في إحياء الموتىٰ ومعالجة المرضىٰ والعاهات، نعرض عن تفاصيل هذه المصاديق اختصاراً.

٢ - نموذج النبي الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله:

لقد واجه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله شروراً جمّةً، فإن الحروب والقتل بين أبناء قومه ووأد البنات والشرك وغيرها فضلاً عن الشرور الناجمة عن جهل قومه بما في الإسلام من خير وبركة ومحاربتهم له.

إلّا أنّه صلى الله عليه وآله واجه هذه الشرور بالرفق بقومه ومداراتهم وصبره وكظم غيظه، وبالدعاء لهم بالمغفرة والاستغفار لهم، وهذه كلّها تمثّلات لخصوصية الأمان التكويني والتشريعي المجعولة في شخصه العظيم، والتي كان لها أثرها الكبير في مواجهة التحدّيات ومعالجة الشرور وتربية الأمّة وتزكيتها وأخذها إلىٰ جوانب الخير والعدل والحقّ والاستقامة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣)، وهو صلى الله عليه وآله كان يُمثّل الخيرَ في حياته وحتّىٰ بعد وفاته، وعنْ أَبِي عَبْدِ الله الإمام الصادق عليه السلام، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: إِنَّ لَكُمْ فِي حَيَاتِي خَيْراً وفِي مَمَاتِي خَيْراً، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله أَمَّا حَيَاتَكَ فَقَدْ عَلِمْنَا، فَمَا لَنَا فِي وَفَاتِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا فِي حَيَاتِي فَإِنَّ الله عزّ وجلّ قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ وأَمَّا فِي مَمَاتِي فَتُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ»[١].

١. الكافي، الكليني، ج٨، ص٢٥٤، ط٢، طهران.

وهنا يثبت القرآن الكريم الحقيقة الواقعية والخارجية التي تتجلّىٰ بكون المعصوم من نبيّ أو إمام هو بمثابة الأمان والمانع من وقوع العذاب وتدارك الشرور حال الاستحقاق في هذه الأمة.

ولقد استعمل الرسول الأكرم ﷺ جلّ طاقاته وإمكاناته الروحية والتربوية لتجنيب هذه الأمّة من وقوع العذاب بها ودفع الشرور عنها، والعمل علىٰ تربيتها وفق أسلوب الرحمة والرفق والرأفة والعفو والاستغفار والأخلاق والطاعات وتجنّب القبائح والمحرّمات، قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

ولقد حرص عليهم في إزالة كلّ مقتضيات وقوع الشرور بهم كونيّاً إلّا ما كانوا أنفسهم سبباً فيه، كما في بعض شواهد وحوادث وقعت آنذاك.

وإنَّ الاعتقاد بأنَّ النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته المعصومين الأطهار، ومنهم خاتمهم الإمام المهدي عجل الله فرجه يُمثّلون الأمان لأهل الأرض أماناً تكوينيّاً وتشريعيّاً ولطفيّاً أمرٌ صرّح به مُحدّثو ورواة الفريقين من السنّة والشيعة في نقلهم أحاديث الأمان وبطرق كثيرة، وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[1].

وللشيخ لطف الله الصافي الگلبايگاني تعليق في هذا المعنىٰ الاعتقادي المهمّ نذكر مقتطفاتٍ منه - قال: (أقول: روىٰ أحاديث الأمان بطرق كثيرة وألفاظ

١. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص٢٠٥، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.

متقاربة، جمعٌ كثير من أعلام أهل السنة عن أمير المؤمنين علي وأنس وأبي سعيد الخدري وجابر وأبي موسىٰ وابن عباس وسلمة بن الأكوع، لا حاجة هنا إلىٰ إخراج ألفاظها وسرد أسماء مخرجيها أزيد من ذلك، قال ابن حجر: الآية السابعة - يعني من الآيات الواردة في أهل البيت عليهم السلام - قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] أشار صلى الله عليه وآله إلىٰ وجود ذلك المعنىٰ في أهل بيته وأنّهم أمان لأهل الأرض، كما كان هو صلى الله عليه وآله أماناً لهم، وفي ذلك أحاديث كثيرة.

أقول: إنَّ دلالة هذه الأحاديث علىٰ حجية مذاهب أهل البيت عليهم السلام وكونهم أماناً من الاختلاف لعصمتهم، ووجود من يكون أهلاً للتمسّك به منهم في كل زمان إلىٰ قيام الساعة، وأنَّ المراد من أهل البيت الذين هم أمان لأهل الأرض أئمتهم، في غاية الوضوح، فإنّهم لم يختصوا بهذا التشريف من دون الناس إلّا لكونهم معدناً للعلوم النبوية والأحكام الشرعية والفضائل المحمودة، فلابُدّ أن لا يخلو الزمان ممّن يكون منهم موصوفاً بهذه الصفات وأهلاً لأن يكون مُشرّفاً بهذا التشريف، وأماناً لهذه الأمة المرحومة ولجميع أهل الأرض من الزوال والفناء والاختلاف)[1].

المحور الثاني - ويشتمل علىٰ أربعة مطالب، هي:

المطلب الأوّل: ثبوت الولاية التكوينية للإمام المهدي عجل الله فرجه ومدىٰ قدرته علىٰ معالجة الشرور والنواقص والعاهات:

المطلب الثاني: لماذا لا تتجلّىٰ آثار الولاية التكوينية حسّاً للإمام المهدي عجل الله فرجه في حماية شيعته والمؤمنين به من وقوع البلايا والشرور في عصر الغيبة الكبرىٰ؟

١. أمان الأمّة من الضلال والاختلاف، الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني، ص١٧٣، الطبعة الأولىٰ، المطبعة العلمية - قم ١٣٩٧ - هـ.

المطلب الثالث: نظرية الأعواض في التفسير الاعتقادي ومعالجتها لإشكالية الشرور والنواقص والآلام وتحمّلها وعلاقتها بالعدل الإلهي وحكمته ولطفه.

المطلب الرابع: المُعطيات العقائدية والمُكتسبات العبادية والتربوية والنفسية والاجتماعية والأخروية من وقوع الشرور ومواجهتها.

المطلب الأوّل: ثبوت الولاية التكوينية للإمام المهدي عجل الله فرجه ومدىٰ قدرته علىٰ معالجة الشرور والنواقص والعاهات:

الولاية التكوينية هي أن يتمكّن الإمام المعصوم عليه السلام من التصرّف في العَالَم بإذن الله تبارك وتعالىٰ وحوله وقوّته، كما ثبت ذلك من قبل للأنبياء عليهم السلام كموسىٰ وعيسىٰ وغيرهما، ليُمثّل بذلك تجلّياً لقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).

وفي منظومتنا الاعتقادية اليقينية أنَّها ثبتت للأئمة المعصومين عليهم السلام، ومن نماذجها الظاهرية حادثة ردّ الشمس الشهيرة للإمام علي عليه السلام، وكذا أعملها بقية الأئمة الأطهار عليهم السلام في وقائع معروفة مذكورة في مظانها، فالإمام المعصوم عليه السلام، وأعني هنا في مقام البحث مصداقاً الإمام المهدي عجل الله فرجه هو واسطة فيض الوجود والخير والبركات والكمال بين الله سبحانه وخَلقه، وعندنا في المأثور الصحيح والمعتبر ما يُثبت الولاية التكوينية له عليه السلام، كما ورد في دعاء الندبة المشهور «أين السببُ المتّصل بين الأرض والسماء»[1]، وكذلك

١. إقبال الأعمال، السيّد ابن طاووس، ج١، ص٥٠٩، ط١، قم المقدّسة.

ما ورد عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال: «لَوْ أَنَّ الإِمَامَ رُفِعَ مِنَ الأَرْضِ سَاعَةً لَمَاجَتْ بِأَهْلِهَا كَمَا يَمُوجُ البَحْرُ بِأَهْلِه»[١].

وأيضاً ما ورد في التوقيع الشريف المعروف عن صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه: «وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء...»[٢].

وقد بيّنَ علماء الكلام والفقه في مذهبنا الإمامي الاثني عشر هذا الثابت الاعتقادي الديني في مجمل أبحاثهم الكلامية والفقهية والتفسيرية، وقد ذكر الشيخ النائيني (طاب ثراه) ما نصّه: (فاعلم أنَّ - الولاية التكوينية التي هي عبارة عن تسخير المكوّنات تحت إرادتهم ومشيتهم بحول الله وقوته، كما ورد في زيارة الحجّة (أرواحنا له الفداء)، بأنّه ما من شيءٍ إلّا وأنتم له السبب، وذلك لكونهم عليهم السلام مظاهر أسمائه وصفاته تعالىٰ، فيكون فعلهم فعله وقولهم قوله، وهذه المرتبة من الولاية مختصة بهم، وليست قابلة للإعطاء إلىٰ غيرهم، لكونها من مقتضيات ذواتهم النورية ونفوسهم المقدّسة، التي لا يبلغ إلىٰ دون مرتبتها مَبلغ)[٣].

وأشار إليها السيّد الخوئي (طاب ثراه) علىٰ نحو الاختصار في بيان بحثه عن ولاية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام، فقال: (فالظاهر أنَّه لا شبهة في ولايتهم علىٰ المخلوق بأجمعهم، كما يظهر من الأخبار، لكونهم واسطةً في الإيجاد، وبهم الوجود، وهم السبب في الخَلق، إذ لولاهم لما خَلق الناس كلهم، وإنّما خلقوا لأجلهم، وبهم وجودهم، وهم الواسطة في الإفاضة، بل

١. الكافي، الكليني، ج١، ص١٧٩، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص٤٨٥، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران.

٣. كتاب المكاسب والبيع، تقرير بحث النائيني، محمد تقي الآملي، ج٢، ص٣٣٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق، فهذه الولاية نحو ولاية الله تعالىٰ على الخلق ولاية إيجادية)[١].

وللسيّد كاظم الحائري بيان لطيف في توضيح معنىٰ الولاية التكوينية الثابتة للمعصومين عليهم السلام والمُسَلّمة طبق المفهوم الروائي، ونصّه: (فمجموع هذه الروايات - الدالة علىٰ ثبوت الولاية التكوينية للأئمة المعصومين - لا شكّ في أنّها تعطي معنىٰ مُسَلّماً عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو أنّ قيام العالم ووجود العالم وسبب الحياة في العالم كلّه مرتبط بالإمام المعصوم، ولولاه لما كان شيء من هذا القبيل)[٢].

هذا في ما يتعلّق ببيان مفهوم الولاية التكوينية وثبوتها للأئمة المعصومين وقائمهم وخاتمهم الإمام المهدي عليهم السلام.

وأمّا في ما يتعلّق بخصوص مدىٰ قدرة الإمام المهدي عجل الله فرجه في توظيف هذه الولاية التكوينية الخاصّة به في دفع الشرور التي يمكن أن تقع علىٰ أتباعه ومواليه وأمته، سواء أكانت شروراً كونية أم شروراً بشرية، فالثابت اعتقاداً في الروايات المعتبرة إمكان ذلك ووقوعه حتىٰ في زمن غيبته الكبرىٰ، فضلاً عن عصر ظهوره وقيامه الشريف يقيناً.

عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال: دخلتُ علىٰ أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، وأنا أريد أن أسأله عن الخلف [من] بعده، فقال لي مُبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق، إنَّ الله تبارك وتعالىٰ لم يخل الأرضَ منذ خلق آدم عليه السلام، ولا يخليها إلىٰ أن تقوم الساعة من حجّة لله علىٰ خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه يُنزل الغيث، وبه يُخرج بركات الأرض».

١. مصباح الفقاهة، السيّد الخوئي: ج٣، ص٢٨٠، منشورات مكتبة الداوري، قم، إيران.
٢. الإمامة وقيادة المجتمع، السيّد كاظم الحائري، ص١٥٣، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٦ هـ ق / ١٩٩٥م.

قال: فقلتُ له: يا بن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام، مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلىٰ عاتقه غلام، كان وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال:

«يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك علىٰ الله عزّ وجلّ وعلىٰ حججه ما عرضتُ عليك ابني هذا، إنّه سَمي رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنيه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئَت جوراً وظلماً»[1]، ولفظة «به يدفع البلاء عن أهل الأرض» تختصر الإجابة الشافية عن حقيقة قدرته وولايته ورعايته عجل الله فرجه للمؤمنين به والمُنتَظِرين له.

وفي رواية أخرىٰ تُثبِت دوره عجل الله فرجه في دفع البلاء عن شيعته خاصةً، عن إبراهيم بن محمد العلوي قال: حدثني طريف أبو نصر، قال: دخلتُ علىٰ صاحب الزمان عجل الله فرجه، فقال: «عليَّ بالصندل الأحمر فأتيته به»، ثم قال: «أتعرفني»؟ قلتُ: نعم، فقال: «مَن أنا»؟ فقلتُ: أنت سيّدي وابن سيّدي، فقال: «ليس عن هذا سألتك»، قال طريف: فقلتُ: جعلني الله فداك فبيّن لي، قال: «أنا خاتم الأوصياء، وبي يدفع الله عزّ وجلّ البلاءَ عن أهلي وشيعتي»[2].

ولربّما يَتصوّر مُتصوّر ما أنَّ معنىٰ الولاية التكونية هنا يقتصر علىٰ دعاء الإمام المهدي عجل الله فرجه، خاصةً وهو في طور الغيبة الكبرىٰ، فكيف يكون سبباً مباشراً لدفع البلاء والشرور والأخطار عن أمّته وشيعته، وهو غير منظور الوجود حسّاً وعياناً؟ وفي هذه الرواية المعتبرة ما يدل علىٰ حضوره الفعلي

١. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص٣٨٣، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص٤٤١، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران.

في التأثير والتدبير ومعالجة الحوادث دون أن يلتفت إليه أحد أو أن يعرفه، عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام، يَقُولُ: «إِنَّ فِي صَاحِبِ هَذَا الأَمْرِ شَبَهاً مِنْ يُوسُفَ عليه السلام»، قَالَ: قُلْتُ لَه: كَأَنَّكَ تَذْكُرُه حَيَاتَه أَوْ غَيْبَتَه، قَالَ: فَقَالَ لِي: «ومَا يُنْكَرُ مِنْ ذَلِكَ هَذِه الأُمَّةُ أَشْبَاه الخَنَازِيرِ - إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ عليه السلام، كَانُوا أَسْبَاطاً أَوْلَادَ الأَنْبِيَاءِ تَاجَرُوا يُوسُفَ وبَايَعُوه وخَاطَبُوه وهُمْ إِخْوَتُه وهُوَ أَخُوهُمْ فَلَمْ يَعْرِفُوه، حَتَّىٰ قَالَ: أَنَا يُوسُفُ وهَذَا أَخِي فَمَا تُنْكِرُ هَذِه الأُمَّةُ المَلْعُونَةُ أَنْ يَفْعَلَ الله عزّ وجلّ بِحُجَّتِه فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ كَمَا فَعَلَ بِيُوسُفَ إِنَّ يُوسُفَ عليه السلام، كَانَ إِلَيْه مُلْكُ مِصْرَ وكَانَ بَيْنَه وبَيْنَ وَالِدِه مَسِيرَةُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْماً، فَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُعْلِمَه لَقَدَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ لَقَدْ سَارَ يَعْقُوبُ عليه السلام، ووُلْدُه عِنْدَ البِشَارَةِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ مِنْ بَدْوِهِمْ إِلَىٰ مِصْرَ، فَمَا تُنْكِرُ هَذِه الأُمَّةُ أَنْ يَفْعَلَ الله جَلَّ وعَزَّ بِحُجَّتِه كَمَا فَعَلَ بِيُوسُفَ أَنْ يَمْشِيَ فِي أَسْوَاقِهِمْ ويَطَأَ بُسُطَهُمْ حَتَّىٰ يَأْذَنَ الله فِي ذَلِكَ لَه كَمَا أَذِنَ لِيُوسُفَ، قَالُوا: أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ، قَالَ: أَنَا يُوسُفُ»[1].

وإنَّ حضوره الفعلي في التأثير والتدبير ودفع البلاء والشرور أمرٌ ممكن وجائز وغير مُستبعد رغم غيبته الكبرىٰ.

المطلب الثاني: لماذا لا تتجلّىٰ آثار الولاية التكوينية حسّاً للإمام المهدي عجل الله فرجه في حماية شيعته والمؤمنين به من وقوع البلايا والشرور في عصر الغيبة الكبرىٰ؟

لقد تقدّم في تمهيدات البحث أنَّ الله تبارك وتعالىٰ أجرىٰ أمرَه في الكون والخَلق وفق نظام الأسباب والمُسبّبات، ووفق الأغراض العائدة إلىٰ العباد أنفسهم بمقتضىٰ حكمته ولطفه وعدله سبحانه، وذكرنا أنَّ وقوع الشرور

١. الكافي، الكليني، ج١، ص٣٣٧، ط ٣، طهران.

والبلايا أمر نسبي وقياسي بلحاظِ مقايسة مورد بمورد آخر، وأنَّ من الشرور ما يتسبّب بها الإنسان نفسه عمداً أو تقصيراً أو لعدم تلافيه مقدّماتها الموجبة لها، ومن الشرور والبلايا ما يكون سببه الاستحقاق أو العقاب أو إدامة دورة الحياة.

وإنَّ عدم استعمال الإمام المهدي عجل الله فرجه لولايته التكوينية حسّاً وعياناً، بحيث تكون آثارها مشهودةً في الواقع وثابتةً له، إنّما هو لعدة وجوه، منها.

أوّلًا: إنَّ مقتضىٰ طبع وخصوصية الغيبة الكبرىٰ يتطلّب ذلك، لما يحفظ أغراض وأهداف الغيبة نفسها، ويحفظ عنوانها ومعنونها، وعدم تجلي آثار الولاية التكوينية لا يعني الإهمال والنسيان، ففي التوقيع المبارك الصادر من الناحية المقدّسة، ورد ما يُشير إلىٰ ذلك «إنّا غير مُهملين لمُراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللّاواء واصطلمكم الأعداء»[1].

ثانياً: إنَّ تحقّق آثار هذه الولاية التكوينية في الواقع ودورها في دفع الشرور والبلايا غير متوقّف عقلاً وتدبيراً علىٰ لزوم النسبة حسّاً وعياناً إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه، فقد تحصل وتتجلّىٰ وجداناً وإدراكاً وواقعاً دون الالتفات في نسبتها إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه لضرورة غيبته واستتاره وعدم الإذن له بالظهور، كما حصل للنبي يوسف عليه السلام وقصته مع إخوته، إذ ملكَ مصرَ والتقىٰ بهم، ولم يعرفوه.

ثالثاً: إنَّ إعمال الولاية التكوينية حسّاً وشهوداً يلزم منه تحقّق الظهور والقيام المهدوي، وهذا ينافي استتاره وغيبته الكبرىٰ.

رابعاً: في عقيدتنا أنَّ هناك تكاليف عقائدية وشرعية منوطة باختيار الإنسان وقدرته عليها وإيمانه بها طوعاً لا كرهاً واختباره وامتحانه، ولربّما يكون إعمال

١. الاحتجاج، الطبرسي: ج٢، ص٣٢٣، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر.

الولاية التكوينية حسّاً ومباشرةً وعياناً في كلّ صغيرةٍ وكبيرة موجبة لاهتداء النّاس لما تمثّله هذه الولاية التكوينية من إعجاز يخرق نظام الأسباب والمُسبّبات الحاكمة عليهم.

والحال أنّهم مطالبون بالإيمان طوعاً والاهتداء اختياراً.

خامساً: هناك عدّة روايات معتبرة تُشير إلىٰ أنَّ آثار الولاية التكوينية للإمام المهدي عجل الله فرجه ستتجلّىٰ حسّاً وعياناً يقيناً في عصر ظهوره وقيامه الشريف، بحيث ترتفع العاهات في وقته وترتفع الأمراض وتُدفع الشرور ويعمّ الأمن والخير والبركات، ويُستَبدّل الضعف بالقوّة في الجسم والعلم والعقل والمعرفة.

وهذا لعله يُمثّل نوعاً من أبرز مصاديق إظهار الإمام المهدي عجل الله فرجه لقدراته وطاقاته التكوينية لشيعته ومُنتظريه ولتمكين دولته دولة العدل الإلهي من بسط العدل والقسط وإزالة الظلم والفساد والجور والشرور.

عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام، قال: «مَن أدرك قائمَ أهل بيتي مِن ذي عاهة برئ ومِن ذي ضعف قوي»، وعن أبي بكر عن عبد الأعلىٰ بن أعين، قال: قمتُ من عند أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام، فاعتمدت علىٰ يدي فبكيت وقلتُ: كنتُ أرجو أن أدرك صاحب هذا الأمر ولي قوة، فقال: «أما ترضون أنَّ أعداءكم يقتل بعضهم بعضاً وأنتم آمنون في بيوتكم، أنّه لو كان ذلك أعطىٰ الرجل منكم قوةَ أربعين رجلاً وجعل قلوبكم كزبر الحديد لو قذفَ بها الجبال لقلعتها وكنتم قومَ الأرض وخزّانها»[1].

١. مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلّي، ص١١٦، الطبعة الأولىٰ حقوق الطبع محفوظة للناشر، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م.

وفي رواية أخرىٰ عن حريز عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «إذا قام القائم أذهب الله عن كلّ مؤمنٍ العاهة، وردّ إليه قوته»[١].

سادساً: إنَّ مقتضىٰ الاعتقاد بالغيبة الكبرىٰ أن يكون المؤمن مُنتَظراً لفرج إمامه صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه ومُعتقداً بيقينية ظهوره وقيامه بالحقّ والعدل، وهذا ما يجعله قادراً علىٰ مواجهة الشدائد والمصاعب والبلايا وتشوّقه لما أُعدّ له من أجرٍ عظيم وآثار مباركة، فإذا لم يدرك أو يشعر بآثار الولاية التكوينية والرعاية من لدن الإمام المهدي عجل الله فرجه حسّاً وشهوداً فيكون قد ظفر بأجره وامتثل تكليفه، وقد يختار تحمّل البلاء مدّة عمره علىٰ أن يزول عنه في وقت الظهور لما ادُّخر له من الرعاية واللطف والتعويض والأجر الجزيل، وهذا المعنىٰ الاعتقادي بيّنته الرواية المأثورة:

عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنّه قال: «يأتي علىٰ الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبىٰ للثابتين علىٰ أمرنا في ذلك الزمان، إنَّ أدنىٰ ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم البارئ جلّ جلاله فيقول: عبادي وإمائي آمنتم بسرّي وصدّقتم بغيبي، فأبشروا بحسن الثواب مني، فأنتم عبادي وإمائي حقّاً منكم أتقبل، وعنكم أعفو، ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث وأدفع عنهم البلاء ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي»، قال جابر: فقلتُ: يا بن رسول الله فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: «حفظ اللسان ولزوم البيت»[٢].

---

١. الغيبة، ابن أبي زينب النعماني، ص٣٣٢، الطبعة الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ. ق.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص٣٣٠، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.

سابعاً: وجود الموانع كالذنوب والمعاصي وما شابه يحول دون الشمول بآثار الولاية التكوينية للإمام المهدي عجل الله فرجه وبركاتها، وهذا ما نبّه عليه المقطع القيّم في ذيل التوقيع المبارك الصادر من الناحية المقدّسة لشيخ الطائفة المفيد رضي الله عنه: «فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلاته على سيدنا البشير النذير محمّد وآله الطاهرين وسلم»[١].

المطلب الثالث: نظرية الأعواض في التفسير الاعتقادي ومعالجتها لإشكالية الشرور والنواقص والظلم والآلام وتحمّلها وعلاقتها بالعدل الإلهي وحكمته ولطفه:

إنّ هذه النظرية العقدية الكلامية المحكمة عقلاً ونقلاً تتكفّل بتنزيه الله تبارك وتعالى عن الإخلال بالواجب أو فعل القبيح أو الظلم، وتقدّم تفسيراتٍ معقولةً ومقبولةً تضمن العوضَ الإلهي المُستَحَق والنفعَ المُدّخَر للإنسان الذي يواجه الآلام والمضار والشرور والأمراض والبلايا والظلم في هذه الحياة الدنيا، وقد عرضها مفصّلاً المحقق الخواجة نصير الدين الطوسي رضي الله عنه في كتابه تجريد الاعتقاد، وقال: (العوض هو نفعٌ مُستَحَقٌّ خالٍ عن تعظيم وإجلال - ويستحق عليه تعالى بإنزال الآلام وتفويت المنافع لمصلحة الغير وإنزال الغموم سواء استندت إلى علم ضروري أو مكتسب أو ظن، لا ما تستند إلى فعل العبد وأمر عباده بالمضار أو إباحته وتمكين غير العاقل)[٢].

١. الاحتجاج، الطبرسي: ج٢، ص٣٢٥، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر.

٢. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلّامة الحلّي، ص٤٥٢ -٤٥٣، ط ١٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة.

ومن المعلوم اعتقاداً أنَّ العوض الإلهي يفترق عن الثواب، إذ يجب في الثواب اقترانه بالتعظم، بخلاف العوض وكما تقدّم فإنّه خالٍ من التعظيم والإجلال.

ولطالما توجد هذه النظرية القيّمة في معالجة الإشكالات المُدّعاة علىٰ منافاة وقوع الشرور والآلام والبلايا والكوارث بالإنسان مع عدل الله سبحانه وحكمته فلن يبقىٰ أيّ مسوّغٍ عقلي أو معرفي لهذه المنافاة المزعومة.

المطلب الرابع: المُعطيات العقائدية والمُكتسبات العبادية والتربوية والنفسية والاجتماعية والأخروية من وقوع الشرور ومواجهتها:

إنَّ من المُتيقّن به اعتقاداً وعقلاً في منظومتنا الكلامية الاثني عشرية أنَّ الله تبارك وتعالىٰ يفعل لغرضٍ حكيمٍ، وأفعاله جميعها معلّلةٌ بالأغراض، وأنّه منزّه عن الإخلال بالواجب أو فعل القبيح، ولا يخلو أيُّ فعلٍ أو حدثٍ يقع في عالم الكون والحياة من وجه حكمة أو منفعة أو مصلحة أو فائدة أو هدفٍ وما شاكل، وإن اختلف تقييم الإنسان له من وجهة نظره المحدودة والنسبية والقياسية، بل وإن تضرّر منه شخصيّاً.

ويمكن إجمال هذه المعطيات والمكتسبات بنقاط، منها:

أوّلاً: تعزيز فكرة الامتحان الإلهي للإنسان واختباره، وتمحيصه عبر سلسلة تكاليف وأحداث يُمرّ بها، لتكميله وإيصاله للمطلوب منه ولإزالة غفلته وجعله منتبهاً لتأثير الله سبحانه في مجريات الأمور الوجودية والكونية والطبيعية والبشرية، والتي لا يمكن للإنسان أن يعزلَ نفسه عنها وعن آثارها في خضمّ حراكه وأغراضه وسعيه.

ثانياً: إنَّ مواجهة الشرور والبلايا والمصاعب تدفع الإنسانَ نحو إظهار قدراته وخبراته علىٰ تجاوز الأحداث وأسبابها وتلافيها مُجدّداً، وذلك بالابتعاد

عن موجباتها ومقتضياتها من أوّل الأمر إن أمكن ذلك، أو وضع حلولٍ لها إن وقعت للتقليل من آثارها وأخطارها، كما يحدث في أمر الفيضانات والسيول ببناء السدود والخزّانات.

ثالثاً: إنّ وقوع الشرور وظهور آثارها قد تكون سبباً للنجاة ومدعاة للرجوع إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ والحقّ والعدل والاستقامة والكفّ عن الإثم والعدوان، قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

رابعاً: تسديد رؤية الإنسان في تعاطيه مع الأحداث ومواجهتها، فحكمه علىٰ شيءٍ ما أصابه بالشرِّ وبمعزل عن علاقته بنظام الوجود والكون كليّاً حكم نسبي وضيّق لا يتّفق مع النظام الإلهي وأغراضه وحكمته والتي تعود بالفائدة والمصلحة إليه.

خامساً: ما نراه من آثار للشرور الواقعة يكشف عن إسهام الإنسان نفسه وبقدر كبير في صناعة الأحداث الضارّة والمؤذية له وللمجتمع من تسبّبه بالظلم والفساد والتقصير في وظيفته لمواجهة المشاكل المختلفة، كما في مسألة الاحتكار وأضراره الاقتصادية علىٰ الفقراء والمحرومين وضعاف الناس، وكذلك عدم تلافيه لأسباب الكوارث مثل السيول والفيضانات ببناء السدود والخزّانات، والحرائق والحروب والحيلولة دون وقوعها وغيرها.

سادساً: إنَّ البلايا والمصاعب والشدائد لها دور في إظهار وجوه الخير والفضائل والتعاون بين النّاس، وقد تأخذهم لمسيرة التكامل والتقدّم بعيداً عن وجوه التنازع والتدافع في محور الشرّ وآثاره.

سابعاً: في بعض الأحيان يغفل الإنسان عن أهمية تربية نفسه وأسرته ومجتمعه، فتأتي السُنَن الكونية بلون الاختبار والبلاء والامتحان لتربّيته تربيةً كونية، تجعله قادراً علىٰ مواجهة ما هو أصعب إذا تغيّرت أنماط معيشته وظروفه وأمنه من حيثيات متعددة.

ثامناً: إنَّ فَهمنا القويم لإشكالية الشرور وأسباب وقوعها ودخالة الإنسان في إحداثها وآثارها تجعلنا ندرك علّةَ وحكمةَ غيبةِ إمامنا المهدي عجل الله فرجه ومدىٰ تسبّب الظالمين بذلك، وللشيخ المفيد (طاب ثراه) توجيهٌ قيّم لعلّة الغيبة وظروفها وما يقارب هذا المعنىٰ، فقال: (لكن إمام هذا الزمان عليه السلام لما كان هو المشار إليه بسلّ السيف، والجهاد لأعدائه، وأنّه هو المهدي الذي يُظهر اللهُ به الحقَّ، ويبيد بسيفه الضلال، كان الأعداء يترصدونه، ويبغون قتله، ويطلبون قتله وسفك دمه، وحيث لم يكن أنصاره متهيئين إلىٰ وقت ظهوره، لزمته التقية، وفُرِضَت عليه الغيبة، إذ لو ظهر بغير أعوان لألقىٰ نفسه بيده إلىٰ التهلكة، ولو أظهر نفسه في غير وقته لم يأل الأعداء جهداً في استئصاله وجميع شيعته وإراقة دمائهم علىٰ الاستحلال)[1].

خلاصة البحث:

لقد ظهر ممّا تقدّم من ثنايا البحث أنَّ إمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه إمامةٌ واجبةٌ عقلاً وفق اقتضاء عدل الله سبحانه وحكمته ولطفه في نظام الوجود والكون والإنسان والمجتمع، ليكون الإمام بذلك مَظهراً ومُظهِراً لعدل الله جلّ وعلا، المتنزّه عن الإخلال بالواجب أو فعل القبيح أو الظلم، وإنَّ من أهمَّ ما تفرّد به الإمام المهدي عجل الله فرجه من بين مجموع الأئمة الاثني عشر عليهم السلام هو تميّزه بخصوصية بسط العدل والقسط الشامل في الأرض قاطبةً بعد ما مُلئَت ظلماً وجوراً، وأنّه

١. رسائل في الغيبة، الشيخ المفيد: ج٣، ص٥.

رغم غيبته الكبرىٰ وظروف استتاره إلّا أنّه لم يهمل أو ينسَ أمر شيعته ومواليه ومنتظريه، وذلك بشمولهم بلطفه ودعاءه ورعايته الخاصة والعامة، فضلاً عن إعمال ولايته التكوينية في مواردها المخصوصة، والتي هي من وسائط الفيض الإلهي والبركات بين الله تعالىٰ وعباده، بما يكشف أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه أمانٌ تكويني قائم وواقع، وله دوره في دفع خطر الأعداء وآثار الشرور والبلايا عن الشيعة ومواليه، وأنَّ عدله مُدّخرٌ لهم وللمؤمنين في يوم ظهوره وقيامه بالحقّ والعدل والانتصاف.

وأمّا مسألة وقوع الشرور وزعم منافاتها لعدل الله تعالىٰ وحكمته ونظامه فقد تبيّن تفسيرها الحقّ بما يكفل معالجة الزعم معالجة مقبولة ومعقولة وفق ضرورة فهم صحيح لأسباب حدوث الشرور ودخالة الإنسان فيها، أو كونها تأتّت وفق استحقاق العقاب والعذاب أو إدامة دورة الحياة، فضلاً عن نظرية الأعواض، والشرور نسبية وقياسية في الوقوع والتقييم، وأنَّ لمواجهتها أبعاداً ومعطياتٍ ومكتسباتٍ عبادية وتربوية وأخروية قد يلمسها الإنسان إذا تعاطىٰ معها وفق معيار الدين ونظام الكون والوجود القائم علىٰ الأسباب والمُسبّبات.

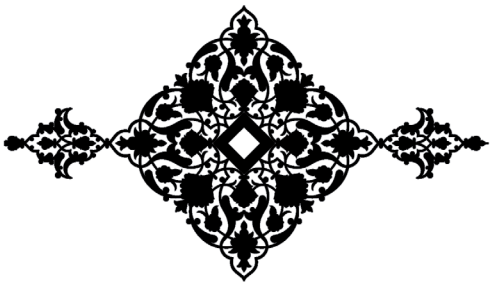

المعود
ALMAUOOD

القول النَّضِر في نقض أدلة منكري حياة الخضر عليه السلام

علي الموسوي المشعشعي

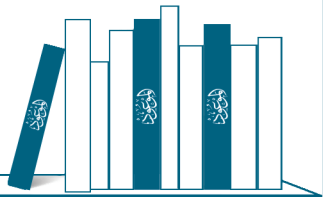

تمهيد:

انتقد بعض مخالفينا إمكان بقاء (الإمام المهدي عجل الله فرجه) حياً لأكثر من ألف عام، فقالوا: (عمر بهذا الطول غير معهود في البشر)[1]. وقد عُدَّ هذا من أقوىٰ الاعتراضات علىٰ الشيعة[2].

فما كان من أصحابنا إلّا أن يحتجوا بتعمير من مضىٰ من الأمم السالفة كالنبي نوح عليه السلام الذي عاش ألفين وخمسمئة سنة[3]، وغيره.

وقد أجيب: أن ذلك من خواص تلك الأُمم، فلم يزل الخلق ينقص حتىٰ الآن[4]. حتىٰ صارت أعمار هذه الأُمّة ما بين الستين إلىٰ السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك[5].

لكننا وجدنا في مصادرنا أن السنة الجارية في الإمام المهدي عجل الله فرجه من

---

١. هذا مقال بقلم علي حسين السائح أستاذ كلية الدعوة الإسلامية في ليبيا، بمجلة الكلية، في العدد العاشر الصادر سنة ١٩٩٣، في ص٢١٣، بعنوان (تراثنا وميزان النقد).

٢. نظرية الإمامة لدىٰ الشيعة الاثني عشرية: ص٤١١.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ص٥٣١.

٤. صحيح البخاري: ج٣، ص١٢١٠، ح٣١٤٨.

٥. منهاج السنة: ج٤، ص٩٣.

الخضر عليه السلام هي طول الغيبة[١]، أي إنه يُحتج على إمكان بقاء (الإمام المهدي عجل الله فرجه) حياً بالقياس على حياة الخضر عليه السلام[٢]. لأن الشيعة الإمامية وجمهور أهل السنة يؤمنون بحياته إلى الآن. وقد صنف بعض علمائهم في إثبات ذلك:

١ - إرشاد الإخلاص لحياة الخضر وإلياس عليهما السلام - محمد بن أبي الخير القزويني (المتوفى ٦٢٠هـ).

٢ - جزء في حياة الخضر عليه السلام - عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (المتوفى ٧٦٨هـ).

٣ - رسالة في الخضر عليه السلام وحياته - محمد بن إمام الكاملية (المتوفى ٨٧٤هـ).

٤ - رسالة في حياة الخضر عليه السلام - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى ٩١١هـ).

٥ - رسالة في حياة الخضر عليه السلام - نجم الدين بن محمد الغيطي الاسكندري (المتوفى ٩٨١هـ).

٦ - الحذر في أمر الخضر عليه السلام - علي بن (سلطان) محمد، القاري (المتوفى ١٠١٤هـ).

---

١. روى شيخ المحدثين الصدوق بسنده عن أحمد بن إسحاق الأشعري قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق، إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم ولا يخليها إلى يوم الساعة من حجة لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض».

قال: فقلت له: يا بن رسول الله، فمن الإمام والخليفة بعدك؟

قال: «ابني هذا، إنه سميُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيُّه، يا أحمد بن إسحاق، مثله في هذه الأمة مثل الخضر ومثل ذي القرنين...»، فقلت: فما السنة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ فقال عليه السلام: «طول الغيبة يا أحمد...». [كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٨٥، باب ٣٨ ما روي عن أبي محمد العسكري من وقوع الغيبة بابنه القائم وأنه الثاني عشر من الأئمة، ح١.

٢. تراثنا وميزان النقد: ص٢١٣.

٧ – رسالة في حياة الخضر وإلياس عليهما السلام – عبد الله بن مصلح الدين النوري (المتوفىٰ ١٠٦١هـ).

٨ – القول الدال علىٰ حياة الخضر عليه السلام – نوح بن مصطفىٰ الرومي (المتوفىٰ ١٠٧٠هـ).

وأمّا من شذَّ من الحنابلة فقد استندوا في إنكار حياة الخضر عليه السلام إلىٰ استنتاجات توهموا أنها أدلة عقلية ونقلية، ولا أعلم أحداً من أصحابنا تصدىٰ لردها، لذا خطر في البال أن أفرد لها بحثاً يُجمع فيه أدلة المنكرين ونقضها.

ومن هؤلاء الذين صنفوا في إنكار حياة الخضر عليه السلام:

١ – جزء في أخبار الخضر – أبو الحسين أحمد بن جعفر أبن المنادي (المتوفىٰ ٣٣٦هـ).

٢ – عجالة المنتظر في شرح حال الخضر – عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفىٰ ٥٩٧هـ).

٣ – رسالة في موت الخضر – أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (المتوفىٰ ٧٢٨هـ).

كتاب (جزء في وفاة الخضر) – محمد بن علي بن عبد الواحد النقاش (المتوفىٰ ٧٦٣هـ).

٤ – الزهر النضر في حال الخضر – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفىٰ ٨٥٢هـ)

٥ – الروض النضر في حال الخضر – محمد بن محمد الخيضري (المتوفىٰ ٨٩٤ هـ).

وسيتم ترتيب البحث ضمن فصول وكل فصل ضمن نقاط:

الفصل الأول: هوية الخضر عليه السلام:

النقطة الأولىٰ: اسمه ونسبه:

قد اختلف في اسمه ونسبه:

قيل اسمه: خضرون بن قابيل بن آدم[١].

وقيل: المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الأزد[٢].

وقيل: خضرون بن عمياييل بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم[٣].

وقيل: أورميا بن خلقيا سبط هارون بن عمران[٤].

وقيل: بليا بن ملكان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد ابن سام بن نوح[٥].

(قلنا): وهذا أرجح الأقوال عند الفريقين، وقولهم في ذلك:

أمّا عندنا فلما قاله الشيخ محمد بن علي الصدوق، (المتوفىٰ سنة ٣٨١ هـ)، قال: والصحيح أن اسمه بليا بن ملكان[٦].

وأمّا عندهم فلما جاء عن عمر بن علىٰ ابن عادل الحنبلي (المتوفىٰ: ٨٨٠ هـ)، قال: والصحيح ما ثبت في التَّواريخ، وصحَّ عن النبي [صلى الله عليه وآله] أنَّه الخضر، واسمه

١. ذكره أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (المتوفىٰ ٢٤٨هـ) في كتابه المعمرون والوصايا: ص١، عن أبي عبيدة، وأبي اليقظان، ومحمد بن سلام الجمحي، وغيرهم.

٢. ذكره ابن عساكر الدمشقي (المتوفىٰ ٥٧١هـ) في كتابه تاريخ دمشق: ج١٣، ص٣٩٩، عن إسماعيل بن أبي أويس، قال: اسم الخضر فيما بلغنا والله أعلم المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الأزد.

٣. البداية والنهاية: ج١، ص٣٢٦.

٤. تاريخ الطبري: ج١، ص٢٢٥، هذا القول قيل بناءً علىٰ أن الخضر غير صاحب موسىٰ الواردة قصته في القرآن الكريم، ونحن نرفض هذا القول، وإنما ذكرناه في سياق عرض الأقوال.

٥. ذكره عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفىٰ ٢٧٦هـ) في كتابه المعارف: ج١، ص٩، عن وهب بن منبه .

٦. كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٩٢.

بليا بن ملكان[١]. كما وذكر ابن حجر الأسماء وقال: والأول أثبت - ابن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح -[٢].

النقطة الثانية: كنيته ولقبه:

اختلف في سبب لقب العبد الصالح (بليا) بالخضر:

فقد قيل: (سمي لأنه يجلس علىٰ فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء)[٣].

وقيل: (كانت آيته أنه كان لا يجلس علىٰ خشبة يابسة، ولا أرض بيضاء إلّا أزهرت خضراً، سمي خضراً لذلك)[٤].

وقيل: (سُمّي خَضِراً لحُسنِه وإشْراق وجْهه)[٥].

وقيل: (لأنه كان إذا صلّىٰ اخضرَّ ما حوله)[٦].

وأمّا كنيته: ذكروا أن الخضر كنِّيَ بأبي العباس، وأبي محمد[٧].

النقطة الثالثة: نبوته وولايته:

اختلف فيه هل هو نبي أم ولي أم ملك.

قيل: إنه نبي غير مرسل[٨].

---

١. اللباب في علوم الكتاب: ج١، ص٣٤٤٥.

٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج٦، ص٤٣٣.

٣. رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة: ج٣، ص١٢٨٤، ح٣٢٢١.

٤. رواه الصدوق بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: ج١، ص٦١، باب العلة التي من أجلها سمي الخضر خضراً، علل الشرائع: ج١، ص٦٢، ح١.

٥. ذكره الخطابي غريب الحديث: ج١، ص١٧٧.

٦. رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن الضحاك: ج١٦، ص٤٠٢.

٧. تفسير روح المعاني: ج١٥، ص٣١٩.

٨. قال ابن عباس: إنه كان نبياً غير مرسل [الإصابة: ج٢، ص١١٦].

وقيل: (إنه ليس بنبي)[١].

وقيل: (إنه ولي من أولياء الله)[٢].

وقيل: (إنه من الملائكة)[٣].

والراجح: كما ذهب أكثر العلماء إلىٰ أنه ليس بنبي وحكي عن ابن تيمية[٤] وابن كثير[٥] ذلك.

وما روي عن طرقنا عن أبي جعفر وابنه أبي عبد الله الصادق عليهما السلام، أنه ليس بنبي[٦].

الفصل الثاني: في أدلة النافين لحياة الخضر عليه السلام العقلية:

الدليل الأول: قالوا: الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ وَلَدُ آدَمَ لِصُلْبِهِ فاسد... أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ الآنَ سِتَّةَ آلافِ سَنَةٍ وَمِثْلُ هَذَا بَعِيدٌ فِي الْعَادَاتِ أَنْ يَقَعَ.

ويجاب:

١ - إن كونه من صلبه هو قول ابن عباس الذي رواه الدارقطني وهذه الرواية مجروحة بـ:

أ - (رواد بن الجراح) ذكره الدارقطني[٧] في المتروكين[٨].

---

١. أخرج الكليني في الكافي بسنده عن أبي جعفر وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام أنه ليس بنبي [الكافي: ج١، ص٣٧٩، باب (في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضىٰ وكراهية القول فيهم بالنبوة)، ح٥.

٢. وهذا قول أبي القاسم القشيري في رسالته في التصوف: ص١٦١؛ واليافعي في المحاسن الغالية: ص٤٨.

٣. حكاه السهيلي عن قوم [فتح الباري: ج٦، ص٣٠٩].

٤. تفسير ابن كثير: ج٥، ص١٨٧.

٥. مجموع الفتاوىٰ: ج٤، ص٣٩٧.

٦. أصول الكافي: ج١، ص٣٧٩، باب (أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضىٰ)، ح٥.

٧. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٧٣.

٨. الضعفاء والمتروكون: ج٢، ص١٥٣.

ب – وفي الخبر أيضاً: (مقاتل بن سليمان) ذكره الدارقطني في المتروكين وقال يكذب[١].

ج – وكذلك فيه: (الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ) لم يلق ابن عباس[٢].

٢ – لا نسلم أن الخضر عليه السلام ابنٌ لآدم من صلبه، إنما هو من أعقاب النبي نوح عليه السلام، وسيأتي ذكر أنه من أعقاب النبي نوح عليه السلام، وبالتالي لا وجه لهذا الاعتراض.

٣ – الله تعالىٰ قادر علىٰ كل مقدور وإبعاد ذلك تقييد لقدرة الله عز وجل! وطول العمر ممكن مقدور له تعالىٰ.

الدليل الثاني: قالوا في الصحيحين: (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص حتىٰ الآن)[٣]. وما ذكر أحد أنه رأىٰ الخضر عليه السلام علىٰ خلقة عظيمة[٤].

ويجاب:

١ – لا نسلم أن الخضر عليه السلام من أقدم الناس، إنما هو من أعقاب سام بن نوح النبي وهو: (بليا) بْن ملكان بْن فالغ بْن عابر بْن شالح بْن أرفخشد بْن سام بْن نوح[٥].

وهذا مختارنا نحن الإمامية وبعض مخالفينا[٦].

---

١. الضعفاء والمتروكون: ج١، ص٢٣.

٢. المراسيل لابن أبي حاتم: ج١، ص٩٤.

٣. صحيح البخاري: ج١١، ص٤٨٤، باب خلق آدم وريته، ح٣٣٢٦.

٤. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٧٣.

٥. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج١، ص٣٥٨.

٦. رواه شيخ المحدثين الصدوق في علل الشرائع: ج١، ص٤٢، باب العلة التي من أجلها سمي الخضر خضراً، ح١، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

وذكره من مخالفينا عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفىٰ ٢٧٦هـ) في كتابه المعارف: ج١، ص٩، عن وهب بن منبه.

٢ - في الحديث (لم يزل الخلق ينقص) فلم ير الخضر في خلقة عظيمة لأن بينه وبين آدم تسعة عشر أب. أي أنه كان بعمر (ساروغ) والد جد النبي إِبْرَاهِيم بْن تارخ بْن ناحور بْن ساروغ بْن أرغو بْن فالغ بْن عابر بْن شالخ بن قينان بن أرفخشد بْن سام بْن نوح عليه السلام[١].

ولم يكن في ذاك الزمان الإنسان عظيم الخلقة.

الدليل الثالث: قالوا: إن كان الخضر عليه السلام قبل نوح لركب معه السفينة وأنه لما نزل من السفينة مات من كان معه، ولم يبق غير نسل نوح. وهذا يبطل قول من قال إنه كان قبل نوح[٢].

ويجاب:

١ - تقدم أن الخضر من نسل نوح، وهذا يبطل كل اعتراض متعلق بنوح النبي عليه السلام، لذا لا نكرر الجواب.

٢ - أمّا الاستدلال بقوله تبارك اسمه: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (الصافات: ٧٧).

فالخضر عليه السلام من ذريته الباقين. وقد ذكرنا أنه: بليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن أرفخشد ابن سام بن نوح عليه السلام[٣].

الدليل الرابع: قالوا: وبعضهم سلَّم أنه بعد نوح عليه السلام، إلّا أنه ذهب إلىٰ موته حيث إنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله ومقامه في الصف ساعة[٤] وحضوره الجمعة والجماعة.

---

١. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج١، ص٢٥٨.

٢. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٧٣.

٣. ذكره عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفىٰ ٢٧٦هـ) في كتابه المعارف: ج١، ص٩، عن وهب بن منبه؛ وذكره شيخ المحدثين الصدوق (المتوفىٰ ٣٨١ هـ) في علل الشرائع: ج١، ص٤٢، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام.

٤. أي في الصف الأول عند المعركة.

ويجاب:

عدم العلم ليس علماً بالعدم، ثم أن الخضر عليه السلام متواري عن الأنظار فلا يراه إلّا من أراد الله أن يريه إياه كالأنبياء والأولياء، وقد حصل لموسىٰ عليه السلام قوله تعالىٰ: ﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ (الكهف: ٦٥).

بتقريب أن: الآية لم تذكر اسم الخضر ومكان اللقاء وزمانه، والسنة الشريفة هي من عرفتنا أنه الخضر[١].

قال القرطبي: الخضر نبي معمر محجوب عن الأبصار[٢].

وقد دلَّت الأحاديث من طرق الخاصة والعامة علىٰ أن الخضر عليه السلام محجوب عن أنظار عامة الناس.

فأخرج الصدوق بسنده: عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري، قال: دخلت علىٰ الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، قال أحمد: فما السنة الجارية في المهدي من الخضر؟ فقال: «طول الغيبة يا أحمد»[٣].

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية[٤] ومن طريق حماد بن زيد عن

---

١. صحيح البخاري: ج٤، ص١٧٥٢، ح٤٤٥١؛ الكافي: ج١، ص٤٤٢، ح١، باب (أن الأئمة يعلمون علم ما كان ويكون).

٢. الجامع لأحكام القرآن: ج١١، ص٤١.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ص٦٥.

٤. أبو العالية الرياحي أحد علماء البصرة وأئمتها واسمه رفيع بن مهران. [تاريخ الإسلام للذهبي: ج٢، ص١٢٠٢].

وهو مجمع علىٰ توثيقه وثقة يحيىٰ بن معين وأبو زرعة وأبو حاتم وآخرون. [تهذيب الأسماء للنووي: ج٢، ص٢٥١].

وروىٰ له البخاري ومسلم.

وقال: أبو بكر بن أبي داود في كتابه (شريعة القارئ): ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية. [تهذيب الكمال للمزي: ج٩، ص٢١٨].

شيب بن الحجاب، قالا: كَانَ الخضر عبداً لا تراه الأعين، إلّا من أراد الله أنَّ يريه إياه، فلم يره مِنَ القوم إلّا موسىٰ، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين خرق السفينة[١].

الفصل الثالث: في أدلة النافين لحياة الخضر عليه السلام النقلية:

الأدلة القرآنية:

الأول: قالوا: الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الْخَضِرَ لَيْسَ بِبَاقٍ فِي الدُّنْيَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءٍ: الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ[٢].

أَمَّا الْقُرْآنُ فَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ (الأنبياء: ٣٤)، فَلَوْ دَامَ الْخَضِرُ كَانَ خَالِداً[٣]، والتخليد لا يكون لبشر[٤].

ويجاب:

١ - لم يقل أحد إن الخضر باقٍ لا يفنىٰ ولا يموت! ولفظ: (بشر) من الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾ نكرة في سياق النفي شاملة لكل بشر، فيدخل الخضر عليه السلام بهذا العموم لأنه (بشر) ويموت، وإنما يراد بالخلد دوام البقاء وعدم الموت[٥]. ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥؛ الأنبياء: ٣٥؛ العنكبوت: ٥٧). وقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦).

٢ - نحن نذهب إلىٰ طول إقامته، ثم يكون الموت بعدها.

٣ - وبالنقض، فلو أريد بـ(الخلد) البقاء إلىٰ يوم القيامة فالدجال خالد!

---

١. تفسير ابن أبي حاتم: ج٩، ص٢٢٥.

٢. المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم: ج١، ص٦٩.

٣. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٦٩.

٤. الموضوعات لابن الجوزي: ج١، ص١٩٩.

٥. الخُلْدُ في لغة العرب: البَقاءُ والدوامُ كالخُلودِ والجَنَّةُ [القاموس المحيط: ص٣٥٧].

وكذلك عيسىٰ بن مريم عليه السلام. قال القاري: وليس المراد به[١] طول العمر، فإن عيسىٰ كان قبل نبينا وقد طال عمره بإجماع الأنام[٢].

الثاني: ومنها أن الله تعالىٰ قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (آل عمران: ٨١).

قالوا: الخضر إن كان نبياً أو ولياً فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حياً في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره[٣].

ويجاب:

أولاً: أمّا كونه نبياً فقد حكىٰ ابن كثير ذهاب كثيرين إلىٰ أنه لم يكن نبياً، بل كان ولياً[٤].

وكذا شيخه ابن تيمية الحراني ذهب إلىٰ أن أكثر العلماء علىٰ أنه ليس بنبي[٥].

وقال: الجمهور علىٰ أنه ليس بنبي[٦].

ثانياً: وأمّا كونه ولياً فنعم، وليس هناك ما يدل علىٰ عدم إيمان الخضر عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله ونصرته له، إذ إنه مستتر عن الأنظار حتّىٰ في قصته مع موسىٰ الكليم عليه السلام، لم يذكر فيها اسمه ومكان اللقاء وزمانه.

---

١. يشير إلىٰ قوله: ﴿وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

٢. الحذر في أمر الخضر: ص١٥٤.

٣. هذا القول لابن كثير الدمشقي ذكره في البداية والنهاية: ج٢، ص٢٦٦.

٤. تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج٥، ص١٨٧.

٥. مجموع فتاوىٰ ابن تيمية: ج٤، ص٣٩٧.

٦. مختصر الفتاوي المصرية لابن تيمية: ج٢، ص٢٣.

الأدلة من السنة:

الأول: حَدِيثَ «أَرَأَيْتُكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ عَلَىٰ رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لا يَبْقَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ»[١]. فهذا الحديث يقتضي أن الخضر عليه السلام لم يعش بعد مئة سنة فيكون الآن مفقوداً لا موجوداً لأنه داخل في هذا العموم[٢].

ويجاب:

١ - هذا حديث قد أسقط منه (منكم) أو أنهم لم يسمعوه من النبي صلى الله عليه وآله، فيكون لفظه: أنه قال: «لا يَبْقَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ منكم مِمَّنْ هُوَ الْيَوْم»[٣]، ويدل عليه:

أولاً: قول ابن عمر: (فوهل الناس)[٤]. أي غلطوا في تأويل كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يفهموه بوجهه الصحيح[٥].

بيان: كلام ابن عمر يدل علىٰ توهم الصحابة أن لفظة (منكم) لم يسمعوها، فيخرج الخضر من ذلك العموم.

ثانياً: كان جماعة الصحابة يظنون أن المراد أن الدنيا تنقضي بعد مائة سنة[٦]. وهو قول أبي مسعود عقبة بن عمرو، قال سمعت رسول الله يقول: «لا يأتي علىٰ الناس مائة سنة وعلىٰ الأرض عين تطرف». فرده علي عليه السلام: «إنما قال ذاك لمن حضره يومئذٍ»[٧].

---

١. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٧٠.

٢. نقله ابن كثير عن ابن الجوزي في البداية والنهاية: ج١، ص٣٣٦.

٣. ذهب إلىٰ هذا الرأي أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفىٰ ٢٧٦هـ) في كتابه: تأويل مختلف الحديث: ج١، ص١٦٣.

٤. صحيح البخاري: ج١، ص٢٦١، باب (السمر في الفقه)، ح(٥٧٦).

٥. قال ابن حجر: أي غلطوا أو توهموا [فتح الباري: ج٢، ص٧٥].

٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج١٠، ص٥٥٦.

٧. مسند أبي يعلىٰ: ج١، ص٣٦٠.

٢ – وهـذا مـا دفـع عبـد الله بـن عمـر أن يفـسر كلام رسـول الله ﷺ بأنـه: يريـد بذلـك أنهـا تخـرم ذلـك القـرن[١].

وقالـوا: إن آخـر مـن بقـي مـن الصحابـة هـو أبـو الطفيـل عامـر بـن واثلـة، فقـد كانـت وفاتـه سـنة عـشر ومائـة مـن الهجـرة وذلـك عنـد رأس مائـة سـنة مـن وقـت تلـك المقالـة[٢].

وأيضاً ابن عمر قد يكون وهِمَ كما وهِمَ غيره[٣].

٢ – لا دليـل عـلىٰ أن الخـضر كان حـاضراً يومئـذٍ ليكـون مشـمولاً لحديـث النبـي ﷺ.

الثـاني: قـال النبـي ﷺ يـوم بـدر: «اللَّهُـمَّ إِنْ تُهْلِـكْ هَـذِهِ الْعِصَابَـةَ، لَا تُعْبَـدُ بَعْدَهَـا فِي الْأَرْضِ». فلـو كان الخـضر موجـوداً لم يصـح هـذا النفـي[٤].

ويجاب:

١ – كيـف لا تقـع عبـادة لله في الأرض إن هلـك أهـل بـدر مـع وجـود أشـخاص آخريـن.

---

١. صحيح البخاري: ج١، ص٢٦١، باب (السمر في الفقه)، ح(٥٧٦).

٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج١١، ص٣٦٣.

٣. إذ إنه أخطأ في نقله حديث رسول الله ﷺ، فكان يقول: «إن الميت ليعذب ببكاء الحي».

فقالـت عائشـة: يغفـر الله لأبي عبـد الرحمـن، نـسي أو أخطـأ، إنـما مـر رسـول الله [ﷺ] عـلىٰ يهوديـة يبكـىٰ عليهـا، فقـال: «إنهـم ليبكـون عليهـا وإنهـا لتعـذب في قبرهـا» [صحيـح مسـلم: ج٦، ص٩٣، بـاب (الميـت يعـذب ببـكاء أهلـه عليـه)، ح(١٥٤٨)].

وقد سُئل: هل اعتمر النبي في رجب؟

قـال ابـن عمـر: نعـم. فقالـت عائشـة وابـن عمـر يسـمع: يغفـر الله لأبي عبـد الرحمـن، لعمـري مـا اعتمـر في رجـب. [صحيـح مسـلم: ج٦، ص٣٢٣، ح(٢١٩٩)].

وذكـر لعائشـة قولـه: «مـا أحـب أن أصبـح محرمـاً أنضـخ طيبـاً». فقالـت: أنـا طيبـت رسـول الله [ﷺ] ثـم طـاف في نسـائه ثـم أصبـح محرمـاً. [صحيـح البخـاري: ج١، ص٤٧٣، بـاب (مـن تطيـب ثـم اغتسـل وبقـىٰ أثـر الطيـب)، ح(٢٧٠)].

٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج٦، ص٤٣٤.

مثل عُثْمَان وَطَلْحَة وغيرهم خلق كثير! فكيف صح النفي مع وجود هؤلاء دون الخضر عليه السلام!

قالوا: إنما المراد المسلمين كلهم[١].

قلنا: ذكر ابن القيم أنه سئل ابن تيمية فأجاب: كانوا ثلاث مئة وثلاثة عشر معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم[٢].

٢ - اضطروا لدفع هذا المشكل إلىٰ اتِّهام الرواة بالوهم، فإن من عَادَة الرواة ذكر الحديث بالمَعْنىٰ وَقد يغلطون فِيه[٣]. وقد احتجوا باختلاف أَلْفَاظه، فَرَوَاهُ البُخَارِي فِي أَفْرَاده من مُسْند ابْن عَبَّاس ومُسلم فِي أَفْرَاده من حَدِيث أنس بن مَالك أَن النَّبِي قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّك إِن تشأ لَا تعبد فِي الأَرْض»[٤].

والحديث أولوه بأنه: لا يعبد في الأرض بهذه الشريعة[٥].

قالوا: استعمل (إن) مكان (ما) فيكون معناه: ما تهلك هذه العصابة[٦].

قلنا: وهذا المعنىٰ لا يدل علىٰ نفي حياة الخضر عليه السلام.

الثالث: قال النبي صلى الله عليه وآله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ حَيّاً مَا وَسِعَهُ إِلّا أَنْ يَتْبَعَنِي»[٧]. فَكَيْفَ يَكُونُ الخضر عليه السلام حَيّاً وَلا يُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله[٨]؟

---

١. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ج٣، ص٥٧٢.

٢. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٣٦.

٣. كشف المشكل من حديث الصحيحين: ج١، ص١٣٤.

٤. كشف المشكل من حديث الصحيحين: ج١، ص١٣٤.

٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج٧، ص٢٨٩.

٦. القائل هو يحيىٰ بن هُبَيْرَة الذهلي (المتوفىٰ ٥٦٠هـ) في كتابه (الإفصاح عن معاني الصحاح): ج١، ص٢٠٦.

٧. مسند أحمد: ج٣، ص٣٨٧، برقم (١٥١٩٥)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد.

٨. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٧٢.

ويجاب:

١ - الحديث ضعيف سنداً، فإن فيه مجالد بن سعيد، كان يحيىٰ القطان يضعفه، وكان ابن مهدي لا يروي عنه عن الشعبي[١]. وسئل أحمد بن حنبل عن مجالد، فقال: ليس بشيء.

وكان يحيىٰ بن معين يقول: مجالد ضعيف، واهي الحديث.

٢ - الحديث جاء من طرق أخرىٰ[٢]، منها: جاء عمر إلىٰ النبي ﷺ فقال: مَرَرْتُ بأخٍ لي من يهود قُريظة، فكتَب لي جوامعَ من التوراة، ألا أَعْرِضُها عليك؟

فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ وقال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَىٰ ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، أَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»[٣].

ثم قال: «لَوْ كَانَ مُوسَىٰ حَيّاً مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».

وعند الجمع بين مجموع الأحاديث يتحصل: (لو كان موسىٰ حياً لاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي ومَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي)، مفاد الحديث تعريض رسول الله ﷺ بفعل عمر وتودد عمر لليهود وبيان أفضليته علىٰ موسىٰ عليه السلام، ومع ذلك لو كان حياً لاتّبعتموه وتركتموني!

ويؤيده ما جاء عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ جَعْدَةَ، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ بِكَتِفٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ: «كفىٰ بقوم ضلالاً أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلىٰ ما جاء به نبي غير نبيهم، أو كتاب غير كتابهم فأنزل الله ﷻ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]»[٤]. فليس في الحديث ما يدل علىٰ موت الخضر عليه السلام إنما

١. التاريخ الكبير للبخاري: ج٨، ص٩.

٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج١٣، ص٥٢٥.

٣. مصنف عبد الرزاق: ج٦، ص١١٣؛ وعنه أحمد في المسند: ج٣، ص٤٧٠.

٤. مرسل رجاله ثقات، أخرجه أبو داود في المراسيل ص٢٢٣، رقم (١)، وابن عبد البر في جامع بيان فضل العلم: ج٢، ص٥٠؛ والدارمي في مسنده: ج١، ص١٩٣، ح(٤٨٥).

غاية ما يدل عليه قبح فعل عمر من أنه قد اتخذ (أخاً) له من اليهود من بني قريظة يكتب عنه كتب اليهود حتىٰ قال له النبي صلى الله عليه وآله: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا بْنَ الْخَطَّابِ»[١].

و(التَّهَوُّكُ) في اللغة التَّهَوُّر وقلة مُبالاة[٢].

٣ - لو سلِّم، فمن قال إنه لم يتبع رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يره أحد، ولا ملازمة بين الاتّباع والصلاة خلف النبي صلى الله عليه وآله، بل نجزم باتّباعه له صلى الله عليه وآله.

الفصل الرابع: استدلال النافين لحياة الخضر عليه السلام بالإجماع:

قالوا: إِجْمَاعُ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْخَضِرَ مَاتَ[٣].

ويجاب:

يمكن النقاش في أصل دعوىٰ إجماع المحققين فإن جمهور الإمامية[٤] قاطبة وأكثر أهل السنة[٥] يقولون ببقائه حياً إلىٰ الآن، خلا جماعة من الحنابلة شذّوا.

---

١. مسند أحمد: ج٣، ص٣٨٧، برقم (١٥١٩٥)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد.

٢. لسان العرب: ج٦، ص٤٧٢٢.

٣. المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم: ج١، ص٦٩.

٤. قال شيخ الشيعة الطوسي: وهذا الخضر عليه السلام موجود قبل زماننا من عهد موسىٰ عليه السلام عند أكثر الأمة وإلىٰ وقتنا هذا باتفاق أهل السير لا يعرف مستقره ولا يعرف أحد له أصحاباً إلّا ما جاء به القرآن من قصته مع موسىٰ عليه السلام.
وما يذكره بعض الناس أنه يظهر أحياناً ويظن من يراه أنه بعض الزهاد، فإذا فارق مكانه توهمه المسمىٰ بالخضر، ولم يكن عرفه بعينه في الحال، ولا ظنه فيها بل اعتقد أنه بعض أهل الزمان [الغيبة: ص١٠٩].

٥. قال أبو عمرو ابن الصلاح: وَأَمَّا الْخَضِر عليه السلام فَهُوَ من الْأَحْيَاء عِنْد جَمَاهِير الْخَاصَّة من الْعلمَاء وَالصَّالِحِينَ والعامة مَعَهم فِي ذَلِك وَإِنَّمَا شَذَّ بإنكار ذَلِك بعض أهل الحَدِيث. [فتاوىٰ ابن الصلاح: ج١، ص١٨٥].
قال النووي: قال الأكثرون من العلماء: هو حي موجود بين أظهرنا [تهذيب الأسماء: ج١، ص٢٤٩].

الفصل الخامس: استدلال النافون لحياة الخضر عليه السلام، ببعض الأقوال:

القول الأول: فَقَدْ ذُكِرَ عَنِ الْبُخَارِيِّ وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَىٰ الرِّضَا أَنَّ الْخَضِرَ مَاتَ[١].

ويجاب:

١ - نقل أَبُو بَكْرٍ النقاش (المتوفىٰ ٣٥١هـ). في تفسيره (شفاء الصدور)، مخطوط عن البخاري أن الخضر مات. وما نقله النقاش عنه (المتوفىٰ ٢٥٦هـ). منقطع فإنه ولد سنة ٢٦٦هـ، أي بعد وفاة محمد بن إسماعيل البخاري بـ(١١).

وقد فتشنا في مصنفات البخاري ولم نجد تلك النسبة في كتبه!

٢ - ما نقله النقاش عن علي بن موسىٰ (توفي ٢٠٣ هـ). منقطع فإنه ولد سنة ٢٦٦هـ أي بعد وفاة الإمام الرضا عليه السلام بـ(٦٣) عاماً. وقال ابن حبان: كأنه كان يهم ويخطئ[٢].

والثابت عندنا عن الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الخضر شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتىٰ ينفخ في الصور»[٣].

القول الثاني: وَمِمَّنْ قَالَ إِنَّ الْخَضِرَ مَاتَ الْحَرْبِيُّ[٤].

ويجاب:

١ - إبراهيم بن إسحاق الحَرْبي (المتوفىٰ ٢٨٥هـ). قد ذكر الحافظ ابن حجر في (الزهر النضر) نقل أحمد بن جعفر ابن المنادي (المتوفىٰ ٣٣٦هـ). في كتابه (جزء في أخبار الخضر) عن إبراهيم الحربي أن الخضر مات[٥].

وقد طلبنا جزء ابن المنادي فلم يقع بأيدينا، لكننا راجعنا بعض

١. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٧٢.
٢. المجروحين لابن حبان: ج٢، ص١٠٧.
٣. إكمال الدين وتمام النعمة: ص٦٧.
٤. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٧٢.
٥. الزهر النضر في حال الخضر: ص١٢٢.

المصادر فوجدنا ابن الجوزي نقل في كتابه: (الموضوعات) عنه قَالَ: وَأَخْبرنِي بعض أَصْحَابنَا عَن إِبْرَاهِيم الْحَرْبِيّ أَنه سُئِلَ عَن تعمير الْخضر فَأنْكر ذَلِك وَقَالَ: هُوَ متقادم المَوْت[١].

٢ - هذا النقل بواسطة رجل مجهول! وقد فتشنا في كتب (الحربي) فلم نجد تلك النسبة فيها.

القول الثالث: وَابْنُ الْمُنَادِيُّ كان يقبح قَوْلَ إِنَّهُ حَيٌّ[٢].

ويجاب:

١ - أَحْمَد بْن جَعْفَرِ بْن المنادي (المتوفىٰ ٢٣٦هـ)، ذكره ابن أبي يعلىٰ الفراء (المتوفىٰ ٥٢٦هـ) في طبقات الحنابلة[٣]. وقد ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه (الزهر النضر) أنه جمع جزءاً في أخبار الخضر عليه السلام واعتمده في إعداد مصنفه هذا[٤].

٢ - قد كان شديد التعصب للحنابلة فكان يقول: (إن أول عقدة تحل من الزندقة أن يكون الخضر نبياً)[٥]. بحجة أن الأشاعرة المتصوفة يرون أن الولي أعظم منزلة من النبي، وبالتالي اضطر ابن المنادي لأن يقول بنبوة الخضر.

٣ - ليس ببعيد أنه يرىٰ موت الخضر عليه السلام لما علم أن كتب الشيعة الحديثية تنص أن للمهدي عجل الله فرجه غيبة طويلة، وبالتالي يردون علىٰ منكر حياته للأكثر من ألف عام قياساً عليه، ووجه عدم بُعد ذلك تعصبه الأعمىٰ علىٰ الشيعة.

القول الرابع: الأَحَادِيثُ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْخَضِرُ وَحَيَاتُهُ كُلُّهَا كِذْبٌ وَلا يَصِحُّ فِي حَيَاتِهِ حَدِيثٌ وَاحِدٌ[٦].

---

١. الموضوعات: ج١، ص١٩٩.

٢. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٧٢.

٣. طبقات الحنابلة: ج٢، ص٣، في (ذكر الطبقة الثانية بَابُ الألف).

٤. قال ابن حجر: وكنت قد جمعت في ذلك مما صنف فيه بخصوصه من القدماء أبو الحسين بن المنادي [الزهر النضر في حال الخضر: ص٨٥].

٥. قصة موسىٰ والخضر عليهما السلام: ص٤.

٦. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ج١، ص٦٧.

ويجاب:

١ - دعوىٰ (لا يصح حديث واحد) مردودة بورود العديد من الأحاديث في حياته، ونحن نكتفي بما رواه يعقوب بن سفيان الفسوي (المتوفىٰ ٢٧٧هـ) في (تاريخه). قال: (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: حَدَّثَنَا ضمرة عن السري بن يحي عَنْ رِيَاحِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلاً يُمَاشِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُعْتَمِداً عَلَىٰ يَدَيْهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ جَافٍ، قَالَ: فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْتُ: مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ مُعْتَمِداً عَلَىٰ يَدِكَ آنِفاً؟ قَالَ: وَهَلْ رَأَيْتَهُ يَا رِيَاحُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا رَجُلاً صَالِحاً، قَالَ: ذَاكَ أَخِي الْخَضِرُ بَشَّرَنِي أَنِّي سَأَلِي وَأَعْدِلُ)[١].

قال الذهبي: رواها يعقوب الفسوي في تاريخه عن محمد بن عبد العزيز عن ضمرة وإسناده جيد[٢]. وقال ابن حجر: هذا أصلح إسناد وقفت عليه في هذا الباب[٣].

٢ - الأخبار الواردة في حياة الخضر عليه السلام كثيرة جداً حتىٰ بلغت حد التواتر المعنوي، لأن كَثْرَة الناقلين للْأَخْبَار الدَّالَّة علىٰ استمراره، حتىٰ لو كانت أسانيدها واهية، فإنها متواترة.

قال الحافظ ابن حجر: ربما عرفت شبهة من جهة كثرة الناقلين للأخبار الدالة علىٰ استمراره فيقال: هب أن أسانيدها واهية إذ كل طريق منها لا يسلم من سبب يقتضي تضعيفها فماذا يصنع في المجموع فإنه علىٰ هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي[٤].

---

١. المعرفة والتاريخ: ج١، ص٥٧٧.
٢. تذكرة الحفاظ: ج١، ص٩٠.
٣. الإصابة في تمييز الصحابة: ج٢، ص٢٧٨.
٤. الزهر النضر في حال الخضر: ص١٦٢.

المعود
ALMAUOOD

الملاحم قبل ظهور القائم عجل الله فرجه

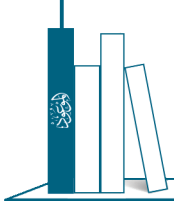

الشيخ عبد الرسول الغفاري

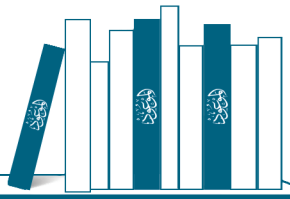

الملاحم: جمع ملحمة، وأصلها المعركة التي يلتحم فيها الناس، وتطلق على الأحداث الكبيرة.

وفي مقدمة هذه الملاحم الحركات الدموية التي تعمّ الشرق والغرب ويهلك فيها خلق كثير، ومنها:

١ - حركات (مارقة):

في مصادر عديدة جاءت الأخبار لتشخّص هوية بعض الحركات التي تظهر سواء في الشرق أم الغرب، وعبّر عنها الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام بالمارقة، وهذا يعني أنّ أغلبها تطلب الرئاسة والتسلط على رقاب الناس، فلا يهمّها الفساد والقتل والنهب، بل همّها السلطة.

جاء في كتاب الغيبة للنعماني بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام مخاطباً جابر بن يزيد الجعفي: «يا جابر، الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتّى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها:

أوّلها: اختلاف بني العباس، وما أراك تدرك ذلك، ولكن حدِّث به من بعدي عنّي، ومنادٍ ينادي من السماء، ويجيئكم صوت من ناحية دمشق

بالفتح، وتخسف قرية من قرىٰ الشام تسمّىٰ الجابية[١]، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هرج الروم، وسيقبل إخوان الترك حتّىٰ ينزلوا الجزيرة، ويستقبل مارقة الروم حتّىٰ ينزلوا الرملة، فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كلّ أرض من ناحية المغرب، فأول الأرض تخرب أرض الشام ثمّ يختلفون عند ذلك علىٰ ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون فيقتله السفياني ومن تبعه، ثمّ يقتل الأصهب، ثمّ لا يكون همّه إلّا الإقبال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيساء[٢]، فيقتتلون بها فيقتل بها من الجبارين مائة ألف، ويبعث السفياني جيشاً إلىٰ الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً، فبيناهم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان وتطوي المنازل طيّاً حثيثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم عليه السلام...»[٣].

وقد عبّر عن تلك الحركات المارقة بالفتن وما يطرأ علىٰ رجالها من المسخ والقتل.

عن علي بن أبي حمزة، عن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام في قوله جلّ وعلا: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)، قال: الفتن في الآفاق، والمسخ في أعداء الحق[٤].

يبدو - والله العالم - أنّ الآفاق هي جميع البلدان والممالك، لا تكون بين الملائكة، والفتن إنما هي بين أبناء البشر أصحاب الرئاسة والسياسة الذين

١. الجابية: قرية من أعمال دمشق، ثمّ من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر.

٢. قرقيساء: بلد علىٰ الخابور وهي بالقرب من مجرىٰ الفرات.

٣. الغيبة، أبو زينب النعماني: ص٨٨؛ الإرشاد، للشيخ المفيد: ٢/ ٣٧٢؛ غيبة الطوسي: ٤٤١؛ إعلام الورىٰ: ص٤٢٧؛ الفصول المهمة: ص٣٠١؛ الاختصاص: ٢٥٥؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ٢١٢.

٤. الإرشاد، للشيخ المفيد: ٢/ ٣٧٢؛ إعلام الورىٰ: ص٤٢٨؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٢١، ح٨٣.

يتكالبون على حطام الدنيا، وهم المتسلطون على رقاب الضعفاء من الناس، ولمّا كان التكالب من قبل تلك الحكومات على المنافع المادية والسيطرة على الموارد الطبيعة فقطعاً ستكون بينهم فتن وحروب وقتل ودمار، كما هو المصرح في هذه الرواية وروايات عديدة.

ثمّ أفصح الإمام عليه السلام عن الويلات والمصائب التي تداهم العديد من البلدان والمدن التي لها تاريخ سابق كالبصرة والأهواز وقرقيسيا والزوراء - بغداد - وربما هناك بلدان وأمصار قد يصيبها ذلك الدمار ولم يذكرها الإمام عليه السلام أو لم يصلنا ذلك.

إنّ لحن الخطاب لا يأبى ذلك الدمار لبلدان أخرى، نعم ختم الإمام عليه السلام حديثه بالويل لأهل الشام، والويل لأهل الكوفة، والويل لأهل يثرب، والويل لأهل فسطاط مصر، ثمّ الري، والويل لأهل خراسان، والويل لأهل قزوين، والويل لهمذان، والويل لأصبهان، يشعرك الإمام عليه السلام أنّ هناك دماراً شاملاً وبنسب متفاوتة، وأن هناك دماراً قاسياً تتعرض له بلدان شيعية، وهذا الدمار أشد من سابقه، كأنما العالم - شرقه وغربه - يسعى للقضاء على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام أينما وجدوا، وهذه الفكرة بدت بوادرها من ملوك الوهابية وأذنابهم ومن لاذ بقوى الاستكبار العالمي المسيحي واليهودي.

٢ - راية الشروسي، موطنه أرمينيا:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا قام أهل العراق على قائدهم وملكهم في النصف من شهر رمضان فقتلوه فتحكم فئة أموية، ثمّ يحكم ولاة ظلمة، ثمّ فئة عباسية، ثمّ بعدها يأتي (الشروسي) من بلاد أرمينية على أذربيجان حتّى يدخل العراق، فارتقبوا بعد ذلك ظهور المهدي عليه السلام»[١].

١. كمال الدين: ص٤٣٧؛ بشارة الإسلام: ص٩١؛ بيان الأئمة: ١/ ٢٣١.

٣ - راية الأعرج الكندي، موطنه المغرب:

يخرج الأعرج الكندي بالمغرب ويدوم القتال بينهم سنة ثمّ يغلب السفياني علىٰ الأبقع والأصهب ويسير صاحب الغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثمّ يرجع ينزل الجزيرة - في قيس - إلىٰ السفياني عليه[١]، ويحوز ما جمعوا من الأموال، ويظهر علىٰ الرايات الثلاث، ثمّ يقاتل الترك فيظهر عليهم، ثمّ يفسد في الأرض ويدخل الزوراء فيقتل من أهلها[٢].

٤ - راية الشيصباني، موطنه الكوفة:

روىٰ ابن أبي زينب النعماني بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن السفياني، فقال عليه السلام: «وأنّىٰ لكم بالسفياني، حتّىٰ يخرج قبله الشيصباني، يخرج من أرض كوفان ينبع كما ينبع الماء فيقتل وفدكم، فتوقعوا بعد ذلك السفياني وخروج القائم عليه السلام».

الشيصباني طاغية العراق، وقد يرد في تعبير الأئمة عليهم السلام بـ(الشيطاني)، يستعملونه للطواغيت والأشرار، أمّا عبارة الإمام عليه السلام «ينبع كما ينبع الماء» فيه عدة احتمالات؛ منها:

أن يكون حكمه بنحو غير متوقع ، أو حكمه يسري في الآفاق ويكون سفّاكاً، يقتل عليّة القوم، والوفد هو الوجهاء ورؤساء العشائر أو كبار المؤمنين الذين يتقدمون الوفد عادة، ويكون قبل السفياني بفترة قليلة، بشاهد قول الإمام عليه السلام: «فتوقعوا بعد ذلك السفياني»[٣].

---

١. عليه: أي يظهر عليه بالغلبة.

٢. شرح إحقاق الحق، المرعشي: ٢٩/ ٣٣٩.

٣. غيبة النعماني: ص٣١٤؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٥٠، ح١٣٦.

والشيصباني في اللغة اسم من أسماء الشيطان[١]، وهو في أحاديث أهل البيت عليهم السلام كناية عن رجل من أعدائهم سيئ أو مغمور، لم يكن له ذكر من قبل.

ويقال لذكر النمل: شيصبان، وفي بعض كلمات الأئمة عليهم السلام يصفون فيها بني العباس ببني شيصبان.

عن الشيخ المفيد في الروضة، عن ابن أبي عمير، عن الوليد بن صبيح الكابلي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «من سوّد اسمه في ديوان بني شيصبان حشره الله يوم القيامة مسودًّا وجهه»، وبني شيصبان كناية عن بني العباس[٢].

٥ - راية السفياني - موطنه الشام (الوادي اليابس):

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل ربعة وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر الجدري، إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفيان»[٣].

ووقع خلاف في اسم أبيه، قال المقدسي في عقد الدرر[٤]: أنّ السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، ولعل التعدد في أسماء الأب من جهة الأب المباشر أو من يقع في عمود نسبه، ولذا فإن اختلاف الاسم فيه مما لا يضر بعد شيوع الاختلاف في الأسماء لعدة جهات، ليس محل ذكرها هنا.

وفي غيبة الطوسي عن بشر بن غالب، قال: يقبل السفياني من بلاد الروم متنصِّراً في عنقه صليب، وهو صاحب القوم[٥].

١. القاموس المحيط: ج١، ص٨٧.
٢. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري كتاب التجارة: باب ٣٥/ ١٣/ ١٢٦.
٣. غيبة النعماني: ص٣٠٦، باب ١٩.
٤. عقد الدرر: ص٧٢.
٥. غيبة الطوسي: ص٢٧٨.

ماذا نفهم من هذا الخبر؟

الجواب: يبدو - والله العالم - أنّ السفياني إن لم يكن نصرانياً بل هو ممن نشأ في بلاد النصارىٰ وتأثّر بهم، وما الصليب في عنقه إلّا افتخار واعتزاز بذلك.

السفياني ينتهي نسبه إلىٰ معاوية بن أبي سفيان:

في كتاب سُليم بن قيس، من كتاب الإمام علي عليه السلام إلىٰ معاوية، جاء فيه: «يا معاوية، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبرني أنّ بني أمية سيخضبون لحيتي من دم رأسي، وأنّي مستشهد، وستلي الأُمّة من بعدي، وإنّك ستقتل ابني الحسن عليه السلام غدراً بالسّم، وأنّ ابنك يزيد سيقتل ابني الحسين عليه السلام، يلي ذلك منه ابن زانية، وأنّ الأُمّة سيليها من بعدك سبعة من ولد أبي العاص وولد مروان بن الحكم، وخمسة من ولده، تكملة اثني عشر إماماً قد رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله يتواثبون علىٰ منبره تواثب القردة، يردّون أُمّته عن دين الله علىٰ أدبارهم القهقري، وأنّهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وأنّ الله سيخرج الخلافة منهم برايات سود تقبل من المشرق يذلّهم الله بهم ويقتلهم تحت كلّ حجر، وأنّ رجلاً من ولدك مشوم ملعون، جلف جاف، منكوس القلب، فظ غليظ، وقد نزع الله من قلبه الرأفة والرحمة، أخواله من كلب، كأنّي أنظر إليه، ولو شئت لسمّيته ووصفته وابن كم هو، فيبعث جيشاً إلىٰ المدينة فيدخلونها، فيسرفون فيها في القتل والفواحش، ويهرب منهم رجل من ولديّ، زكيّ نقي، الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وإنّي لأعرف اسمه وابن كم هو يومئذٍ وعلامته، وهو من ولد ابني الحسين الذي يقتله ابنك يزيد، وهو الثائر بدم أبيه فيهرب إلىٰ مكّة، ويقتل صاحب ذلك الجيش رجلاً من ولدي

زكياً بريّاً عند أحجار الزيت، ثمّ يسير ذلك الجيش إلىٰ مكّة، وإنّي لأعلم اسم أميرهم وأسمائهم وسمات خيولهم، فإذا دخلوا البيداء واستوت بهم الأرض خسف الله بهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]»، قال: «من تحت أقدامهم[١]، فلا يبقىٰ من ذلك الجيش أحد غير رجل واحد يقلب الله وجهه من قبل قفاه، ويبعث الله للمهدي أقواماً يجمعون من الأرض قزعاً كقزع الخريف، والله إنّي لأعرف أسماءهم واسم أميرهم، ومناخ ركابهم»[٢].

أقول: إنّ العداء بين بني أمية وبني هاشم متأصّل، فلا تجد زماناً من الأزمنة إلّا وبنو أُمية أشد أعداء أهل البيت عليهم السلام، وهذا العداء مستمر حتّىٰ ظهور الإمام المهدي عجّل الله فرجه.

في معاني الأخبار، عن الحكم بن سالم عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله، وقاتل معاوية علي بن أبي طالب عليه السلام، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي عليه السلام، والسفياني يقاتل القائم عليه السلام»[٣].

الرقعة الجغرافية التي يحكمها السفياني:

في غيبة النعماني: عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا استولىٰ السفياني علىٰ الكور الخمس فعدّوا له تسعة أشهر»، وزعم هشام أنّ الكور الخمس: دمشق وفلسطين والأردن، وحمص وحلب[٤].

١. أي أخذوا من تحت أقدامهم وهي كناية عن القرب.
٢. كتاب سليم بن قيس: ص١٩٧.
٣. معاني الأخبار: ص٣٤٦؛ وعنه في بحار الأنوار: ٥٢/ ١٩٠.
٤. غيبة النعماني: ص٣٠٤.

في كمال الدين، عن عبد الله بن أبي منصور البجلي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اسم السفياني، فقال: «وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين، فتوقعوا عند ذلك الفرج»، قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: «لا، ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً»[١].

وفي غيبة النعماني، عن عيسىٰ بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «السفياني من المحتوم وخروجه في رجب، ومن أول خروجه إلىٰ آخره خمسة عشر شهراً، ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر، ولم يزد عليها يوماً»[٢].

٦ - راية الأبقع، موطنه الشام:

الأبقع: ما خالط بياضه لون آخر[٣].

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنّ أهل الشام يختلفون عند ذلك علىٰ ثلاث رايات: الأصهب والأبقع والسفياني»[٤].

ممّا قاله الإمام الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي: «الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتّىٰ ترىٰ علامات أذكرها، وما أراك تدرك ذلك، اختلاف بني العباس، ومنادٍ ينادي من السماء، وخسف قرية من قرىٰ الشام تسمىٰ الخابية [الجابية]، ونزول الترك الجزيرة، ونزول الروم الرملة، واختلاف كثير

١. كمال الدين: ٢/ ٦٥١؛ إعلام الورىٰ: ص٤٢٨؛ منتخب الأنوار المضيئة: ص١٧٧؛ إثبات الهداة: ٣/ ٧٢١.
٢. غيبة النعماني: ص٢٩٩.
٣. لسان العرب لابن منظور المصدي: ١/ ٤٦١.
٤. كنز العمال، المتقي الهندي: ١١/ ٣٨٤، ح٣١٥٣٦.

عند ذلك في كلّ أرض حتّىٰ يخرب الشام، ويكون سبب خرابها اجتماع ثلاث رايات فيها: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني»[١].

٧ - راية خزيمة:

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: «... خروج السفياني براية خضراء وصليب من ذهب، أميرها رجل من كلب [في] اثني عشر عنان من خيل يحمل السفياني متوجهاً إلىٰ مكّة والمدينة، أميرها أحد بني أمية يقال له: خزيمة»[٢].

الظاهر أنّه أحد أُمراء جيش السفياني ولا يبعد أنّه من كلب غير أن صريح الرواية ورد فيها الضمير مؤنثاً (أميرها) أي أمير مكة والمدينة وهو من بني أُميّة واسمه خزيمة.

٨ - راية الجرهمي، موطنه الشام:

قال كعب الأحبار: (... يخرج الأصهب من بلاد الجزيرة، ثمّ يخرج من بعده الجرهمي من الشام).

أقول: بلاد الجزيرة هي المنطقة الواقعة شرقي سوريا المتاخمة للحدود العراقية، فهي منطقة مشتركة بين العراق من حدود الموصل إلىٰ الأنبار وبين سوريا، تسمىٰ بلاد الجزيرة[٣].

---

١. تفسير العياشي: ١/ ٦٤؛ غيبة النعماني: ص٢٧٩؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص٢٨٣ ط الغري؛ ينظر: الإرشاد: ٢/ ٣٧٢؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٦٩؛ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب - علي اليزدي الحائري: ٢/ ١٢٨.

٢. مختصر بصائر الدرجات: ص١٩٤؛ الكتاب المبين: ٤/ ٣١٤.

٣. شرح إحقاق الحق، الهامش: ٢٩/ ٢٩٢، وينظر: شرح الإحقاق: ١٣/ ٢٥٥.

٩ - راية الأصهب، موطنه الشام:

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «يا بريد اتَّقِ جمع الأصهب»، قلت: وما الأصهب؟ قال: «الأبقع»، قلت: وما الأبقع؟ قال: «الأبرص، واتَّق السفياني واتَّقِ الشريدين من ولد فلان يأتيان مكة، يقسّمان بها الأموال، يتشبّهان بالقائم عليه السلام، واتَّقِ الشذّاذ من آل محمد»[١].

جاء في شرح إحقاق الحق - الهامش - قال كعب الأحبار: أوّل من يخرج ويغلب علىٰ البلاد الأصهب، يخرج من بلاد الجزيرة ثمّ يخرج من بعده...[٢].

أقول: والأصهب اسم للأسد، وقيل الأصفر الوجه، وفي الصحاح: الشقرة في شعر الرأس[٣].

تؤكد الروايات من الطرفين أنّ الشام - في عصر ما قبل الظهور - مركز لحركات مناوئة لأهل البيت عليهم السلام، وفيها تخرج رايات ثلاثة وكلّها منحرفة متمرّدة، أصحابها طغاة، همّهم الرئاسة ولو بسفك الدماء المحرمة وهتك الأعراض، والتعدّي علىٰ ذوي النفوس الأبيّة.

ما جاء في الأصهب في مصادر العامة:

روىٰ ابن حماد في الفتن بإسناده عن كعب، قال: (إذا دارت رحا بني العباس وربط أصحاب الرايات السود خيولهم بزيتون الشام، ويهلك الله بهم الأصهب ويقتله وعامة أهل بيته علىٰ أيديهم حتماً لا يبقىٰ أموي منهم

١. بحار الأنوار: ٥/ ٢٦٩؛ ينظر: الإرشاد: ٢/ ٣٧٢.

٢. شرح إحقاق الحق: ٢٩/ ٢٩٢، أقول: والشذاذ من آل محمد، قيل هم الزيدية ونسبتهم إلىٰ آل محمد لأنّهم من نسل فاطمة عليها السلام.

٣. الصحاح للجوهري: ج١، ص١٦٦.

إلّا هـرب أو مختفـي، وتسـقط الشـعبتان بنـو جعفـر وبنـو العبـاس، ويجلـس ابـن آكلـة الأكبـاد عـلىٰ منـبر دمشـق، ويخـرج البربـر إلىٰ سرة الشـام، فهـو علامـة خـروج المهـدي)[١].

وقولـه: (ويهلـك الله بهـم الأصهـب)، لعـل المـراد بهـا أن الله تعـالىٰ يهلـك الأصهـب بهـؤلاء لقولـه: (يهلـك بهـم) فمتعلـق الإهـلاك بهـؤلاء هـو الأصهـب بقرينـة مـا بعدهـا.

كـما يفهـم مـن هـذه الروايـة أن هنـاك صراعـاً دمويـاً بـين ثـلاث أُسَر: أُسرة بنـي العبـاس وبنـي جعفـر وبنـي أُميـة، وكلهـا خـاسرة لأنّهـا رايـة ضـلال.

راية عبد الله:

عـن الإمـام الصـادق عليه السلام، قـال: «مـن يضمـن لي مـوت عبـد الله أضمـن لـه [خـروج] القائـم»، ثـمّ قـال: «إذا مـات عبـد الله لم يجتمـع النـاس بعـده عـلىٰ أحـد ولم يتنـاه هـذا الأمـر دون صاحبكـم إن شـاء الله، ويذهـب ملـك السـنين ويصـير ملـك الشـهور والأيـام»، فقلـت: يطـول ذلـك؟ قـال: «كلا».

١٠ - راية الأخوص:

عـن جابـر عـن أبي جعفـر عليه السلام قـال: «إذا ظهـر الأبقـع مـع قـوم ذوي أجسـام فتكـون بينهـم ملحمـة عظيمـة ثـم يظهـر الأخـوص السـفياني الملعـون فيقاتلهـا جميعـاً فيظهـر عليهـما جميعـاً، ثـم يسـير إليهـم منصـور اليـماني مـن صنعـاء بجنـوده...»[٢].

---

١. الفتن، نعيم بن حماد: ص٨٤.

٢. الفتن للمروزي: ص١٧٤.

١١ - راية عوف السلمي، موطنه الجزيرة (تكريت):

روىٰ حذلم بن بشير، قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: صف لي خروج المهدي، وعرّفني دلائله وعلاماته.

فقال عليه السلام: «يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له: عوف السّلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت، وقتله بمسجد دمشق»[١].

أرض الجزيرة تكون مركز حركته، وهي اسم لمنطقة حدودية بين العراق وسوريا، وقد تسمّىٰ جزيرة ربيعة أو ديار بكر، يأوي إلىٰ تكريت وهي قرية معروفة في العراق.

يبدو من مجموع الأخبار والروايات، أن هناك أحداثاً متزامنة في العراق وسوريا وحركات عديدة، منها حركة السلمي، وفي نهاية حركته يقبض عليه ويقاد إلىٰ مسجد دمشق ويقتل فيه.

١٢ - رايات من مصر:

عن الفضل بن شاذان، عن معمر بن خلّاد، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «كأنّي برايات من مصر مقبلات، خضر، مصبغات، حتّىٰ تأتي الشامات فتهدىٰ إلىٰ ابن صاحب الوصيات»[٢].

وعن علي بن أسباط، عن الحسن بن الجهم، قال: سأل رجل أبا الحسن عليه السلام عن الفرج، فقال: «تريد الإكثار أم أجمل لك»؟ قال: بل تجمل لي، قال: «إذا ركزت رايات قيس بمصر، ورايات كندة بخراسان»[٣].

---

١. الخرايج: ٣/ ١١٥٥، باب ٢٠، ح٦١؛ إثبات الهداة: ٣/ ٧٢٧، باب ٣٤، فصل ٦، ح٥٢؛ منتخب الأنوار المضيئة: ص٣١، فصل ٣؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ٢١٣، باب٢٥، ح٦٥؛ الكتاب المبين: ٤/ ٣١٨؛ غيبة الطوسي: ص٢٧٠؛ بشارة الإسلام: ص٨٣، باب ٥.

٢. الإرشاد للمفيد: ٢/ ٣٧٥.

٣. المصدر نفسه: ٢/ ٣٧٥؛ الغيبة للطوسي: ص٤٤٨؛ إعلام الورىٰ: ص٤٢٩.

في الملاحم والفتن لابن طاووس بإسناده عن نعيم عن سعيد أبي عثمان، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إذا بلغ العباسي خراسان طلع من المشرق (القرن ذو الشفا)، وكان أول ما طلع أمر الله بهلاك قوم نوح غرقهم الله، وطلع في زمن إبراهيم حيث ألقوه في النار، وحين أهلك الله فرعون ومن معه، وحين قتل يحيىٰ بن زكريا، فإذا رأيتم ذلك فاستعيذوا بالله من شرّ الفتن، ويكون طلوعه بعد انكساف الشمس والقمر، ثمّ لا يلبثون حتّىٰ يظهر الأبقع بمصر»[1].

بيان ينبغي الالتفات إليه:

ماذا نفهم من كلمة (القرن ذو الشفا) الخبر ورد في الملاحم والفتن لابن حماد باب ٦٢ من خلال القرائن التي ذكرت في الخبر قد نفهم أنّ هلاك قوم نوح عليه السلام كانت له بوادر ومقدمات منها طلوع (القرن ذو الشفا).

وكلمة طلوع في سياق النص يعود إلىٰ نجم أو كوكب وما شابه في طلوعه كان هلاك قوم نوح عليه السلام.

ثمّ هلاك النمرود لمّا ألقىٰ إبراهيم عليه السلام في النار، فكان هناك طلوع لذلك القرن.

ثمّ في هلاك فرعون كان له طلوع.

ثمّ حين قتل يحيىٰ عليه السلام كان للقرن طلوع.

إذن هذا النص يقدّم لنا اسماً جديداً أنّه (المذنب ذو الشفا) أي إنه ذا طرفين، وظهوره أيضاً في آخر الزمان.

---

١. الملاحم والفتن لابن طاووس: ص١٠٣؛ عقد الدرر: ص١٠٩، باب ٦٣، ح٧٥.

وفي الملاحم لحماد: إذا اجتمع الترك والروم وخسف بقرية بدمشق وسقط طائفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات: الأبقع والأصهب والسفياني، ويحصد بدمشق رجل فيقتل ومن معه، ويخرج رجلان من بني أبي سفيان فيكون الظفر للثاني، فإذا أقبلت مادة الأبقع[١] من مصر ظهر السفياني بجيشه...[٢].

وهناك أخبار أخرىٰ تحكي عن الأحداث التي تسبق ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه في مصر، من ذلك:

(لا يظهر المهدي عليه السلام حتّىٰ يسيطر الكفار علىٰ نيل مصر، ويكون من أنصاره النجباء من مصر.

ويحكم مصر رجل أخنس فيغلب علىٰ ملكه فيفر ويأتي بالروم إلىٰ مصر وذلك أوّل الملاحم.

ويخرج أهل المغرب إلىٰ مصر قرب خروج السفياني ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد صلى الله عليه وآله.

ويكون أهل المغرب بالشام فيخرج السفياني ويردهم إلىٰ مصر، ويأتي أنصارٌ للأبقع من مصر فيغلبه السفياني.

وإذا ظهر الأبقع مع قوم ذوي أجسام فتكون بينهم ملحمة عظيمة، وإذا اختلفت كلمتهم - كلمة أصحاب الرايات السود - وطلع القرن ذو الشفا لم يلبثوا إلّا يسيراً حتّىٰ يظهر الأبقع بمصر، يقتلون الناس حتّىٰ يبلغوا إرم، ثمّ يثور المشوّه عليه فتكون بينهما ملحمة عظيمة)[٣].

---

١. مادة الأبقع: أنصاره.

٢. ملاحم ابن حماد: ص٧٦.

٣. الفتن لابن حماد: ص٧٦ و٧٨.

أقول: إنّ اختلاف كلمتهم ربما هي إشارة إلىٰ اختلاف أهل الشام، وبذلك تكون الرايات الثلاث.

وفي كتاب الفتن لنعيم بن حماد، بإسناده عن ابن الحنفية، قال: (إذا ظهر السفياني علىٰ الأبقع دخل مصر، فعند ذلك خراب مصر)[1].

وفيه بإسناده عن كعب، قال: (لتفتنّ مصر كما تفتّ البعرة).

إذا صحّ الخبر فإنّ مصر تكون معرضاً لجيوش قادمة من المغرب ومن الشرق، لأنّ الرايات الثلاث - الأصهب، والأبقع والسفياني - مصدرها الشام والاقتتال يكون في دمشق وحواليها ويمتد إلىٰ فلسطين، ولمّا تكون الغلبة للسفياني يتّجه إلىٰ مصر، وهكذا يغزو العراق والحجاز، ويكون الخراب والقتل ديدنه، فما ورد في شأن الأبقع أنّه يخرج في مصر، أنّه خروج أنصاره ومؤيديه منها وإلّا فإنّ حركته في الشام، علىٰ أنّ بعض الروايات صرّحت أنّ الأبقع أصله من مصر، ولا ينافي أن تكون حركته من الشام ومؤيدوه من مصر.

١٣ - راية اليماني، موطنه اليمن:

عن أبي جعفر عليه السلام: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، وفي شهر واحد، في يوم واحد، ونظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كلّ وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات أهدىٰ من راية اليماني، هي راية هدىٰ، لأنّه يدعو إلىٰ صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح علىٰ الناس وكلّ مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإن رايته راية

١. الفتن، نعيم بن حماد: ص١٧٤، لهبة الله بن أبي محمد الحسن الموسوي، المعاصر للعلامة، معارج اليقين في أصول الدين، للشيخ محمد السبزواري: ص٣٩٧.

هدىٰ، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنّه يدعو إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم»[١].

١٤ - راية القحطاني، موطنه اليمن:

قال الفضل بن شاذان في كتابه (مختصر إثبات الرجعة):

(ثمّ يخرج الجرهمي من بلاد الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن، ولكلّ واحد من هؤلاء شوكة عظيمة في ولايتهم، ويغلب علىٰ أهلها الظلم والفتنة منهم، فبيناهم كذلك يخرج عليهم السمرقندي من خراسان مع الرايات السود...)[٢].

وروي أنّ القحطاني يحكم بعد الإمام المهدي عجل الله فرجه، وأنّه عماني، يفتح مدينة الروم ويقتل قريشاً.

١٥ - راية الحارث والمنصور:

يخرج رجل يقال له: الحارث، علىٰ مقدمته رجل يقال له: المنصور يمكّن لآل محمد، واجب علىٰ كلّ مؤمن نصره، ويلقب بالحارث كما يلقب المهدي بالجابر[٣].

١٦ - راية الخراساني:

عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «لابدّ أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم، خرج عليهم الخراساني والسفياني، هذا من المشرق،

---

١. غيبة النعماني: ص٢٥٩؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ١٣٥ و٢١٠؛ غيبة الطوسي: ص٢٧١؛ أمالي الطوسي: ٢/ ٢٧٥؛ الكتاب المبين: ٤/ ٣٣١.

٢. مختصر إثبات الرجعة، الفضل بن شاذان: ح١٦؛ عنه مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت عليهم السلام: ح١٥/ ٢١٤.

٣. شرح إحقاق الحق، المرعشي: ٢٩/ ٣٣٩.

وهـذا مـن المغـرب، يسـتبقان إلىٰ الكوفـة كفـرسي رهـان، هـذا مـن ههنـا، وهـذا مـن ههنـا، حتّـىٰ يكـون هلاكهـم عـلىٰ أيديهـما، أمـا أنّهـما لا يبقـون منهـم أحـداً أبـداً»[١].

وفي شرح إحقـاق الحـق: (ويثـور أهـل خراسـان بعسـاكر السـفياني فتكـون بينهـم وقعـات، فـإذا طـال عليهـم قتالـه بايعـوا رجـلاً مـن بنـي هاشـم بكفّـه اليمنـىٰ خـال، سـهّل الله أمـره وطريقـه، ... وهـو حينئـذٍ بآخـر المـشرق بأهـل خراسـان وطالقـان ومعـه رايـات السـود الصغـار وهـي غـير رايـات بنـي العبـاس، عـلىٰ مقدمتـه رجـل مـن بنـي تميـم المـوالي ربعـة أصفـر قليـل اللحيـة كوسـج)[٢].

١٧ - راية الحسني، موطنه خراسان:

عـن أمـير المؤمنـين عليه السلام، قـال: «ويلحقـه الحسـني في اثنـي عـشر ألفـاً، فيقـول لـه: أنـا أحـق منـك بهـذا الأمـر، فيقـول لـه: هـات علامـة، هـات دلالـة، فيومـئ إلىٰ الطـير فيسـقط عـلىٰ كتفـه، ويغـرس القضيـب الـذي بيـده فيخـضر ويعشوشـب، فيسـلّم إليـه الحسـني الجيـش، ويكـون الحسـني عـلىٰ مقدمتـه»[٣].

ومثلـه في عقـد الـدرر[٤]، وفيـه: (قـال: وتسـير الجيـوش حتّـىٰ تصـير بـوادي القـرىٰ في هـدوء ورفـق ويلحقـه هنـاك ابـن عمّـه الحسـني في اثنـي عـشر ألـف فـارس، فيقـول: يـا بـن عـم، أنـا أحـق بهـذا الجيـش منـك، أنـا ابـن الحسـن، وأنـا المهـدي، فيقـول المهـدي عليه السلام: بـل أنـا المهـدي، فيقـول الحسـني: هـل لـك مـن آيـة

١. بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٧٢.

٢. هامـش شرح إحقـاق الحـق: ٢٩/ ٣٣٩؛ أهـوال يـوم القيامـة وعلاماتهـا الكـبرىٰ، محمـد السـفاريني، ص٢٥ ط دار المنـار القاهـرة.

٣. الملاحم والفتن، لابن طاووس: ص٢٩٦، وص١٤٥؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٤٢ باب ٢٥؛ بشارة الإسلام: ص١٣٣.

٤. عقد الدرر: ص٩٠.

فنبايعك؟ فيومئ المهدي عليه السلام إلىٰ الطير فتسقط علىٰ يده، ويغرس قضيباً في بقعة من الأرض فيخضرّ ويورق، فيقول له الحسني: يا بن عم هي لك، ويسلّم إليه جيشه ويكون علىٰ مقدمته واسمه علىٰ اسمه).

ونحوه في إلزام الناصب مع زيادة: (فينظر المهدي إلىٰ طير في الهواء فيومئ إليه فيسقط في كفّه، فينطق بقدرة الله تعالىٰ ويشهد له بالإمامة، ثمّ يغرس قضيباً في بقعة من الأرض ليس فيها ماء فيخضرّ ويورق، ويأخذ جلموداً كان في الأرض من الصخر، فيفركه بيده ويعجنه مثل الشمع...)[1].

١٨ - راية شعيب بن صالح تخرج من خراسان:

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «إذا خرجت خيل السفياني إلىٰ الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيلتقي هو والهاشمي برايات سود علىٰ مقدمته: شعيب بن صالح».

وعن عمار بن ياسر، قال: (إذا بلغ السفياني الكوفة، وقتل أعوان آل محمد خرج المهدي عليه السلام علىٰ لوائه شعيب بن صالح).

نفهم من هذه الرواية أنّ راية شعيب بن صالح لم تكن في هدفها الاستقلالية في حركتها ودعواها، بل هي تحت راية الإمام المهدي عجل الله فرجه[2].

١٩ - راية وحركة الدجّال:

إطلالة علىٰ هوية الدجال:

ينبغي متابعة الروايات والأخبار الواردة في شأن الدجال ومعرفة هويته وحركته من مصادر أهل البيت عليهم السلام، علىٰ أنّها مصادر موثقة من جانب، وهي

١. إلزام الناصب: ٢/ ١٧٨.

٢. غيبة الطوسي: ص٢٧٨؛ الفتن، لابن حماد: ١/ ٣١٤؛ الملاحم - ابن طاووس: ص٥٣؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٠٧.

أخبار تختلف عمّا ورد في المصادر السنيّة من جهة أخرىٰ، كما أنّها روايات تخلو من تعارض أو تناقض، هذا من جهة ثالثة فهي كما ترىٰ علىٰ العكس من روايات المصادر السنّية التي تعارض بعضها البعض الآخر، ومن جهة رابعة أنّ مصادر أهل البيت عليهم السلام ليس فيها التضخيم والمبالغة.

وما يستخلص من الروايات نجعله في نقاط:

أوّلاً: الدجال يهودي العقيدة.

ثانياً: يقوم بحركة عالمية مضادة لحركة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

ثالثاً: أتباع الدجال من اليهود والنواصب والشذّاذ والمومسات.

رابعاً: في مقابل التطور العلمي الذي يحققه الإمام المهدي عجل الله فرجه يستعمل الدجال الشعبذة والسحر.

خامساً: بعد سيطرة الدجال علىٰ عقول الضعفاء وأصحاب الهوىٰ ينتهي به المطاف أن يدَّعي الربوبية.

سادساً: الأخبار التي يرويها كعب الأحبار قد جعلت خروج الدجال بعد فتح القسطنطينية مباشرة، ثمّ بعدها بسبع سنوات يكون قيام الساعة، وهذه الأخبار مصادرها سنّية وليست في مصادر أهل البيت عليهم السلام، بل إنّ دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه هي دولة العدل الإلهي وتمتد لسنين طويلة.

سابعاً: أنّ أتباع الدجال كلّهم أعداء أهل البيت عليهم السلام.

ثامناً: أنّ الدجال هو آخر طغاة العالم، وحكومته في مقابل حكومة خاتم العترة الطاهرة من أئمة الهداة عليهم السلام.

تاسعاً: من حيث حركات الضلال فإنّ حركة الدجال آخر حركة تكون علىٰ الأرض.

عاشراً: سيكون تحالف بين النواصب واليهود، وهذا التحالف سيبلغ أوجّه قُبيل ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه.

الحادي عشر: أنّ من أبغض أهل البيت عليهم السلام سيبعث يهودياً لأنّه سيكون من عصابة الدجال، وآنذاك لا ينفعه إسلامه.

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيّها الناس، من أبغضنا أهل البيت عليهم السلام بعثه الله يهودياً لا ينفعه إسلامه، وإن أدرك الدجال آمن به، وإن مات بعثه الله من قبره حتّىٰ يؤمن به»[١].

رواه البسوي - من علماء السنّة - في المعرفة والتاريخ[٢].

عن حذيفة بن اليمان، قال: من كان يحب - أي كان في قلبه حب الدجال - وخرج الدجال تبعه، فإن مات قبل أن يخرج آمن به في قبره[٣].

في المحاسن، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً، قيل: يا رسول الله وإن شهد الشهادتين؟ قال: نعم، إنّما احتجب بهاتين الكلمتين عن سفك دمه، أو يؤدّي الجزية وهو صاغر، ثمّ قال: من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً، قيل: وكيف يا رسول الله؟ قال: إن أدرك الدجال آمن به»[٤].

الثاني عشر: نستخلص من هذه الروايات أنّ النواصب تكون نهايتهم أن يرتدّوا عن الإسلام ويتّبعوا الدجال زعيم اليهود.

أين يظهر الدجال؟

روايات عديدة في ظهور الدجال، وفي مصادرنا؛ منها: أنّ راية الدجال تبدأ من بلخ في أفغانستان، ومنها: أنّ خروج الدجال بالمشرق من سجستان.

---

١. مشارق أنوار اليقين: ص٥٢.

٢. المعرفة والتاريخ: ص٨٣٣.

٣. المعجم الموضوعي للكوراني: ص٢٥.

٤. المحاسن: ص٩٠؛ ثواب الأعمال: ص٢٠٣ و٢٤٢؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ١٩٢ و٧٢/ ١٣٤.

في بصائر الدرجات، أنّ رجلاً من أهل بلخ دخل على الإمام الباقر عليه السلام، فقال له: «يا خراساني تعرف وادي كذا وكذا»؟ قال: نعم، قال له: «تعرف صدعاً في الوادي صفته كذا وكذا»؟ قال: نعم، قال: «من ذلك يخرج الدجال»[١].

حركة الدجال في المصادر السنّية:

قالوا: الدجال - موطنه أصبهان...

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الدجال يخرج من جزيرة أصبهان في البحر يقال له: (ماطولة)، حتّى يأتي الكوفة فيلحقه قوم من المدينة، وقوم من الطور، وقوم من ذي يمن، وقوم من قزوين»، قيل: يا رسول الله... وما القزوين؟ قال صلى الله عليه وآله: «قوم يكونون بآخره يخرجون من الدنيا زهداً فيها يرد الله بهم قوماً من الكفر إلى الإيمان»[٢].

روى أحمد في مسنده عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألف من اليهود عليهم التيجان»[٣].

وقال ابن أبي شيبة: كأنّي بمقدمة الأعور الدجال ستمائة ألف من العرب يلبسون التيجان[٤].

وفي فتح الباري، أخرج أبو نعيم من طريق كعب الأحبار أنّ الدجال تلده أُمّه بقوص من أرض مصر...[٥]، وفي مصنف عبد الرزاق، عن كعب الأحبار، قال: يخرج الدجال من العراق[٦].

١. البصائر: ص١٤١.
٢. مجمع الزوائد، الهيثمي: ٧/ ٣٤٨؛ الطبقات الكبرى: ٦/ ٥.
٣. مسند أحمد: ٣/ ٢٢٤؛ صحيح مسلم: ٨/ ٢٠٧.
٤. مسند ابن أبي شيبة: ٨/ ٦٧١ و١٥/ ١٨٢؛ مصنف عبد الرزاق: ١١/ ٣٩٣؛ الدر المنثور: ٥/ ٣٥٤؛ الفتن لابن حماد: ٢/ ٥٥١.
٥. فتح الباري: ١٣/ ٢٧٧.
٦. المصنف، لعبد الرزاق: ١١/ ٣٩٦؛ الدر المنثور: ٥/ ٣٥٤.

لا يسعنا المقام لذكر روايات القوم المتضاربة في معناها والمتناقضة في شكلها ومضمونها، وقد نقلنا بعضها، فإنّ الدجال مرّة قالوا يخرج من دسر وأبادين وأصبهان، ومرة يخرج من أهواز وكرمان، وثالثة يخرج من العراق، ورابعة أنّه ولد في مصر ويخرج منها، ودواليك ترىٰ العجب العجاب، فهم يتخبطون في منقولاتهم.

صفات الدجال كما في مصادر أهل السنّة:

جاء في صحيح البخاري[١] وفي صحيح مسلم[٢] وفي مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية[٣] وكتاب الفتن لابن حماد[٤] وغيرها روايات عجيبة غريبة في محتواها وما فيها من تناقض وأساطير ربما هي أقرب إلىٰ حكايات العجائز علىٰ أن أغلبها منقولة من كعب الأحبار وتميم الداري و...

فمن تلك الأخبار نسبوا إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في الدجال أنّه (المسيح الدجال) وهذه نسبة أطلقها اليهود علىٰ النبي عيسىٰ عليه السلام عناداً منهم وبغضاً للمسيح، وهذا ما لا تجده في مصادر أهل البيت عليهم السلام.

المسيخ الدجال أم المسيح؟

جاء في المشكاة عن شريك بن شهاب، قال: كنت أتمنىٰ أن ألقىٰ رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أسأله عن الخوارج، فلقيت أبا بردة الصحابي في يوم عيد في نفر من أصحابه، فقلت له: هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر الخوارج؟

---

١. صحيح البخاري: ١/ ٢٠٢ و٧/ ١٥٩ و١٦١ و٨/ ١٠٣ و١٠١ و٢/ ٢٢٣ و٧/ ٥٨ و٥/ ١٢٦ و٨/ ٧٢.
٢. صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٥٧ و٤/ ١٣٥٤.
٣. مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية: ص٣٥، ح١١٨.
٤. الفتن لابن حماد: ٢/ ٥٣٦.

قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ بأُذني ورأيته بعيني، أتىٰ رسول الله ﷺ بمال، فقام رجل من ورائه، فقال: يا محمد، ما عدلت في القسمة، رجل أسود مضموم الشعر عليه ثوبان أبيضان، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، وقال: (والله لا تجدون رجلاً بعدي هو أعدل منّي)، ثمّ قال: يخرج في آخر الزمان قوم كأنّ هذا منهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق ولا يزالون يخرجون حتّىٰ يخرج آخرهم مع المسيخ الدجال[١]، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم هم أشرّ الخلق والخليقة[٢].

ولضبط كلمة المسيخ ينظر في:

(حلية الأولياء) لأبي نعيم ٦/ ٥٤.

(صحيح مسلم) للنيسابوري ٢/ ٧٤٤.

(الصحيح) للبخاري محمد بن إسماعيل ٣/ ١٣٢١.

ثمّ رووا في صحاحهم ومسانيدهم أنّ الدجال إحدىٰ عينه مطموسة والأخرىٰ ممزوجة بالدم كأنّها الزهرة، وفي مصادرهم أنّه شاب قطط عينه طافئة كأنّي أشبهه بعبد العزىٰ بن قطن، أنّه خارج من خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً...

ثمّ ذكروا له عجائب وخوارق، إذ يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثمّ يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك...[٣].

١. المسيخ، في القاموس: مسخه كمنعه، حول صورته إلىٰ أخرىٰ أقبح، ومسخه الله قرداً فهو مسخ، والمسيخ: المشوّه؛ ينظر: تاريخ بغداد: ٨/ ٢٧٥.

٢. خصائص النسائي: ص١٣٧.

٣. الفتن لابن حماد: ٢/ ٥١٨ و٥٣٦.

وعن ابن حماد بإسناده عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: الدجال أعور العين اليسرىٰ، جِفال الشعر، معه جنّة ونار... ويسير معه جبلان؛ جبل من أنهار وثمار وجبل دخان ونار، يشق الشمس كما يشق الشعرة، ويتناول الطير في الهواء[١].

وروىٰ ابن أبي شيبة عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدجال يخوض البحار إلىٰ ركبتيه، ويتناول السحاب، ويسبق الشمس إلىٰ مغربها، وفي جبهته قرن يخرص منه الحيات، وقد صور في جسده السلاح كلّه، حتّىٰ ذكر السيف والرمح والدرق، قال: قلت ما الدرق؟ قال: الترس[٢].

والخوض في روايات أهل السنّة تروىٰ فيها الأساطير والخرافات فهي من عجائب الأخبار، وليس غريباً أن تكون من دسائس اليهود وما نسجته الإسرائيليات لتخويف البشر.

هذا هو الدجال عند أهل السنّة، فهو يحيي ويميت، ومعه جنّة ونار، ... وأساطير أخرىٰ عجيبة.

روىٰ البسطامي أنّ الدجال مهدي اليهود، ينتظرونه كما ينتظر المؤمنون المهدي، ونقل عن كعب الأحبار أنّه رجل طويل، عريض الصدر، مطموس، يدّعي الربوبية، معه جبل من خبز وجبل من أجناس الفواكه، وأرباب الملاهي جميعاً يضربون بين يديه بالطبول والعيدان والمعازف والنايات، فلا يسمعه أحد إلّا تبعه، إلّا مَن عصمه الله.

١. المصدر نفسه، سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٥٣؛ حلية الأولياء: ٥/ ١٥٧؛ صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٤٨؛ وصحيح البخاري: ٤/ ١٠٥.

٢. ابن أبي شيبة: ١٥/ ١٣٣ و٨/ ٦٤٨.

قال: ويخرج من ناحية المشرق من قرية تسمّىٰ دسر أبادين ومدينة الهوازن ومدينة أصبهان، ويخرج علىٰ حمار وهو يتناول السحاب بيده ويخوض البحر إلىٰ كعبيه ويستظل في أذن حماره خلق كثير، ويمكث في الأرض أربعين يوماً، ثمّ تطلع الشمس يوماً حمراء ويوماً صفراء ويوماً سوداء[١].

أقول: أسماء المدن التي أوردها كعب الأحبار في خروج الدجال جعلها مدناً فارسية وكأنّما أراد بها: تستر وعبادان وأهواز وأصفهان، وقد أشاع ثقافة يهوديته علىٰ لسان مريديه أمثال أبي هريرة وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأضرابهم، وبمثل ذلك روىٰ نعيم بن حماد بإسناده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: قال رسول الله ﷺ: ليهبطن الدجال خوز وكرمان في ثمانين ألفاً وجوههم المجان المطرقة، يلبسون الطيالسة وينتعلون الشعر[٢].

في هذه الرواية تجد رقعة الدجال الجغرافية اتَّسعت إلىٰ الخوز وكرمان، بل اتَّصف دجال السنّة وأصحابه بصفات الترك والمغول، وأكثر من ذلك فإنّهم يجوبون البوادي فينتعلون الشعر أنّها صفة البدو الرحّل للمغول، وهكذا رواياتهم تدلل علىٰ عالمية الحركة التي يقوم بها الدجّال...!!

١. فيض القدير، المناوي: ٣/ ٧١٨.

٢. الفتن، لابن حماد: ٢/ ٥٧٩؛ مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٣٣٧؛ مجمع الزوائد: ٧/ ٣٤٥؛ الفتن لابن كثير: ١/ ١٤٣ و١٤٤؛ مسند أبي يعلىٰ: ١٠/ ٣٨٠؛ ابن أبي شيبة: ١٥/ ١٤٦.

المعود
ALMAUOOD

توضيح الإجابات
رسالة في توضيح إجابات ابن قِبَة رحمه الله في الإمامة والغيبة - الحلقة الثانية

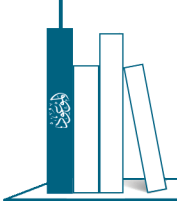

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

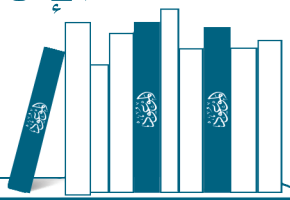

غيبة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام من أكثر المسائل العقائدية التي تناولها أهل البيت عليهم السلام بالبيان والتوضيح، وأجابوا عن الأسئلة المثارة حولها من زمن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وصولاً إلىٰ الإمام الحجة عجل الله فرجه.

وتبعاً لهذا الاهتمام سار علماء الطائفة في بيان غيبة الإمام عجل الله فرجه ودفع الشبهات والإشكالات المثارة حولها.

وأُلِّفتْ - منذ بدايات عملية التصنيف والكتابة - الرسائلُ والكتبُ حولها.

ومما أُلِّف في رد الشبهات عن الغيبة ما كتبه الفقيه والأصولي عبد الرحمن بن قبة الرازي (أبو جعفر) رحمه الله، إذ إن له العديد من المصنفات في هذا الصدد، إلّا أنه لم يصل إلينا شيء مستقل منها، سوىٰ جملة وافرة حوته بطون أمهات الكتب ككتاب كمال الدين للشيخ الصدوق قدس سره.

وفي هذا البحث نحاول قدر الإمكان إبراز تراث هذا الرجل العظيم مع شيء من البيان والتوضيح، وهذه هي الحلقة الثانية من توضيح ما أجاب به رحمه الله عن بعض الشبهات المثارة حول الإمامة والغيبة، وهو ما يقع في توضيح إجاباته عن مسائل سألها بعض فضلاء علماء الإمامية في زمانه حول شبهات المعتزلي حول الإمامة والغيبة.

المتن:

قال الشيخ الصدوق قدس سره في كمال الدين[١]:

وكتب بعض الإمامية إلىٰ أبي جعفر ابن قبة[٢] كتاباً يسأله فيه عن مسائل[٣] فورد جوابها:

أمّا قولك - أيدك الله - حاكياً عن المعتزلة[٤] أنها زعمت أن الإمامية

١. كمال الدين: ص٦٧.

٢. تقدمت ترجمته في الحلقة الأولىٰ.

٣. لم نعرف من الذي كتب إلىٰ أبي جعفر رحمه الله، و لم يذكر أيٌّ من المؤرخين ولا الشيخ الصدوق أو ابن قبة رحمهما الله نص هذه المسائل، نعم يمكن التعرف علىٰ بعضها من خلال الأجوبة الصادرة من الشيخ ابن قبة رحمه الله، كما ويظهر من بعض عبارات الشيخ ابن قبة رحمه الله الآتية مكانة هذا السائل وأنه من أهل الفضل حيث قال في وصفه (وليست هذه مسألة تشتبه علىٰ مثلك مع ما أعرفه من حسن تأملك).

٤. فرقةٌ كلاميّةٌ ظهرت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي. لعبت دوراً رئيساً علىٰ المستوىٰ الديني والسياسي. غلبت علىٰ المعتزلة النزعةُ العقلية فاعتمدوا علىٰ العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه علىٰ النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل حسب وصفهم، وقالوا بوجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرعٌ بذلك. وأنه إذا تعارض النص مع العقل قدموا العقل لأنه أصل النص، ولا يتقدم الفرع علىٰ الأصل. والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل، فالعقل بذلك موجبٌ، وآمرٌ وناهٍ. ينقدُهم معارضوهم أنهم غالوا في استخدام العقل وجعلوه حاكماً علىٰ النص، وبذلك اختلفوا عن السلفية الذين استخدموا العقل وسيلة لفهم النص وليس حاكماً.

من أشهر المعتزلة واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وإبراهيم النظام، وهشام بن عمرو الفوطي، والزمخشري صاحب تفسير الكشاف، والجاحظ، والمأمون، والقاضي عبدالجبار. يُعتقد أن أول ظهور للمعتزلة كان في البصرة في العراق، ثم انتشرت أفكارهم، اختلف المؤرخون في بواعث ظهور مذهب المعتزلة وتمثله الرواية الشائعة في اعتزال واصل بن عطاء عن شيخه الحسن البصري في مجلسه العلمي في الحكم علىٰ مرتكب الكبيرة، وكان الحكم أنه ليس بكافر. وتقول الرواية إن واصل بن عطاء لم ترقه هذه العبارة وقال هو في (منزلة بين منزلتين)، أي لا مؤمن ولا كافر. وبسبب هذه الإجابة اعتزل مجلس الحسن البصري وكوّن لنفسه حلقة دراسية وفق ما يفهم ويقال حين ذاك إن الحسن البصري أطلق عبارة (اعْتَزَلنا واصل). [يراجع لذلك عدة مصادر، منها: ١ - الفرق بين الفرق - عبد القاهر البغدادي؛ ٢ - بحوث في الملل والنحل - الشيخ جعفر السبحاني].

تزعم أن النص على الإمام واجب في العقل، فهذا تحميل أمرين:

إن كانوا يريدون أنه واجب في العقل قبل مجيء الرُسل عليهم السلام وشرع الشرائع، فهذا خطأ.

وإن أرادوا أن العقول دلت على أنه لابد من إمام بعد الأنبياء عليهم السلام، فقد علموا ذلك بالأدلة القطعية، وعلموه أيضاً بالخبر الذي ينقلونه عمّن يقولون بإمامته.

توضيح المتن:

يطرح هذا السائل شبهة على لسان فرقة المعتزلة مفادها: أن دعوى الإمامية بلزوم الإمامة هو بواسطة العقل المستقل.

فأجاب عنها الشيخ ابن قبة رحمه الله بالتفصيل في قول الإمامة:

فالإمامية لا تقول إن لزوم الإمامة - التي هي منصب بعد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله - هو لزوم عقلي، وأنه يكون قبل وجود النبي صلى الله عليه وآله وقبل وجود شريعته - فهذا لا تقول به الإمامية - ففعلية الإمامة وأنها لهداية الناس إنما تكون بعد شريعة النبي صلى الله عليه وآله وشريعة الأنبياء عليهم السلام لا قبلها، ونسبة القول إلينا بلزوم الإمامة عقلاً قبل نبوة الأنبياء ونبينا صلى الله عليه وآله وأن هدايتهم لازمة للناس قبل وجود الأنبياء عليهم السلام، هذه نسبة باطلة ومخطئة ولا نقول بها، والذي تقول به إن ضرورة وجود الإمام عقلاً إنما هو بعد وجود الشريعة ووجود النبي صلى الله عليه وآله ثم يأتي دور الإمام عليه السلام، وهذا هو واقعنا العملي في هذه العقيدة، نعم دلت الروايات على وجود الأئمة عليهم السلام في عوالم أخرى، قبل وجود الخلق، ولكن هذا مطلب آخر لا علاقة له بالحديث عن فعلية الإمامة في هداية الناس وهو المعنى المتنازع فيه مع الفرق الإسلامية الأخرى.

والمعنىٰ الصحيح من الإمامة: هو أنها ضرورة بالعقل بعد الأنبياء عليهم السلام وهو مما دل عليه الدليل القطعي العقلي كدليل اللطف[١] والأدلة النقلية الصحيحة والصريحة من النبي صلى الله عليه وآله ومن الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد وقد سجلت الكتب الروائية ذلك مفصلاً[٢].

وبكلمة واحدة فإن منشأ الخلاف أن المعتزلة يدّعون أننا نقول في الإمامة بالعقل المستقل، بينما نحن نقول بذلك بالعقل المرشد والذي يستقي مقدماته من الشرع ويؤلف منها القياس الكلامي في مسألة الإمامة.

قال ابن قبة رحمه الله:

وأمّا قول المعتزلة: إنا قد علمنا يقيناً أن الحسن بن علي عليه السلام مضىٰ ولم ينص، فقد ادعوا دعوىٰ يخالَفون فيها وهم محتاجون إلىٰ أن يدلوا علىٰ صحتها وبأي شيء ينفصلون[٣] ممن زعم من مخالفيهم أنهم قد علموا من ذلك ضد ما ادّعوا أنهم علموه.

توضيح ما قاله رحمه الله:

إن المعتزلة تدّعي أن لديها علماً يقينياً بوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأنه لم ينص، ولازمه أنه لا يكون له ولد من عقبه، لأن الغرض من إشكالهم نفي الولد ذريعة بعدم النص.

---

١. يراجع للوقوف علىٰ دليل اللطف كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص١٣؛ وتلخيص الشافي: ج١، ص٦٩، الطريقة الأولىٰ في الكلام في وجوب الإمامة عقلاً.

٢. راجع كتاب الكافي: ج١، ص٢٨٥-٣٢٨، حيث أورد العديد من الأحاديث في عدة فصول في النص علىٰ إمامة كل إمام من أئمة أهل البيت من النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ الحجة عجل الله فرجه.

٣. يختلفون ويتميزون.

والشيخ ابن قبة رحمه الله يقول: إن هذه الدعوىٰ من المعتزلة مجرد دعوىٰ فاقدة للدليل ومجرد قولها لا يعني ثبوتها، وإلّا فما هو وجه الفرق عن دعوىٰ غيرهم ممن قال بأنه عليه السلام توفي وله عقب ولكنه مخفي وغير ظاهر، وهؤلاء - وهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية - يقيمون علىٰ دعواهم بأن للإمام الحادي عشر عليه السلام خلفاً وولداً من صلبه عدة أدلة توجب العلم بصحة دعواهم، فعلىٰ المعتزلة إقامة الدليل علىٰ دعواهم، كما فعلت الإمامية.

وإلّا كانت دعوىٰ المعتزلة في المسألة مجرد مصادرة لتضمّن الدعوىٰ في الدليل دون إقامة حجة أو برهان عليها.

وقال رحمه الله:

ومن الدليل علىٰ أن الحسن بن علي عليه السلام قد نص ثبات[١] إمامته، وصحة النص من النبي صلى الله عليه وآله، وفساد الاختيار، ونقل الشيخ[٢] عمّن قد أوجبوا بالأدلة تصديقه أن الإمام لا يمضي أو[٣] ينص علىٰ إمام كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان الناس محتاجين في كلّ عصر إلىٰ من يكون خبره لا يختلف ولا يتكاذب كما اختلفت أخبار الأُمة عند مخالفينا هؤلاء، وتكاذبت، وأن يكون إذا أمر ائتُمِر بطاعته، ولا يد فوق يده، ولا يسهو، ولا يغلط، وأن يكون عالماً ليعلِّم الناس ما جهلوا، وعادلاً ليحكم بالحق، ومَن هذا حكمه فلابدّ أن ينص علّامُ الغيوب علىٰ لسان من يؤدي ذلك عنه[٤] إذ[٥] كان ليس في ظاهر خلقته[٦] ما يدل علىٰ عصمته.

١. أي أنه ذكر النص علىٰ إثبات إمامة من يأتي من بعده وهو ولده الحجة عليه السلام.
٢. في نسخة أخرىٰ الشيعة وهو الأقرب.
٣. أي لا يمضي إلّا وينص علىٰ إمام، ولعل الأصوب في العبارة (إلّا أن ينص).
٤. أي أن ينص الله تعالىٰ بواسطة النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام السابق علىٰ الإمام اللاحق.
٥. لعل الأصوب (إذ إنه ليس...).
٦. لعل الأصوب (خلقه).

توضيح ما قاله رحمه الله:

استدل الشيخ ابن قبة رحمه الله بعدة أدلة على وجود الإمام الحجة بعد الإمام الحسن العسكري عليه السلام وما ذكره من أدلة نضعه في نقاط:

١ - النص من العسكري عليه السلام:

إن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد نص على إمامة الحجة بن الحسن عجل الله فرجه ومن النصوص الكثيرة الدالة على ذلك ما رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي محمد عليه السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك فنأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل، قلت: يا سيدي هل لك ولد؟ فقال: نعم، فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه فقال: بالمدينة[١].

٢ - النص من النبي صلى الله عليه وآله حيث إنه صلى الله عليه وآله قد نصَّ على الأئمة بعددهم وأسمائهم وألقابهم وأنسابهم والروايات في ذلك كثيرة، منها:

أ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «دفع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي صحيفة مختومة باثني عشر خاتماً، وقال له فضّ الأول واعمل به، ودفع إلى الحسن عليه السلام يفض الثاني ويعمل به، ودفعها إلى الحسين عليه السلام يفض الثالث ويعمل بما فيه، ثم إلى واحد واحد من ولد الحسين عليه السلام»[٢].

ب - عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل اختار من كل شيء شيئاً...، واختار من الناس بني هاشم، واختارني وعلياً من بني هاشم، واختار مني ومن علي الحسن والحسين، وتكملة اثني

---

١. الكافي: ج١، ص٣٢٨.

٢. الغيبة للشيخ النعماني: ص٦١.

عشر إماماً من ولد الحسين تاسعهم باطنهم، وهو ظاهرهم، وهو أفضلهم، وهو قائمهم»[١].

٣ - فساد الاختيار: بيان ذلك: إن الأئمة عليهم السلام يشترط فيهم عدة صفات وخصائص، منها العصمة والعلم اللدني، وهذا ما لم يطلع عليه أحد من أفراد الأُمة، فكيف يتسنىٰ للأُمة أن تختار من بين أفرادها الإمام؟!

يقول الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل يتحدث فيه عن صفات الإمام وخصائصه: «... فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الإِمَامِ أَوْ يُمْكِنُه اخْتِيَارُه، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، ضَلَّتِ العُقُولُ وتَاهَتِ الحُلُومُ وحَارَتِ الألبَابُ وخَسَأَتِ العُيُونُ وتَصَاغَرَتِ العُظَمَاءُ وتَحَيَّرَتِ الحُكَمَاءُ وتَقَاصَرَتِ الحُلَمَاءُ وحَصِرَتِ الخُطَبَاءُ وجَهِلَتِ الأَلِبَّاءُ وكَلَّتِ الشُّعَرَاءُ وعَجَزَتِ الأُدَبَاءُ وعَيِيَتِ البُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِه أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِه وأَقَرَّتْ بِالعَجْزِ والتَّقْصِيرِ، وكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّه أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِه أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِه أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَه ويُغْنِي غِنَاه، لَا كَيْفَ وأَنَّىٰ وهُوَ بِحَيْثُ النَّجْمِ مِنْ يَدِ المُتَنَاوِلِينَ ووَصْفِ الوَاصِفِينَ، فَأَيْنَ الاِخْتِيَارُ مِنْ هَذَا؟ وأَيْنَ العُقُولُ عَنْ هَذَا؟ وأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا؟ ... فَكَيْفَ لَهُمْ بِاخْتِيَارِ الإِمَامِ والإِمَامُ عَالِمٌ لَا يَجْهَلُ ورَاعٍ لَا يَنْكُلُ، مَعْدِنُ القُدْسِ والطَّهَارَةِ والنُّسُكِ والزَّهَادَةِ والعِلْمِ والعِبَادَةِ مَخْصُوصٌ بِدَعْوَةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله ونَسْلِ المُطَهَّرَةِ البَتُولِ، لَا مَغْمَزَ فِيه فِي نَسَبٍ ولَا يُدَانِيه ذُو حَسَبٍ فِي البَيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ والذِّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ والعِتْرَةِ مِنَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله والرِّضَا مِنَ اللهِ عزّ وجلّ شَرَفُ الأَشْرَافِ والفَرْعُ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ، نَامِي العِلْمِ كَامِلُ

١. الغيبة للشيخ النعماني: ص٧٣.

الحِلْـمِ مُضْطَلِـعٌ بِالإِمَامَـةِ، عَـالِمٌ بِالسِّيَاسَـةِ، مَفْـرُوضُ الطَّاعَـةِ، قَائِـمٌ بِأَمْـرِ الله ﷻ، نَاصِـحٌ لِعِبَـادِ الله، حَافِـظٌ لِدِيـنِ الله»[١].

٤ - الإمام لا يمضي إلّا بعد النص علىٰ اللاحق:

نقل الشيعة عن أئمتهم عليهم السلام الذين أوجب الله تعالىٰ تصديقهم، أن الإمام السابق عليه السلام لا يمضي إلّا بعد النص علىٰ الإمام اللاحق عليه السلام، وهذا هو ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله من النص علىٰ إمامة الإمام علي عليه السلام، وعله الأئمة عليهم السلام بعد ذلك في كل إمام، والنصوص في ذلك كثيرة، منها:

أ - عن أبي عبد الله عليه السلام: «لا يموت الإمام حتىٰ يعلم من يكون من بعده فيوصي [إليه]»[٢].

ب - عن عمرو بن الأشعث، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أترون الموصي من يوصي إلىٰ من يريد؟ لا والله، ولكن عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله لرجل فرجل حتىٰ ينتهي الأمر إلىٰ صاحبه»[٣].

٥ - حاجة الناس إلىٰ الإمام المعصوم دائمة:

إن الحاجة في كل عصر إلىٰ الإمام الذي لا يقع الاختلاف في أحكامه وأخباره مما دلت عليه الأخبار، ولأن الإمام عليه السلام يعلم ما يقول ومتىٰ يقول، وهذا بخلاف ما عند المذاهب الأخرىٰ التي وقعت في الاختلاف في الأخبار لأنهم يأخذون ممن يقع في أقوالهم وأفعالهم خلاف واختلاف، ومما ورد من الروايات في الدلالة علىٰ هذا المعنىٰ مضافاً إلىٰ ما تقدم في حديث الإمام الرضا عليه السلام، عدة روايات، منها:

---

١. الكافي: ج١، ص٢٠٢.
٢. الكافي: ج١، ص٢٧٧.
٣. الكافي: ج١، ص٢٧٨.

أ - عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حَقٌّ ولَا صَوَابٌ ولَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقْضِي بِقَضَاءٍ حَقٍّ إِلَّا مَا خَرَجَ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ، وإِذَا تَشَعَّبَتْ بِهِمُ الأُمُورُ كَانَ الخَطَأُ مِنْهُمْ والصَّوَابُ مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام»[١].

ب - عن أبي عبد الله عليه السلام: «مَنْ عَرَفَ أَنَّا لَا نَقُولُ إِلَّا حَقّاً فَلْيَكْتَفِ بِمَا يَعْلَمُ مِنَّا فَإِنْ سَمِعَ مِنَّا خِلَافَ مَا يَعْلَمُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ دِفَاعٌ مِنَّا عَنْه»[٢].

٦ - الإمام واجب الطاعة:

إن الإمام عليه السلام عندنا واجب الطاعة، فإذا أمر بأمرٍ فهو ممن تجب طاعته علىٰ الخلق، ولا يكون ذلك إلّا إذا كان منصَّباً ممن له حق الطاعة علىٰ الناس، والله تعالىٰ له حق الطاعة علىٰ الناس لأنه خالقهم ومالكهم لذلك أرسل للناس الأنبياء وأمر بطاعتهم قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ (النساء: ٦٤)، وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ (النساء: ٨٠)، ومن هذه الطاعة تفرعت طاعة الأئمة عليهم السلام كما دل عليها القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، وقد دلت الروايات علىٰ أن المراد بأولي الأمر هم الأئمة عليهم السلام، فمادام الدليل قد قام علىٰ لزوم طاعتهم إذا أمروا فهم أئمة منصوبون كما كانت دلالة الأدلة الخمسة المتقدمة ناصعة علىٰ إمامتهم، ومما دل من الروايات علىٰ لزوم طاعة الأئمة عليهم السلام:

أ - عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ذِرْوَةُ الأَمْرِ وسَنَامُه ومِفْتَاحُه وبَابُ الأَشْيَاءِ ورِضَا الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ الطَّاعَةُ لِلإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِه ثُمَّ قَالَ

١. الكافي: ج١، ص٣٩٩.
٢. الكافي: ج١، ص٦٦.

إِنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ [النساء: ٨٠]»[١].

ب - عن الحسين بن أبي العلاء، قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام قَوْلَنَا فِي الأَوْصِيَاءِ إِنَّ طَاعَتَهُمْ مُفْتَرَضَةٌ، قَالَ: فَقَالَ: «نَعَمْ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله ورَسُولُه والَّذِينَ آمَنُوا﴾»[٢].

٧ - يده فوق الأيدي:

بيان ذلك:

أن لا يكون فوق الإمام عليه السلام من الرعية شخص، فلأنه واسطة الناس جميعاً إلىٰ الله تعالىٰ فلا يد فوقه، ومما دل علىٰ ذلك من الروايات ما رواه الشيخ المفيد قدس سره عن هشام بن سالم ومؤمن الطاق رحمه الله في حادثة التعرف علىٰ الإمام الكاظم عليه السلام بعد شهادة الإمام الصادق عليه السلام والقصة طويلة ولكنها في غاية الأهمية ننقلها بتمامها، قال قدس سره:

باب ذكر طرف من دلائل أبي الحسن موسىٰ عليه السلام وآياته وعلاماته ومعجزاته:

أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن محمد بن يحيىٰ، عن أحمد بن عيسىٰ، عن أبي يحيىٰ الواسطي، عن هشام بن سالم، قال: كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومحمد بن النعمان صاحب الطاق، والناس مجمعون علىٰ عبد الله بن جعفر أنه صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه والناس عنده - فسألناه عن الزكاة في كم تجب، فقال: في

١. الكافي: ج١، ص١٨٦.
٢. الكافي: ج١، ص١٨٧.

مائتي درهم خمسة دراهم، فقلنا له: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف؟ قلنا: والله ما تقول المرجئة هذا، فقال: والله ما أدري ما تقول المرجئة.

قال فخرجنا ضلالاً لا ندري إلىٰ أين نتوجه، أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين لا ندري أين نتوجه إلىٰ من نقصد، نقول: إلىٰ المرجئة، إلىٰ القدرية، إلىٰ المعتزلة، إلىٰ الزيدية، [إلىٰ الخوارج]، فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئ إليَّ بيده، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس علىٰ من يجتمع بعد جعفر الناس، فيؤخذ فيضرب عنقه، فخفت أن يكون منهم.

فقلت للأحول: تنح فإني خائف علىٰ نفسي وعليك، وإنما يريدني ليس يريدك، فتنح عني لا تهلك فتعين علىٰ نفسك، فتنحىٰ عني بعيداً.

وتبعت الشيخ، وذلك أني ظننت أني لا أقدر علىٰ التخلص منه، فما زلت أتبعه - وقد عرضت علىٰ الموت - حتىٰ ورد بي علىٰ باب أبي الحسن موسىٰ عليه السلام ثم خلاني ومضىٰ، فإذا خادم بالباب فقال لي: ادخل رحمك الله.

فدخلت فإذا أبو الحسن موسىٰ عليه السلام فقال لي ابتداء منه:

«إليَّ إليَّ، لا إلىٰ المرجئة، ولا إلىٰ القدرية، ولا إلىٰ المعتزلة، ولا إلىٰ الخوارج، ولا إلىٰ الزيدية»، قلت: جعلت فداك، مضىٰ أبوك؟ قال: «نعم»، قلت: مضىٰ موتاً؟ قال: «نعم» قلت: فمن لنا من بعده؟

قال: «إن شاء الله أن يهديك هداك» قلت: جعلت فداك، إن عبد الله أخاك يزعم أنه الإمام بعد أبيه، فقال: «عبد الله يريد ألا يعبد الله» قال: قلت: جعلت فداك، فمن لنا بعده؟ فقال: «إن شاء الله أن يهديك هداك» قال: قلت: جعلت فداك، فأنت هو؟ قال: «لا أقول ذلك».

قال: فقلت: في نفسي: لم أصب طريق المسألة، ثم قلت له: جعلت فداك، عليك إمام؟ قال: «لا» قال: فدخلني شيء لا يعلمه إلّا الله إعظاماً له وهيبة، ثم قلت: جعلت فداك، أسألك كما كنت أسأل أباك؟ قال: «سل تخبر ولا تذع، فإن أذعت فهو الذبح» قال: فسألته فإذا هو بحر لا ينزف، قلت: جعلت فداك، شيعة أبيك ضلال، فألقي إليهم هذا الأمر وأدعوهم إليك؟ فقد أخذت علي الكتمان، قال: «من آنست منهم رشداً فألق إليه وخذ عليه بالكتمان، فإن أذاع فهو الذبح» وأشار بيده إلىٰ حلقه.

قال: فخرجت من عنده ولقيت أبا جعفر الأحول، فقال لي: ما وراءك؟ قلت: الهدىٰ؟ وحدثته بالقصة. قال: ثم لقينا زرارة وأبا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وساءلاه وقطعا عليه، ثم لقينا الناس أفواجاً، فكل من دخل عليه قطع عليه، إلّا طائفة عمار الساباطي، وبقي عبد الله لا يدخل إليه من الناس إلّا القليل[1].

والشاهد في الرواية قوله للإمام عليه السلام: (عليك إمام؟ قال: لا) وهو موضع استدلال الشيخ ابن قبة رحمه الله.

٨ - الإمام معصوم من الخطأ والسهو:

إن من خصائص الإمام عليه السلام التي نعتقد بها أنه لا يسهو ولا يغلط، ومما دل من الآيات والروايات علىٰ هذا المعنىٰ كثير، منها:

أ - قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2] (الأحزاب: ٣٣) وقد فسرت بأهل البيت عليهم السلام والإرادة في إذهاب الرجس عنهم عليهم السلام مطلقة فتشمل موارد السهو والغلط وغيرها.

١. الإرشاد: ج٢، ص٢٢١.

٢. صحيح مسلم: ج٧، ص١٣٠، ح٢٤٢٤.

ب – ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام في خصائص الإمام عليه السلام وقد تقدمت الرواية في الرقم (٣)، ومما جاء فيها: «فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ قَدْ أَمِنَ مِنَ الخَطَايَا والزَّلَلِ والعِثَارِ يَخُصُّه الله بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَه عَلَىٰ عِبَادِه وشَاهِدَه عَلَىٰ خَلْقِه و﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤؛ الحديد: ٢١]»[١].

٩ – علم الإمام عليه السلام الخاص:

إن من خصائص الإمام عليه السلام أن يكون: (وأن لا يأخذ علمه من الناس وإنما علمه لدني)، عالماً وأن علمه لدني بمعنىٰ أن يكون أعلم أهل زمانه وأن لا يدانيه أحد في علمه لكي يعلم الناس ما جهلوا، ومبدأ علم الإمام من أهم المبادئ والأصول في عقيدتنا بالإمامة وصفات الإمام عليه السلام، وقد دلت العديد من الروايات علىٰ جهات علوم الأئمة عليهم السلام وخصائص علمهم وسعته ومنها:

أ – عن سورة بن كليب، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «والله إِنَّا لَخُزَّانُ الله فِي سَمَائِه وأَرْضِه لَا عَلَىٰ ذَهَبٍ ولَا عَلَىٰ فِضَّةٍ إِلَّا عَلَىٰ عِلْمِه»[٢].

ب – عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام»[٣].

ج – عَنِ الوَشَّاءِ عَنْ أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ سَمِعْتُه يَقُولُ: «قَالَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عليه السلام عَلَىٰ الأَئِمَّةِ مِنَ الفَرْضِ مَا لَيْسَ عَلَىٰ شِيعَتِهِمْ وعَلَىٰ

١. الكافي: ج١، ص٢٠٣.
٢. الكافي: ج١، ص١٩٢.
٣. الكافي: ج١، ص٢١٣.

شِيعَتِنَا مَا لَيْسَ عَلَيْنَا، أَمَرَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَسْأَلُونَا، قَالَ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُونَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا الجَوَابُ إِنْ شِئْنَا أَجَبْنَا وَإِنْ شِئْنَا أَمْسَكْنَا»[١].

١٠ - الإمام عليه السلام عادل:

إن الإمام عليه السلام قائم بالعدل، فالأئمة عليهم السلام هم أهل العدل ولأجل إقامته جعلهم الله تعالىٰ، فهم أئمته وبه يحكمون، ومما ورد من الروايات في ذلك:

أ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مِنْ وُلْدِيَ اثْنَا عَشَرَ نَقِيباً نُجَبَاءُ مُحَدَّثُونَ مُفَهَّمُونَ آخِرُهُمُ القَائِمُ بِالحَقِّ يَمْلأُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً»[٢].

ب - عن يونس بن عبد الرحمن، قال: دخلت علىٰ موسىٰ بن جعفر عليهما السلام فقلت له: يا بن رسول الله أنت القائم بالحق؟ فقال: «أنا القائم بالحق ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله عزوجل ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً هو الخامس من ولدي له غيبة يطول أمدها خوفاً علىٰ نفسه يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون».

ثم قال: «طوبىٰ لشيعتنا، المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين علىٰ موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبىٰ لهم، ثم طوبىٰ لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة»[٣].

---

١. الكافي: ج١، ص٣١٢.
٢. الكافي: ج١، ص٥٣٤.
٣. كمال الدين: ص٣٨٩.

وبناءً على هذه الأدلة المتقدمة فوجود الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه مما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه باعتبار أن الخصائص التي تقدم ذكرها في الإمام عجل الله فرجه لا يعلمها إلّا الله تعالىٰ علّام الغيوب، فلابد أن يبين الله تعالىٰ للناس الشخص الذي تتجسد فيه هذه الصفات والجامع الذي يجمع هذه الصفات هو العصمة، وهو ما عبر عنه الشيخ ابن قبة رحمه الله في آخر كلامه بقوله: (إذ كان ليس في ظاهر خلقته ما يدل علىٰ عصمته).

قوله رحمه الله:

فإن قالت المعتزلة: هذه دعاوىٰ[1] تحتاجون أن تدلّوا علىٰ صحتها.

قلنا: أجل، لابد من الدلائل علىٰ صحة ما ادعيناه من ذلك، وأنتم، فإنما[2] سألتم عن فرع والفرع لا يُدلُّ عليه دون أن يُدَلَّ علىٰ صحة أصله، ودلائلنا في كتبنا موجودة علىٰ صحة هذه الأصول.

توضيح ما قاله رحمه الله:

إن ادّعت المعتزلة وقالت:

إن الأدلة المتقدمة في الدلالة علىٰ وجود الحجة بن الحسن عليه السلام هي مجرد دعاوىٰ وليس فيها دلالة علىٰ دعوىٰ الإمامية من وجود الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فإن الشيخ ابن قبة رحمه الله يقول:

هذا القول من أن الدعاوىٰ لابد أن تقام عليها أدلة هو قول صحيح، وكما هو موجه لنا هو كذلك للمعتزلة في دعواهم النفي.

---

١. في نسخة (دعاوٍ).

٢. لعل الفاء زائدة والصواب (وأنتم إنما سألتم).

وأمّا دلالة الأدلة المتقدمة على وجود آخر الأئمة عليهم السلام فهو مبني على صحة الأصول التي تعتقد بها الإمامية (أعزهم الله تعالىٰ) وعلىٰ هذه الأصول تفرعت الأدلة المتقدمة، وكتب علماء الإمامية مشحونة ببيان هذه الأصول.

يقول السيد المرتضىٰ في المقنع في الغيبة[1]: وإني لأرىٰ من اعتقاد مخالفينا: (صعوبة الكلام في الغيبة وسهولته علينا، وقوته في جهتهم، وضعفه من جهتنا) عجباً!

والأمر بالضد من ذلك وعكسه عند التأمل الصحيح، لأن الغيبة فرع لأصول متقدمة، فإن صحت تلك الأصول بأدلتها، وتقررت بحجتها، فالكلام في الغيبة أسهل شيء وأقربه وأوضحه، لأنها تبتني علىٰ تلك الأصول وتترتب عليها، فيزول الإشكال.

وإن كانت تلك الأصول غير صحيحة ولا ثابتة، فلا معنىٰ للكلام في الغيبة قبل إحكام أصولها، فالكلام فيها من غير تمهيد تلك الأصول عبث وسفه.

فإن كان المخالف لنا يستصعب ويستبعد الكلام في الغيبة قبل الكلام في وجوب الإمامة في كل عصر وصفات الإمام، فلا شك في أنه صعب، بل معوز متعذر لا يحصل منه إلّا علىٰ السراب.

وإن كان (له مستصعباً) مع تمهد تلك الأصول وثبوتها، فلا صعوبة ولا شبهة، فإن الأمر ينساق سوقا إلىٰ الغيبة ضرورة إذا تقررت أصول الإمامة.

---

١. المقنع في الغيبة - السيد المرتضىٰ: ص٣٨.

ثم يقول قدس سره: **أصلان موضوعان للغيبة: الإمامة، والعصمة**، وبيان هذه الجملة:

إن العقل قد دل علىٰ وجوب الإمامة، وإن كل زمان - كلف فيه المكلفون الذين يجوز منهم القبيح والحسن، والطاعة والمعصية - لا يخلو من إمام، وأن خلوه من إمام إخلال بتمكينهم وقادح في حسن تكليفهم.

ثم دل العقل علىٰ أن ذلك الإمام لابد من كونه معصوماً من الخطأ والزلل، مأموناً منه فعل كل قبيح.

وليس بعد ثبوت هذين الأصلين (إلّا إمامة) من تشير الإمامية إلىٰ إمامته، فإن الصفة التي دل العقل علىٰ وجوبها لا توجد إلّا فيه، ويتعرىٰ منها كل من تدعىٰ له الإمامة سواه، وتنساق الغيبة بهذا سوقاً حتىٰ لا تبقىٰ شبهة فيها.

وهذه الطريقة أوضح ما اعتمد عليه في ثبوت إمامة صاحب الزمان، وأبعد من الشبهة.

فإن النقل بذلك وإن كان في الشيعة فاشياً، والتواتر به ظاهراً، ومجيؤه من كل طريق معلوما، فكل ذلك يمكن دفعه وإدخال الشبهة فيه، التي يحتاج في حلها إلىٰ ضروب من التكليف، والطريقة التي أوضحناها بعيدة من الشبهات، قريبة من الأفهام.

وبقي أن ندل علىٰ صحة الأصلين اللذين ذكرناهما.

ثم يشرع قدس سره بالاستدلال علىٰ أصل وجوب الإمامة وأصل وجوب العصمة مفصلاً، فراجع.

وكذلك ذكر شيخ الطائفة قدس سره ذلك في كتاب الغيبة[1].

١. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص١٣، فصل في الكلام في الغيبة، الطريق الثاني حيث قال: (الكلام في غيبة ابن الحسن عليه السلام فرع علىٰ ثبوت إمامته، والمخالف لنا إمّا أن يسلم لنا إمامته ويسأل عن سبب غيبته عليه السلام فنتكلف جوابه، أو لا يسلم لنا إمامته فلا معنىٰ لسؤاله عن غيبة من لم يثبت إمامته).

قوله رحمه الله:

ونظير ذلك أن سائلاً لو سألنا الدليل على صحة الشرائع لاحتجنا أن ندل على صحة الخبر وعلى صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله وعلى أنَّه أمر بها، وقبل ذلك أن الله عز وجل واحد حكيم، وذلك بعد فراغنا من الدليل على أن العالم محدث، وهذا نظير ما سألونا عنه.

توضيح ما قاله رحمه الله:

في مسألة إمامة الحجة عجل الله فرجه وغيبته توجد نظائر، ومن أوضح نظائر هذه المسألة - في ضرورة الرجوع إلى الأصول، وكون الغيبة فرعاً لأصول إن صحت فإنها تصح بلا تردد -، عدة مسائل لا يخالف فيها المعتزلي[1] منها ما لو سألنا عن صحة الشريعة، فإن الجواب على صحتها متوقف على أصول لابد أن تصح أولاً لكي يترتب عليها صحة الفروع، ومنها صحة الشريعة، وهذه الأصول هي:

١ - إننا نعتمد في إثبات الصحة من عدمها على الأخبار، فلابد أن نبحث في هذه المسألة ونبين المسالك في الخبر الذي نعتمد عليه ونأخذ بمضمونه في مقابل الخبر الذي لا يصح الاعتماد عليه في هذه المسألة، فهذا أصل لابد من الفراغ عنه، لأن طريقنا الآن منحصر بالأخبار لنعرف بها الشريعة وتفاصيلها ومسائلها، وهو ما يبحث عنه في علم الرجال والحديث والدراية.

---

١. مسألة وجود أصول ترجع إليها تفرعات المسائل الكلامية وتبتني عليها من المسائل الكلامية التي لم يقع فيها خلاف حتى عند المعتزلي، ولمزيد من التفصيل يراجع كتاب الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي عند بحثه في مسألة (النظر في طريق معرفة الله واجب) حيث قال: إنه ليس العلم بالله أول الواجبات وكذلك ليس الخوف هو الأول وكذا ليس مشاهدة الأدلة أول الواجبات. وكذلك بحث المسألة مفصلاً في بحث (الكلام في النبوات) في معرض رده على البراهمة وإنكارهم للنبوة بعد إثبات الصانع. وبحثها أيضاً في عدة مواضع من كتابه المتقدم.

٢ - إننا نعتمد كذلك في إثبات صحة الشرائع على ثبوت النبوة والاستدلال على صحة دعواها، وهو ما تتكفل به مسائل علم الكلام في مسائل بحث النبوة.

٣ - إننا نعتمد على صحة الأخبار التي صدرت من النبي ﷺ بعد ثبوت نبوته والدالة على التعبد بالشريعة وهو ما نأخذه من الروايات المعتبرة الدالة على ذلك.

٤ - قبل كل هذا فإننا نعتمد على إثبات وحدانية الله تعالى وحكمته، وكذلك مسألة حدوث العالم الذي ينتهي إلى ضرورة وجود الذات المقدسة المتصفة بصفات الجمال والمنزهة عن صفات الجلال، وهو ما يتكفل بإثباته البحث في مسائل علم الكلام في بحث إثبات الذات والصفات والتوحيد، وتذكر عادة في كتب الكلام عدة أدلة دالة على ذلك، كل هذه المسائل نظير ما سألنا عنه المعتزلي.

قوله رحمه الله:

وقد تأملت في هذه المسألة[1] فوجدت غرضها ركيكاً، وهو:

إنهم قالوا: لو كان الحسن بن علي عليه السلام قد نص على من تدعون إمامته لسقطت الغيبة.

والجواب في ذلك: أن الغيبة ليست هي العدم، فقد يغيب[2] الإنسان إلى بلد يكون معروفاً فيه ومشاهداً لأهله ويكون غائباً عن بلد آخر، وكذلك قد يكون الإنسان غائباً عن قوم دون قوم، أو عن أعدائه لا أوليائه.

---

١. مسألة الغيبة.

٢. أي يذهب.

توضيح ما قاله رحمه الله:

إن مدعىٰ المعتزلة في نفي وجود الإمام الحجة عجل الله فرجه بعد الأدلة المتقدمة هو من المدعيات الموهونة والضعيفة، فما يقولونه من دفع وجود الإمام عجل الله فرجه ودفع حصول الغيبة فيه كل هذه المدة، ركيك وغير مستدل.

فإنهم يدعون أن الإمام العسكري عليه السلام لو كان لديه نص علىٰ إمامة ولده الحجة عجل الله فرجه فهذا معناه أنه لابد أن ينص علىٰ شخص ظاهر معروف بين الناس لكي يصح النص عليه والإشارة بالإمامة له، ومع دعوىٰ الإمامية غيبته وعدم وجوده بين الناس يكون النص عليه باطلاً، لأنه لا يصح النص والإشارة علىٰ الغائب!

الشيخ رحمه الله **يقول لهؤلاء**: إنكم فسرتم الغيبة بمعنىٰ خاطئ فوقعتم في الاستدلال الركيك، فالغيبة ليست بمعنىٰ العدم، إذ لو كانت الغيبة تساوق العدم أو تساويه فكيف يصح إطلاقها علىٰ الإنسان المعروف الذي يذهب ويسافر إلىٰ بلد آخر فهو قد غاب عن بلده إلىٰ بلد آخر معروف فيه، فيصدق عليه أنه معروف ومشهور وفي ذات الوقت يصدق عليه أنه غائب عن بلده، هذا تنافٍ - حسب مدعىٰ المعتزلة -، ومرد حصول هذا التنافي هو تفسيركم الخاطئ للغيبة.

وكذلك يصح إطلاق لفظ الغائب علىٰ الشخص الذي يغيب عن جماعة من الناس دون جماعة أخرىٰ، فلا يراه بعض الناس مع أنه يُرىٰ من قبل الجماعة الأولىٰ منهم.

وكذلك يصح إطلاق لفظ الغيبة علىٰ الإنسان الذي يتخفىٰ عن أعدائه ويغيب عنهم، مع أنه حاضر مع أوليائه وأهل مودته.

فالمشكلة ليست في الغيبة التي وقعت في الحجة بن الحسن عجل الله فرجه، والتي دلت عليها الأدلة، ومنها بعض ما تقدم، بل المشكلة في تفسيركم الخاطئ والركيك للغيبة.

قوله رحمه الله:

فيُقال: إنه غائب وإنه مستتر.

وإنما قيل: غائب، لغيبته عن أعدائه، وعمّن لا يوثق بكتمانه من أوليائه، وأنّه ليس مثل آبائه عليهم السلام ظاهراً للخاصة والعامة، وأولياؤه مع هذا ينقلون وجوده، وأمره، ونهيه، وهم عندنا ممّن تجب بنقلهم الحجة، إذ[1] كانوا يقطعون العذر، لكثرتهم، واختلافهم في همهم، ووقوع الاضطرار مع خبرهم[2]، ونقلوا ذلك.

توضيح ما قاله رحمه الله:

فإن الذي يغيب في بلد عن آخر، وعن جماعة من الناس دون جماعة، وعن أعدائه دون أوليائه، يسمىٰ غائباً ومستتراً مع أنه في نفس الوقت موجود مع أوليائه ومع جماعة من الناس وفي مكان يُعرف فيه، ووجه تسميته بأنه غائب هو لحصول الغيبة عن بعض الأمكنة أو الناس أو صنف منهم، فبهذا اللحاظ يسمىٰ غائباً، وهذا لا يعني انعدامه بغيبته، فمن لا يكون متواجداً مع من لا يثق بهم وبكتمانهم من محبيه وأوليائه، لا يقال له إنه معدوم عنهم فضلاً عن غيرهم.

١. في بعض النسخ (إذا).

٢. في بعض النسخ (الاطمئنان).

وسبب حصول هذه الحالة من الغيبة في الإمام الحجة عجل الله فرجه أنه يختلف عن الأئمة من آبائه عليهم السلام حيث كانوا ظاهرين للخاصة والعامة من الناس دونه هو عجل الله فرجه، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله في هذا الصدد أنه قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ اطّلع إلىٰ الأرض اطلاعة فاختارني منها فجعلني نبياً، ثم اطّلع الثانية فاختار منها علياً فجعله إماماً، ثم أمرني أن أتّخذه أخاً ووليّاً ووصياً وخليفة ووزيراً، فعلي مني وأنا من علي وهو زوج ابنتي وأبو سبطي الحسن والحسين، ألا وإن الله تبارك وتعالىٰ جعلني وإياهم حججاً علىٰ عباده، وجعل من صلب الحسين أئمة يقومون بأمري يحفظون وصيتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي، ومهدي أُمتي، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة...»[1].

ورغم وقوع الغيبة في الإمام عجل الله فرجه التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله بالمعنىٰ المتقدم، إلّا أن أولياء الإمام عجل الله فرجه ممن يوثق بكتمانهم قد نقلوا إلىٰ الناس ما يصدر منه عجل الله فرجه من أوامر ونواهي، وهذا يكشف عن وجوده عجل الله فرجه وعن حصول اللقاء به عجل الله فرجه والأخذ عنه عجل الله فرجه، ويترتب عليه وجوب طاعته والتزام أوامره ونواهيه عجل الله فرجه.

وهذا النقل عنه بتوسط هؤلاء الأولياء هو المعروف بالسفارة والوكالة عنه عجل الله فرجه من قبل السفراء الأربعة، العمري وابنه وابن روح والسمري رحمهم الله.

وقد نقلوا عنه العشرات بل أكثر مما عرف بالتوقيعات التي تصدر من الناحية المقدسة، منها ما رواه الشيخ الصدوق قال قدس سره: (توقيع من صاحب الزمان عليه السلام كان خرج إلىٰ العمري وابنه رضي الله عنهما رواه سعد بن عبد الله...)[2].

١. كمال الدين: ص٢٨٥.

٢. كمال الدين: ص٥٣٨.

وروىٰ أيضاً عن عبد الله بن جعفر الحميري: (وخرج التوقيع إلىٰ الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري في التعزية بأبيه رضي الله عنهم...).

حتىٰ أن علماءنا قدس سرهم بوَّبوا في ذلك الأبواب.

قال الشيخ الصدوق قدس سره باب: ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام وذكر فيه (٥٢) توقيعاً[١]، وكذلك ذكر غيره.

وهؤلاء النَقَلة لهذه التوقيعات يتمتعون بأعلىٰ درجات الوثاقة والأمانة في النقل حتىٰ صاروا هم الواسطة بينه عجل الله فرجه وبين شيعته ومواليه.

ونقل مثل هؤلاء تجب فيه الحجية اللازمة.

ثم نقلت التوقيعات عنهم بواسطة الرواة وأصحاب الحديث إلىٰ الحد الذي يوجب بسبب كثرة النقل الاطمئنان بصدور التوقيعات من الناحية المقدسة لكثرة من نقل هذه التوقيعات علىٰ اختلافهم في الزمان والمكان والمكانة العلمية والاجتماعية وغير ذلك.

فصار من اللازم الاضطرارُ إلىٰ قبول ما نقل عنهم والاطمئنان بصدوره والأخذ به وتصديقه.

ومما نقلوه وقوع الغيبة علىٰ الحجة عجل الله فرجه مع اعتقادهم بوجوده والأحاديث في ذلك متواترة.

قال رحمه الله:

كما نقلوا إمامة آبائه عليهم السلام، وإن خالفهم مخالفوهم فيها وكما[٢] تجب بنقل المسلمين صحة آيات النبي صلى الله عليه وآله سوىٰ القرآن[٣] وإن خالفهم أعداؤهم من

١. كمال الدين: ص٥١٠.

٢. في بعض النسخ (كما).

٣. القرآن لا يحتاج إلىٰ الثبوت بواسطة النقل فهو ثابت بنفسه حتىٰ عرف بين المسلمين أنه قطعي الصدور.

أهل الكتاب[١]، والمجوس[٢]، والزنادقة[٣]، والدهرية[٤]، في كونها، وليست هذه مسألة تشتبه علىٰ مثلك مع ما أعرفه من حسن تأملك.

توضيح ما قاله رحمه الله:

إن من نقل غيبة الحجة عجل الله فرجه هم بأنفسهم الرواة الموثوق بهم والمعتمد عليهم في نقل أحكام الدين من إمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فلا معنىٰ للتفصيل بين نقلهم لإمامة آباء الإمام الحجة عجل الله فرجه فنقبل بها، ونقلهم لإمامته وغيبته عجل الله فرجه فنرفضها ولا نقبل بها، هذا تفصيل لا معنىٰ له ولا دليل عليه.

ونحن نقبل من هؤلاء الرواة الموثوق بهم وبصدقهم في النقل، ونأخذ منهم أحكام الدين المنقولة بواسطتهم، رغم وجود مخالف يخالفهم في نقل أحكام أخرىٰ في الدين، قد تكون مباينة لما ينقله الرواة الذين نعتمد عليهم في العمل بأحكام الدين، فمن يدعي التفصيل بين نقل ونقل عليه أن يقدم هو الدليل لا نحن.

وهذه القضية في تصديق الرواة والأخذ بما ينقلون جارية عند الطاعنين علينا، فهم يأخذون بنقلة أحكام الدين رغم أن هناك زنادقة ومجوساً ودهرية وغيرهم ينكرون هذا النقل ولا يأخذون به، وهذا البناء في الأخذ من الرواة سيرة قائمة في كل مذهب ودين وملة، فلا وجه للتفصيل فيه بغير دال ومستند علىٰ التفصيل، نعم فيما يرتبط بالأخذ بالآيات من القرآن الكريم المسألة مختلفة لأن وصوله بنحو التواتر - بل هو معجزة قائمة بنفسه لا يحتاج إلىٰ نقل - لا

---

١. هم اليهود والنصارىٰ.

٢. عبدة النار وقيل يعبدون إلهين يزدان وأهرمن، يراجع الملل والنحل: ج١، ص٢٣٣.

٣. قد يعبر عنه بالملحد، ولا يتمسك بشريعة.

٤. يؤمن أن الموجد للكون هو الدهر، ويرىٰ ديمومية العالم.

بنقل الأخبار واحداً عن واحد، وإن كان تقدم أن غيبة الإمام عجل الله فرجه هي من القضايا التي نطمئن بل نقطع بها لكثرة من نقلها علىٰ ما تقدم في توضيح المقطع السابق.

وهذه المسألة يرىٰ الشيخ ابن قبة رحمه الله أنها مما لا ينبغي أن يقع فيها الاشتباه خصوصاً من مثل الشخص النبيه وحسن التأمل، وهو حسب نص عبارته (مع ما أعرفه من حسن تأملك) يرىٰ أن الشخص الذي سأله من أهل الفضل والدقة فكيف انطلت عليه شبهة المعتزلة.

قال رحمه الله:

وأمّا قولهم إذا ظهر فكيف يُعلم أنه محمد[1] بن الحسن بن علي عليه السلام؟

فالجواب في ذلك:

أنه قد يجوز بنقل من تجب بنقله الحجة من أوليائه كما صحت إمامته عندنا بنقلهم.

وجواب آخر وهو:

أنه قد[2] يجوز أن يُظهِر معجزاً يدل علىٰ ذلك.

وهذا الجواب الثاني هو الذي نعتمد عليه ونجيب الخصوم به وإن كان الأول صحيحاً.

١. يظهر من عبارة الشيخ دام ظله أنه يرىٰ جواز تسمية الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه باسمه الشريف، والمسألة محل خلاف بين العلماء والفقهاء علىٰ عدة أقوال وتفصيلات، يراجع للتفصيل أكثر كتاب كشف التعمية في حكم التسمية للشيخ الحر العاملي دام ظله صاحب كتاب وسائل الشيعة، وإن كان في بعض النسخ الوارد هو (أنه ابن الحسن بن علي عليهما السلام)، فبناء علىٰ هذه النسخة يكون الظاهر منه الميل إلىٰ عدم جواز التسمية، وإن كان مقتضىٰ قاعدة (الأصل عدم الزيادة) أن ما في نسخ (ابن الحسن عليه السلام) هو سقط، فيترجح القول الأول لاستبعاد زيادة (محمد) في بعض النسخ حسب هذه القاعدة.

٢. في بعض النسخ لا يوجد (قد).

توضيح ما قاله رحمه الله:

إن المعتزلة تقول كيف لكم أن تتعرفوا علىٰ الحجة بن الحسن عجل الله فرجه إذا ظهر من غيبته الطويلة، فبعد أن لم تكن لكم معرفة بشخصه ولم تروه من قبل ولم تشاهدوا صورته وهيأته، كيف لكم أن تتعرفوا عليه إذا ظهر؟

إذ قد يدعي مدعٍ أنه هو مع أنه ليس كذلك؟

وكم حصل ذلك.

الشيخ رحمه الله يقول: لنا طريقان صحيحان للتعرف عليه:

الأول: أن نعرفه من خلال قول من يكون قوله حجة علينا، فإذا وُجد في زمان ظهوره أشخاصٌ تكون أقوالهم حجة علينا في المسائل الدينية، فإن قول هؤلاء كافٍ في التعرف عليه وتحديد شخصه، بعد الفراغ عن كون قولهم حجة علينا في هذه المسألة، وهذا له نظير في زمان الأئمة عليهم السلام، فليس كل شخص شاهد آباءه الطاهرين وتعرف علىٰ شخوصهم، وإنما اعتقد إمامتهم عامة الناس ممن يوالونهم اعتماداً علىٰ نقل من تجب بنقلهم الحجة، خصوصاً في ذلك الزمان وفي البلدان البعيدة عن تواجد الأئمة عليهم السلام، كذلك الأمر عند ابن الحسن الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإن قول هذا - أي الشخص الذي قوله حجة علينا - حجة علينا، وبه نتعرف عليه عجل الله فرجه.

الثاني: أن نعرفه من خلال إقامته للمعجزة كما فعل النبي صلى الله عليه وآله في عدة مواطن وكذلك فعلها الأئمة عليهم السلام من بعده، بل فعلها الحجة بن الحسن عجل الله فرجه مباشرة بعد ولادته أو بواسطة النواب والسفراء، حيث دلت الأخبار علىٰ ظهور المعاجز علىٰ يديه، هذا طريق آخر وصحيح، وهو الطريق المعتمد في مجال النقاش والمحاورة مع المخالفين والخصوم، وإن كان الطريق الأول صحيحاً أيضاً كما صرح الشيخ قدس سره بذلك.

قال رحمه الله:

وأمّا قول المعتزلة فكيف لم يحتج عليهم علي بن أبي طالب بإقامة المعجز يوم الشورىٰ؟

فإنا نقول: إن الأنبياء والحجج عليهم السلام إنما يظهرون من الدلالات والبراهين حسب ما يأمرهم الله عزّ وجلّ به مما يعلم الله أنه صالح[1] للخلق، فإذا ثبتت الحجة عليهم بقول النبي صلى الله عليه وآله فيه، ونصه عليه، فقد استغنىٰ بذلك عن إقامة المعجزات.

اللهم إلّا أن يقول قائل: إن إقامة المعجزات كانت أصلح في ذلك الوقت.

فنقول له: وما الدليل علىٰ صحة ذلك؟

وما ينكر الخصم من أن تكون إقامته لها ليس بأصلح وأن يكون الله عزّ وجلّ لو أظهر معجزاً علىٰ يديه في ذلك الوقت لكفروا أكثر من كفرهم ذلك الوقت ولادّعوا عليه السحر والمخرقة[2]، وإذا كان هذا جائزاً لم يُعلم أن إقامة المعجز كانت أصلح.

توضيح ما قاله رحمه الله:

وقد ينقض علىٰ ما تقدم بأن المعجزة لو كانت متاحة للأولياء لإثبات دعواهم فلِمَ لمْ يُقِمْ الإمام علي عليه السلام المعجزة يوم الشورىٰ، ويثبت حقانيته بعد النبي صلى الله عليه وآله.

١. في نسخة أخرىٰ (أصلح).

٢. المخرقة: نوع من أنواع السحر والحِيَل يشتمل علىٰ تهويل وتمويه وشعوذة وإيهام للمقابل وليس فيه حقيقة، يراجع لذلك تاج العروس: ج١٣، ص٤٣٩ (مخرق).

والجواب عن هذا النقض بـ:

١ - إن الأنبياء والأئمة عليهم السلام يأتون بالمعجزة امتثالاً لأمر الله تعالىٰ، وهو تعالىٰ يعلم متىٰ يكون الصلاح في إقامة المعجزة.

٢ - إن حقانية الإمام علي عليه السلام ثابتة بالنقل الصحيح من أقوال النبي صلى الله عليه وآله في النص عليه باسمه وصفته في عدة مواطن، وبعد وضوح النص عليه - خصوصاً عند أصحاب الشورىٰ - وثبوته فإنه مستغنٍ عن الإتيان بالمعجزة لإثبات حقانيته.

إن قلت: نسلِّم ما تقولون ولكن الأصلح هو إقامة المعجزة في ذلك الوقت، فمع كون النبي صلى الله عليه وآله قد أثبت حقانية إمامته إلّا أن الأصلح الإتيان بالمعجزة في يوم الشورىٰ.

قلت: من قال إن الأصلح هو ذلك، وما الدليل عليه؟

وهل للمعتزلي أن يجزم ويقطع أنه لو أقام المعجزة فإنهم سوف يخضعون له؟

ألا يحتمل أنهم يتّهمونه بالسحر والشعوذة؟

ألا يحتمل أن يكفروا أكثر مما هم عليه من الكفر بالإمامة.

فمع وجود هذه الاحتمالات لا يمكن القول إن إقامة المعجزة هو الأصلح.

قال رحمه الله:

فإن قالت المعتزلة: فبأي شيء تعلمون أن إقامة مَن تدّعون إمامته المعجز علىٰ أنه ابن الحسن بن علي عليه السلام أصلح؟

لسنا نعلم أنه لابد من إقامة المعجز في تلك الحال، وإنما نجوِّز ذلك.

اللهم إلّا أن يكون لا دلالة غير المعجز، فيكون لابد منه[١] لإثبات الحجة، وإذا كان لابدّ منه[٢]، كان[٣] واجباً، وما كان واجباً كان صلاحاً لا فساداً.

توضيح ما قاله ﵀:

قد تدّعي المعتزلة عدم وجود صلاح وضرورة في إقامة المعجزة من الحجة بن الحسن ﷺ عند ظهوره، وذلك لعدم وجود علم لدينا - ومن يدعي إقامة المعجزة - يكشف عن لزوم إقامتها لإثبات أنه الحجة ﷺ.

المصنف ﵀ **يقول: نحن نفصل بين حالتين:**

الحالة الأولىٰ: اذا وجد طريق آخر لإثبات هوية الحجة بن الحسن ﷺ ففي هذه الحالة نحن لا ندعي أن المعجزة لازمة، بل قلنا علىٰ ما تقدم إنها أحد طرق إثبات أنه هو الحجة ابن الحسن ﷺ فله أن يأتي بالمعجز لإثبات هويته وله غير ذلك، فنحن نقول بالجواز لا بالوجوب واللزوم.

الحالة الثانية: إذا انحصر طريق إثبات هويته وأنه الحجة ابن الحسن ﷺ بالمعجز، فهنا يجب الإتيان بالمعجزة ولا تكون جائزة بل واجبة، وإذا كانت واجبة كانت مشتملة علىٰ المصلحة، ومن الصلاح الإتيان بها بل لا يجوز تركها.

فنحن نفصل، وفي الحالتين لا يوجد فساد في الإتيان بالمعجز.

---

١. أي لابد من المعجز.

٢. أي لابد من المعجز.

٣. أي المعجز.

قال رحمه الله:

وقد علمنا أن الأنبياء عليهم السلام قد أقاموا المعجزات في وقت دون وقت، ولم يقيموها في كل يوم ووقت ولحظة وطرفة، وعند كل محتجّ عليهم ممّن أراد الإسلام، بل في وقت دون وقت، على حسب ما يعلم الله عزّ وجلّ من الصلاح.

وقد حكى الله عزّ وجلّ عن المشركين أنهم سألوا نبيه صلى الله عليه وآله أن يرقى في السماء وأن[1] يُسقِط السماء عليهم كسفاً أو يُنزِّل عليهم كتاباً يقرؤونه، وغير ذلك مما في الآية[2]، فما فعل ذلك بهم، وسألوه[3] أن يحيي لهم قصي بن كلاب[4]، وأن ينقل عنهم جبال تهامة[5]، فما أجابهم إليه، وإن كان صلى الله عليه وآله قد أقام لهم غير ذلك من المعجزات، وكذا حُكم ما سألت المعتزلة عنه، ويقال لهم كما قالوا لنا: لم نترك أوضح الحجج وأبين الأدلة من تكرر المعجزات والاستظهار بكثرة الدلالات.

---

١. في نسخة أخرى (أو أن).

٢. ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً﴾ (الإسراء: ٩٣).

٣. في نسخة أخرى (وساموه).

٤. يراجع لذلك حاشية محي الدين على تفسير البيضاوي: ج٤، ص١٢٢، وكذلك روح البيان للبروسوي: ج٣، ص٩١؛ إذ طلب المشركون من النبي صلى الله عليه وآله أن يحيي لهم اثنين من موتاهم قصي بن كلاب وهو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وآله وجدعان بن عمرو.

٥. مجموعة جبلية تقع في الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية من أشهرها جبل جازان وضرغم وغيرها، وحول طلبهم منه صلى الله عليه وآله ذلك يراجع السيرة النبوية لابن هشام: ج١، ص١٩٢، ومما جاء فيه (فسل لنا ربك الذي بعثك به فليسيِّر عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا... وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب...).

توضيح ما قاله رحمه الله:

إن من المعلوم لدينا ولدىٰ المعتزلي أن الأنبياء وكذا الحجج عليهم السلام قد أقاموا المعجزات، ولكن ليست إقامتهم لها في كل لحظة وعند كل طلب، بل في أوقات يرون صلاح إقامة المعجز فيها بتعليم الله تعالىٰ لهم، والقصص في بيان هذا التفصيل منها:

ما حكاه القرآن الكريم في بيان طلبات المشركين لبعض المعاجز وعدم استجابة النبي صلى الله عليه وآله لها.

وكذلك منها: ما حكي من أخبار النبي صلى الله عليه وآله وطلب إحياء بعض الأشخاص، وغير ذلك.

فالملاك في الإتيان بالمعجز هو المصلحة، ولا يعلمها إلّا النبي أو الحجة عليهما السلام، فالحكم في مسألة إقامة المعجزة من الحجة عجل الله فرجه منوط بوجود مصلحة هو يقدرها بتعليم الله تعالىٰ له.

علىٰ أن الأدلة التي تثبت نبوة النبي صلى الله عليه وآله وحقانية دعوته، من غير الجهة التي رفض فيها قبول بعض طلبات المشركين ظاهرة الدلالة علىٰ حقانيته سواء أكانت بالإعجاز أم بغيره، والأمر مع الحجة عجل الله فرجه كذلك.

فلا وجه لما يقوله المعتزلي.

قوله رحمه الله:

وأمّا قول المعتزلة: إنه احتجَّ بما يحتمل التأويل.

فيُقال: فما احتجَّ عندنا علىٰ أهل الشورىٰ إلّا بما عرفوا من نص النبي صلى الله عليه وآله لأن أولئك الرؤساء لم يكونوا جهالاً بالأمر، وليس حكمُهم حكمَ غيرهم من الاتباع.

ونقلب[1] هذا الكلام على المعتزلة فيقال لهم: لِمَ لَمْ يبعث الله عزّ وجلّ بأضعاف مَن بعث من الأنبياء؟

ولِمَ لَمْ يبعث في كل قرية نبياً؟ وفي كل عصر ودهر نبياً أو أنبياء إلى أن تقوم الساعة؟

ولِمَ لَمْ يُبيِّن معاني القرآن حتى لا يشك فيه شاك؟

ولِمَ كان محتملاً للتأويل؟

وهذه المسائل تضطرهم إلى جوابنا.

توضيح ما قاله رحمه الله:

إن المعتزلة تدعي أن أمير المؤمنين عليه السلام احتج على أهل الشورى بما هو قابل للتأويل، وما هو كذلك لا يكون فيه الحجة القاطعة، ومع عدم كون الحجة قاطعة فلابد من المعجزة، وعدم إتيانها في ذلك الوقت رغم وضوح الحاجة إليها يكشف أنها ليست بيد الحجج عليهم السلام، فكيف تدعون أنه يمكن التعرف على الحجة بن الحسن عجل الله فرجه إذا ظهر بالمعجزة.

المصنف قدس سره **يقول لهم**: إن دعوى احتجاج الإمام عليه السلام يوم الشورى بما هو قابل للتأويل، منكرة، فالذي لدينا من أدلة تكشف عن احتجاجه بما هو نص في إثبات أحقيته بالأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله، على أن من احتج عليهم من قدماء الصحابة ليسوا جهالاً بما يصدر من النبي صلى الله عليه وآله حتى يقال إنه قابل للتأويل، وحكم قربهم من عهده صلى الله عليه وآله يوجب عليهم ما لا يوجب على غيرهم من الاتباع ممن تأخروا.

---

١. في نسخة أخرى (ويُقلب).

ثم نقول للمعتزلة علىٰ وجه الجواب النقضي ومن وجوه عدة:

١ - لِـمَ لَـمْ يبعث الله تعالىٰ من الأنبياء بأعداد مضاعفة؟

٢ - لِـمَ لَـمْ يبعث الله تعالىٰ في كل قرية نبياً أو عدداً من الأنبياء؟

٣ - لِـمَ لا يكون بعث الأنبياء مستمراً إلىٰ يوم القيامة وفي كل دهر وعصر؟

٤ - لِـمَ لَـمْ يجعل الله تعالىٰ معاني القرآن ظاهرة وواضحة للجميع؟

٥ - لِـمَ جعل الله تعالىٰ القرآن الكريم حمالاً للوجوه ومحتملاً للتأويل؟

فإنهم سوف يجيبون بأن وراء ذلك مصالح خفيت علينا ولا نعلمها والله تعالىٰ هو العالم بها وقد علَّمها حججه وأولياءه عليهم السلام، وجوابنا هو هو في قضية الإمام عجل الله فرجه، وبهذه الأجوبة يظهر الجواب علىٰ المعتزلي.

يقول الشيخ الصدوق قدس سره: إلىٰ هنا كلام أبي جعفر بن قبة رحمه الله، أي إنه ينتهي ما وصل من جوابه علىٰ من سأله من الإمامية حول نقض المعتزلي علىٰ إقامة الحجة بن الحسن عجل الله فرجه وغيبته والتعرف عليه عند ظهوره.

وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ في حلقة قادمة توضيح إجابات الشيخ ابن قبة رحمه الله في نقض كتاب الأشهاد الذي ألفه أبو زيد العلوي، وأدرج معظمه الشيخ الصدوق قدس سره في كتابه كمال الدين.

والحمد لله تعالىٰ أولاً وآخراً.

المحتويات

تمهيدنا – مؤنس الإمام عجل الله فرجه الشريف ٥

تحصين العقيدة المهدوية – الشيخ جاسم الوائلي ١٣

بين العصمة والتخصص في زمن الغيبة – قراءة في أدوار الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف
الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي ٣٧

رواة مهدويُّون (الحلقة الثالثة) – السيد أسعد القاضي ٩٧

ارتباط إمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بالعدل الإلهي ودفع إشكالية وجود الشرور
(التحقّق والمعطيات) – مرتضىٰ علي الحلي ١٥٣

القول النَّضِر في نقض أدلة منكري حياة الخضر عليه السلام – علي الموسوي المشعشعي ١٩١

الملاحم قبل ظهور القائم عجل الله فرجه الشريف – الشيخ عبد الرسول الغفاري ٢١١

توضيح الإجابات – رسالة في توضيح إجابات ابن قِبَة رحمه الله في الإمامة والغيبة
(الحلقة الثانية) – الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي ٢٣٧

الموعود

ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

رقم الإصدار: ٢٧٠
www.m-mahdi.com
بيت الثقافة المهدوية
٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤
0001183

AL-MUHSEN.COM